

مع العدد هدية
الغزو من تحرير النصارى

العدد ٢ - السنة ٤٧
صفر ١٤٠٩ هـ
سبتمبر ١٩٨٨ م
الثمن ٤٠ قرشا

دار السلام



مَنبَلا سَنَالَا

تصدر في غرة كل شهر عربي



مع العدد هدية
المفردوس "مجلة الحفل باسم"

الإشتراكات

تطلب الاشتراكات من : مؤسسة أخبار اليوم - شارع الصحافة - القاهرة - إدارة الاشتراكات

الاشتراكات عن سنة كاملة : ٦ " ستة منبهات مصرية " بجمهورية مصر العربية

١٥ " خمسة عشر دولاراً " للاتحاد البريدي العربي الإفريقي

" بريدهموي "

٣٠ " ثلاثون دولاراً " لباقي الدول الأجنبية " بريدهموي "

المراسلات

٩ شارع النباتات - هاردين سيتي - تلفون : ٣٥٤١٦٢٧ / ٣٥٤٩٩٦٣ / ٣٥٥٣٦٢١ - تلغرافيا : منبر الإسلام - القاهرة

كانت كلمتنا في هذا المكان من العدد
الماضى موجهة الى كتاب المجلة لى
يتفضلوا بالاستجابة للتحديات التى تواجه
واقعنا ويبرزوا ما فى الاسلام من حلول
لمشكلاتنا المعاصرة .

وهى فى الواقع دعوة الى الاجتهاد
وحفز العقول للاستنباط والتفكير فالاسلام
دين شامل وهو صالح لكل زمان ومكان .

ولو خلاصت النيات واجتهدت العقول
لما استرحنا الى غلق باب الاجتهاد
والاستسلام للراحة والدعة ولوجدنا بعد
الاجتهاد كل ما نطلبه لواقعنا فى ضوء
ديننا الثرى .

وهنا نوجه رسالة الى القراء ليوافونا
دائما بأرائهم فيما ننشر ونعتقد أن الراى
النزيه المخلص الذى لا يبعثه الفرض هو
ضوء ينير لنا الطريق ويحقق لنا النجاح
الذى نتوخاه لتكون هذه المجلة مدرسة
للاجتهاد وللتنوير ومواكبة العصر فى ضوء
الاسلام .

ونحن فى الانتظار ..

التحرير



مَنبَلُ الْإِسْلَامِ

تصدرها وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

إشراف

الدكتور محمد على محبوب

وزير الأوقاف ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير

الدكتور عبد المعطى محمد بيومى

مدير التحرير

الدكتور محمد بهى الدين سالم

مجلس التحرير

الدكتور عبد المنعم النمر

الدكتور أحمد كمال أبوالمجد

الدكتور جمال الدين محمد محمود

الدكتور أبو الوفا التفتازانى

الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل

الدكتورة سعاد ماهر

الأستاذ محمود مهدى

غلاف الشهر

● مشكاة من الزجاج الموه باقينا من القرن
الثالث عشر وهى من الفن السورى وأبرز ما يميز
هذه المشكاة من زخارف هى الزخارف الكتابية
المتنقلة فى شريطين من الكتابة النسخية .
وهى من اجمل ما أنتج فى العصر المملوكى حيث
كان الحكام والأمراء يأمرون بصنعها لتوضع فى
المساجد - وهى موجودة فى متحف برلين .



باكستان..

بكل اسى استقبلت باعتبارى مسلما خبر استشهاد الرئيس ضياء الحق .. لقد مات الرجل موة الشهداء ليهوت عظيما كما عاش عظيم ، وليستحق الدرجة العليا عند الله ، كما استحقها عند الناس .

لم يكن اسأى واسف على ضياء الحق وحده ، لأننى اعرف جيدا انه عندما صعدت طائرته هذا المدى القريب لم تهبط روحه مرة اخرى الى الأرض كما هبط الجسد ، بل استمرت صاعدة الى الرفيق الأعلى لتجد عند الله جزاءها الحق والمثوبة الكبرى ، واننى لأؤمن أن لو عرضت الحياة الدنيا مرة أخرى على هذا الشهيد البار لرفض أن يرد اليها مفضلا الآخرة على العاجلة .

لكن اسأى وقلقى كان على :

— فترة لامعة من حياة باكستان رايتها فيها الفكرة والامل .. الامل الذى راود أحلام الجيل الأول من مسلمى باكستان وعلى رأسهم شاعر الفكرة وفيلسوفها الحالم الملهم محمد اقبال .

— وقلقى على باكستان بعد ضياء الحق ، ولا يكاد يفارقنى سؤال بعد ضياء الحق . باكستان .. الى أين ؟

وكل دوافع الواقع تبرر الاسى والقلق سواء كانت هذه الدوافع ترجع الى شخص ضياء الحق نفسه ، او الى واقع باكستان وماضيها .

فمن ناحية الرجل فى شخصه فقد كان يمثل ظاهرة .. هى ظاهرة الحاكم المسلم الذى يذكرنا بتواضعه ووداعته وحزمه فى نفس الوقت صورة الحكام المسلمين الأوائل

والرجل ١٠٠

الذين لا تبرهم أبهة الحكم عن التواضع والتقشف ، ولا تصرفهم السلطة الزمنية عن
العوامل الدينية .

رأيت في منزله سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) عندما كنت في وفد يرأسه فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المنعم النمر وزير الأوقاف حينذاك ويضم الأستاذ الدكتور محمد علي محبوب وزير الأوقاف الحالي ، والأستاذ محمود مهدي المشرف على الصفحة الدينية بالأهرام ، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد وأنا ، ولم يكن في حساب الوفد أن يذهب إلى باكستان بل كانت وجهتنا الهند ولكن الرئيس ضياء الحق فور أن علم بوجود الوفد في الهند رغب إلى سفيرنا المتهازر في باكستان في ذلك الوقت وهو الأستاذ عبد الرؤوف الريدي (سفيرنا الآن في أمريكا) أن يبلغ دعوة الرئيس ضياء الحق للشيخ النمر والوفد المرافق له أن يزور باكستان .

ولم يشأ الرئيس ضياء الحق بنفسه أن يطبق قواعد البروتوكول مع وفد يضم علماء من الأزهر فاستقبلنا في بيته المتواضع جدا وشربنا « الشاي » في حديقة البيت الصغير عصرا ولم يكف الرجل عن تقديره لمصر وحبها وتقديره للأزهر ودور مصر في العالم الإسلامي وكان واضحا اثفاقه وحبه الشديد على مصر في ذلك الوقت .

ولفت انظارنا بشدة تواضع الرجل وإصراره على أن يوصلنا إلى باب السيارة وإصراره على أن يظل واقفا حتى تغادر آخر سيارة في موكبنا مودعا لنا بكل حب وتقدير ،
اعلماء الاسلام .

ويقول الأستاذ محمود مهدي (أهرام الجمعة ١٩٨٨/٩/٢١) ان فضيلة الامام الاكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد بيصار عندما ذهب إلى باكستان خرج الرئيس ضياء الحق بنفسه

الى المطار ليكون في استقباله بأفضل مما يستقبل أى رئيس دولة قائلا « ان في العالم أكثر من رئيس دولة لكن ليس في العالم الاشيخ واحد للآزهر » .

وفوق هذه الملامح الشخصية كان دور الرجل في باكستان .

ولكى نلم سريعا بأبعاد هذا الدور وقيمه لابد أن نعطي فكرة سريعة عن نشأة باكستان وتطورها الى عهد ضياء الحق .

لقد كانت باكستان الشرقية والغربية معا جزءا من الهند تحت الحكم الاسلامى الذى كان يحكم شبه جزيرة الهند كلها بولاياتها العديدة دولة اسلامية واحدة قوية ، لا تقل في قوتها عن قوة دولة من الدول الخمس الكبرى في العالم الآن (التى تشكل مجلس الأمن بصفة دائمة) .

وجاء الاستعمار الانجائزى واستطاع الاستعمار أن يؤرث العداوة بين قوميات الهند واديانها العديدة خاصة بين المسلمين والهندوس أكبر الديانات في الهند بل استطاع أن يركز العداوة ضد المسلمين خاصة من الديانات والقوميات الأخرى لأن العنصر الاسلامى بالذات كان هو العنصر الذى تحمل أكثر من غيره عبء الكفاح ضد المستعمر (١) حتى أخرجه وحقق الاستقلال للهند .

ورأى المسلمون أن استئناف الحكم الاسلامى للهند القديمة الموحدة أصبح شيئا بعيد المنال بعد التغييرات النفسية والطبقية التى أحدثتها المستعمر في النفسية الهندية ، بل وجد هؤلاء أن استئناف المسلمين أنفسهم لحياتهم الاسلامية أصبح أمرا متعذرا ، وأصبح المسلمون يجدون أنفسهم عاجزين عن القيام بشعائهم الدينية كما يحبون ، وأن الفارق أصبح رهيبا بين قوم يقدسون البقرة ويحرمون ذبحها هم الهندوس وقوم آخرون يستحلون ذبح البقرة ويستلذون لحمها وهم المسلمون، وأن الفتن الطائفية التى يروح ضحاياها الكثيرون من المسلمين والهندوس على السواء باتت واقعا متكررا مقلقا .

من هنا انقسم المسلمون في الهند الى فريقين كبيرين :

— فريق يرى أن الحياة في الهند أصبحت جهادا — كما قال لى بعضهم — « الحياة في الهند جهاد » والموت فيها شهادة « وليس أحسن من الجهاد حياة ومن الموت شهادة فالحياة في الهند — في نظر هذا الفريق — خير للمسلم رغم المذابح والكوارث الطائفية .

وكان من رأى هذا الفريق أن استمرار العنصر الاسلامى في الهند وهى دولة واحدة استمرار للدعوة الاسلامية وسط طوفان الملايين الهندية ، لأن الاسلام أقوى من الهندوسية ومن أى دين في الهند .

(١) راجع د. عبد المنعم النمر . كفاح المسلمين في تحرير الهند

أما الفريق الآخر فكان يرى أن حياة المسلمين أصبحت مستحيلة ، ولا حل
إلا التقسيم .. تقسيم الهند إلى دولتين دولة إسلامية ودولة هندوسية وتجميع الديانات
الأخرى بحيث تقوم دولة إسلامية من الولايات التي يغلب فيها عدد المسلمين على عدد
الهندوس ودولة هندية من الولايات التي يغلب فيها عدد الهندوس على عدد المسلمين .

وكان رائد هذه الفكرة الدكتور محمد اقبال وكان أمله أن يجد المسلمون في دولتهم
الخاصة بهم فرصة لإقامة الدولة الإسلامية في هذا العصر ليرى العالم كيف يطبق الإسلام
تطبيقاً عصرياً لتكون هذه الدولة نموذجاً للإسلام في الحياة نموذجاً للإسلام في الحكم
نموذجاً للإسلام في سائر الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبحيث يكون النموذج
الإسلامي المعاصر نقطة ضوء للعالم الحائر وواحة للإنسانية التي عذبتها النظم الإنسانية
والمذاهب الوضعية العلمانية .. كان يريد من باكستان مرآة للإسلام .

وتحمست الملايين لحلم اقبال .. حتى أقبل كثير من المسلمين الذين يعيشون في
الولايات التي يغلب فيها عدد الهندوس على بيع أملاكهم ودورهم وهاجروا إلى الولايات
التي يغلب فيها عدد المسلمين والتي ستكون نواة لدولة باكستان الجديدة ، وفي المقابل أقبل
كثير من الهندوس الذين يعيشون في الولايات التي يغلب فيها عدد المسلمين على بيع أملاكهم
لل هجرة من هذه الولايات إلى الولايات التي يغلب فيها عدد الهندوس .

وشهد التاريخ أعداداً ضخمة من المهاجرين وحركة هي بالقطع من كبريات حركات
الهجرة في التاريخ .

وقامت دولة باكستان (حوالى ١٤٠ مليون نسمة) سنة ١٩٤٧ م .

وكان وضع هذه الدولة الكبرى غريباً ، فهي تتكون من شطرين : باكستان الشرقية
(حوالى ٧٤ مليون نسمة) في شرق الهند ، وباكستان الغربية في غرب الهند ويفصل بين
هذين الشطرين ولايات هندية تتبع دولة الهند بحيث يضطر المسافر أرضاً أو جواً بين شطري
باكستان إلى عبور أراضى هندية .

ولكن الإسلام ، والرغبة المتقدة في صدور المسلمين المخلصين أن تقام للإسلام
دولة ، يعيش فيها المسلمون ليرى العالم دولة إسلامية بكل ما في الإسلام من خير وسمو .

لكن للأسف فإن الدولة التي قامت على أساس الإسلام لم تجد فيها الشريعة الإسلامية
فرصة للتطبيق وظلت في نظام حكمها دولة علمانية .

وكان الغريب اللافت للنظر أن تفوز الأحزاب العلمانية ، بل اليسارية في الانتخابات
في أول السبعينيات (حزب الشعب بزعامة ذو الفقار علي بوتو ، في باكستان الغربية ،
وحزب عوامى بزعامة مجيب الرحمن في باكستان الشرقية) وكان هناك شيء ما خطأ



الرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق يمايق الدكتور عبد المعطى بيومى رئيس تحرير منبر الاسلام فى احدى زيارته لباكستان . ويرى فى الصورة السفير عبد الرؤوف الريدى والاسناد محمود مهنى محرر الصفحة الدينية بالاهرام .

فى الحياة السياسية فى باكستان ، كيف تفوز احزاب يسارية علمانية فى باكستان التى قامت لتكون اسلامية ، بل لتكون نموذجا للاسلام .

والاغرب من ذلك ان تعيش باكستان قرابة اربعين عاما وليس فيها تعليم اسلامى او جامعة اسلامية تعلم الاسلام واللغة العربية غير جامعات اهلية ضعيفة لا تستطيع بحال ان تواكب تطور دولة تريد ان تكون نموذجا للاسلام ، او تصوغ فيها شخصية المسلم الذى يسهم فى نمو وتقدم باكستان الاسلامية .

استشرت العلمانية اذن لتخطف باكستان من قلوب الباكستانيين واحلامهم ومشاعرهم واستشرى الفساد على يد العلمانيين الذين حكموا باكستان ، وضاعت الاحلام القديمة مما سبب اوضاعا شكى فيها الباكستانيون بعضهم من بعض ، وانفصلت باكستان الشرقية عن باكستان الغربية لتظهر دولة جديدة هى «بنجالاديش» . وتقلصت باكستان الكبرى فى باكستان الغربية وحدها تحت اسم «باكستان» .

المستشرق

البقية ص ٣٦

صَحَابَةُ الْإِسْلَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

«صدق الله العظيم»

نظرات ودراسات



تفسير سورة الأنعام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا
قُلْ إِنَّمَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعُرُونَ أَيَّانَهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَابْصُرَهُمْ كَمَا لَمْ
يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢﴾
* وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْنَى وَحَشَرْنَا
عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَسَاءَ اللَّهُ
وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿٣﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَجْوٍ
عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
زُحْرَفُ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ
وَمَا يَفْقَهُونَ ﴿٤﴾ وَلَيَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْعَادُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقُولُوا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿٥﴾ صدق الله العظيم

الكتبة/عبد الغني الملاح

قلنا أكثر من مرة ان سورة الأنعام سورة مترامية الأطراف واسعة الجنبات
كثيرة عدد الآيات وسور القرآن منها الطوال والأوساط والقصار . ثم انها نزلت
وجبة واحدة معها سبعون ألف ملك يشيعونها وكان من آثار ذلك اننا نجدها
ذات سياقات ومقامات ومعان تختلف وتتعدد وتتقلب من مقام الى مقام .
ونحن الآن كما قلنا في المقال السابق نتعامل مع نوع وقبيل من الآيات له نوع تخصص
واهتمام واقتصار على ذكر ما كان من التفاعل والمقاولات والاحتكاكات بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من جانب وبين كفار مكة من جانب آخر ماذا
يقال من كل جانب للآخر بعد ما سبق ذكره من مقامات بيان عظمة الله وقدرته وحكمته
في موجوداته وكنائنه وفلقه الحب والنوى وفلقه الاصباح وانزاله الماء تنبت به الزروع
والثمار ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (واقسموا) بمعنى حلفوا بالله جاهدين أنفسهم وبتجاهدين غاية اجتهدهم توكيدا وتشديدا على أنفسهم للوفاء بضمون القسم أنهم ان جاءتهم آية اى عجيبة تظهر على يد الرسول ويرونها «ليؤمنن بها» فيكونون مؤمنين برسالة الرسول ووجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم . والغريب هنا أنهم أقسموا بالله ولم يقسموا بالاصنام فكيف يقسمون بشيء لا يؤمنون به ويستوبونه ويعاندون رسوله ؟ وهذا ان دل على شيء فانما يدل على تفاهتهم وقبح موقفهم فلا هم بمؤمنين تمام الايمان ولا هم بكافرين تمام الكفر فهم في ريبهم يترددون «لوما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون» «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ايقولن الله» «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله» «ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله» وكانوا يقولون في حجبهم قبل الاسلام ليك اللهم ليك لا شريك لك الا شريكا تملكه وما ملك .

أما الغريبة الثانية فهي قولهم «ولئن جاءتهم آية ليؤمنن بها» كيف يقولون ذلك والآيات على صدق الرسول كثيرة واضحة ، الآيات القرآنية والآيات الكونية كانشقاق القمر حيث يقول تعالى : «أقتربت الساعة وأنشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» .

القر ١ - ٢

والجواب عن هذه الغريبة أنهم يقصدون خصوص الآيات التي اقترحوها بالذات كان يكون معه كنز أو ملك مصدق أو يفجر لهم الارض ينابيع أو يكون له بيت من زخرف أو يحل الصفا ذهبا أو نحو ذلك مما تحدثت عنه بعض الآيات القرآنية كمثل ما في قوله تعالى :

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا
أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ
خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۖ أَوْ تُسْفِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالَهُ وَالْمَلَكُ قَبِيلًا ۖ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَعِ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيلِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرؤه

الاسراء ٩٠ - ٩٣

هل ارعوى الكفار وانزعجوا وتنبهوا الى ما يراد منهم مدعوهم بالادلة والبراهين ، أو تهادوا في غيهم وضلالهم وعنادهم ؟ فكان المقام الثاني عقب ذكر المقام الاول كما بين جميع المقامات في السورة من الروابط والمناسبات ما يؤكد لنا نظرية الوحدة العضوية في السورة القرآنية ولا نقول الوحدة الموضوعية وقد سبق ان شرحنا ذلك شرحا وافيا فلا نريد الاطالة باعادة ذكره ، فالمقامات المختلفة في السورة والمتنوعة مثلها مثل الاعضاء في الجسد الواحد لكل عضو شخصيته المستقلة لكن الجميع في النهاية ينشد بعضه الى بعض ويرتبط ببعضه ببعض برباطات وثقى ليشكل جسدا واحدا ، كالحجرات في بيت واحد ، والأزهار والورود في باقة واحدة . والنجوم في السماء في اشكال مختلفة .. ثريا وعقرب وعمسا وعنقود ملاحية حين نورا وعقد منتطق كما جاء في الشعر العربي القديم في وصف الثريا والجوزاء ثم نهر المجرة وانهاره كما جاء في قول الغائل :

أو ما ترى نهر المجرة سائلا
منه على طول الجوانب انهر

ومن هذا الباب وان كان عسير الادراك عند بعض الناس النفقات والأجراس الصوتية الصغرى التي يتكون منها اللحن الموسيقي الواحد المتميز الذي يضم النفقات الصغرى في جسد واحد يجعل منها وحدة عضوية له .

ثم انه استمرارا لما مضى ذكره في مقالنا السابق من أحوال كفر مكة وأقاويلهم الفاسدة وسبهم لله بغيا وعدوا بغير علم مع رد الآيات عليهم وتحذيرهم من الضلال وسوء الحال والمآل جاءت هذه الآية ١٠٩ من سورة الأنعام تقول في هذا الصدد :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ

الواو عاطفة لأحوال على أحوال واقوال على اقوال والتقدير كان ما سبق ذكره عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم ، عجيبة جديدة من عجائبهم وان شئت فقل تبيحة جديدة من قبائحهم التي يتوهمون أنهم بها يفتنون في عضد المسلمين أو يخرجون

ونجد مثل هذا المعنى المذكور في سورة أخرى في قوله تعالى :

وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ أَبِي بَكْرٍ

أَيُّهُمْ لَيْنَ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيْكُونُ أَهْدَىٰ مِنْ أَهْدَىٰ الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۚ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَحْدِلَ سُنَّتُ اللَّهِ ۚ تَبْدِيلًا ۚ وَلَن تَحْدِلَ سُنَّتُ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

فاطر ٤٢ - ٤٣

ولما كان ذلك منهم اقتراحا لجيء آيات بعينها يطلبونها مشعرا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه يودون لو نزلت هذه الآيات ليحصل منهم الايمان والاجتماع على الاسلام فيكون ذلك احسن حالا واهدى سبيلا ثبت الله نبيه صلى الله عليه وسلم على الحق والواقع وقال له : قل لهم في جواب ذلك : انما الآيات من عند الله هو الذى ينزلها بعلمه وحكمته واما انا فليس لى دخل فى نزول الآيات التى تطلبونها . وما انا الا نذير مبين . ثم قالت الآية مخاطبة المسلمين الذين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ربما ودوا ان لو نزلت لهم هذه الآيات ليحصل منهم الايمان فقال الله لهم فى نفس هذه الآية : وما يشعركم بمعنى ما يدريك انها اذا جاءت لا يؤمنون ، وحين ذاك لا فائدة فى اجابتهن الى ما طلبوا وعدم ايمانهم يكون على مقتضى ما سبق فى عليه تعالى من انهم لا يتوجهون الى الايمان فيؤمنوا .

ثم تقول الآية ١١٠ :

وَنَقَلَبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

وهذه معطوفة على سابق قوله تعالى : « لا يؤمنون » والمعنى اذا جاءت الآيات لا يؤمنون بها وتقلب أعينهم وابصارهم بمعنى أن أفندتهم وابصارهم تتقلب بارادة الله عن الحق وتنصرف الى الباطل ، والأعندة بمعنى القلوب جمع فؤاد والابصار جمع بصر . فرؤيتهم القلبية تتردد وتتقلب ورؤيتهم البصرية كذلك لا تهديهم الى معرفة الحقائق وذلك على نحو ما كان منهم من عدم الايمان اولا وقبل نزول الآيات التى يطلبونها . الحالة هى من عدم ايمانهم وتقلب أفندتهم وابصارهم قبل نزول الآيات وبعد نزول الآيات .

ثم قال تعالى : « ونذرهم » بمعنى : نتركهم فى طغيانهم وضلالهم وعمايتهم عن الحق يعمهون مترددين تحيرا واضطرابا يخلو الله بينهم وبين ذلك لانه شئ اختاروه بحض ارادتهم وسوء اختيارهم . والعمة هو عمى البصيرة والعمى هو عمى الابصار .

ثم تأتى الآية ١١١ فتقول متوسعة فى شرح هذه المعانى وسوق الافتراضات التى لو حصلت كما اقترحوا ما كان منها فائدة لسوء اختيارهم وتعطيل ملكاتهم واظهارهم العمى على الهدى فما كان الله ليجبرهم على الحق ويسلط عليهم مشيئته فى تحصيل ذلك فقالت الآية الكريمة :

* وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتُ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

الانعام : ١١١

والمعنى . لو اننا يقصد الله نفسه العلية وذاته العلية نزلنا اليهم الملائكة كما طالبوا فكلوهم شفاها عيانا بيانا . وكذلك لو احيينا الموتى من القبور فكلوهم شفاها عيانا بيانا وحشرنا بمعنى جمعنا عليهم كل شئ من قبيل الآيات قبلا جمع قبيل كانه ساق هذه الاشياء اليهم قبلا قبلا ليؤمنوا « ما كانوا » اى ما صح وما استقام وما وقع منهم الايمان لانهم ما طلبوا

هذه الآيات الا تعنتا وتمجيزا واحراجا لرسول الله .

أما قلوبهم فمطمئنة بالكفر والضلال والاصرار عليه مهما راوا من الآيات ، اللهم الا ان شاء الله ايمانهم مشيئة اجبار . لانه وكلهم الى مشيئتهم وعلى نفسها تجنى براقتش .

والكفر أو الايمان مسئولية شخصية وبالارادة الذاتية المستقلة . هذا هو الحق والواقع ولكن اكثرهم يجهلون ذلك فيتخبطون ويريدون القضاء التبعة في شركهم على المشيئة الالهية كما تحدثت عن ذلك آيات أخرى في مثل قوله تعالى :

سَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ كَذَبَ الَّذِينَ مِنَ الْقِبْلِهِمْ حَتَّى دَاوُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾

الأنعام : ١٤٨

ثم تأتى الآية ١١٢ فتقول :

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾

والمعنى ومثل ذلك الذى حصل معك من عداوة المشركين لك واقتراحاتهم وتعنتهم وعداوتهم جعلنا لكل نبي من الانبياء والمرسلين السابقين عدوا لدودا مشكلا من شياطين الانس والجن متعاونين في الاضلال واللقاء الشبهات والمحاورات والمقاومات والمعارضات « يوحى » بمعنى يوسوس ويلقى بعضهم الى بعض زخرف القول الموه بالباطل والمزخرف بالكذب غرورا ليغروا غيرهم ويخدعوه وتلك سنة الله في خلقه . وما كنت بدعا من الرسل وما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك .

وذلك كله بمشيئة الله وحكمته لانه خلى بينهم وبين مشيئتهم وارادتهم التى هى أساس مسئوليتهم ومحاسبتهم . ولو شاء ربك عدم فعلهم هذا ما فعلوه ولكنه لم يشأ ذلك نفيا للجبر وابقاء على الحرية والمسئولية الشخصية :

فَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿١٠٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿١٠٥﴾

الزلزلة : ٧ ، ٨

فاذا كان ذلك كذلك يا محمد فذرهم بمعنى اتركهم ودعهم مع ما يفترون من الكفر وغيره من الالاعيب والفلسفات الشيطانية فانهم لا يضرؤك ولا ينالون منك ، وانهم لا يكتبؤك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .

ثم تأتى الآية ١١٣ فتقول :

وَلْيَصْغُرْ إِلَيْهِ أَفْعَدُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

والمعنى : فذرهم وما يفترون وليعرض المؤمنون عن افتراءهم وزخرف قولهم فلا يفترون به ولتصغى اى تستمع اليه وتؤمن به افعدة قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة لانها مهياة لقبول ذلك ومستعدة . وليرضوه ويعتقدوه وليقترفوا ويكتسبوا بسبب ذلك من الذنوب والمعاصى ما هم مقترفون بمعنى : ليرتكبوا ما هم مرتكبون فانهم لا يضرؤن الا انفسهم « فاعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى . هذا وبالله التوفيق .

ملحوظة :

في مقال عدد ذى الحجة لسنة ١٤٠٨ هـ العدد ١٢ السنة ٤٦ ، وفي تفسير سورة الأنعام وقع خطأ غير مقصود في طبع المقال حيث كان المقال في تفسير الآيتين ١٠٤ ، ١٠٥ ، فجاء بعض تفسير آية ١٠٥ في ثانيا تفسير آية ١٠٤ ولعل ذلك لا يخفى على ذكاء القارئ .

ونعتذر عن هذا الخطأ .

التحرير

لغة

القرآن والسنة

بيان

تخطيط الأعداء وجراد أهل الفيرة

الكنز أحمى عمره هاشم

لغة العربية منزلتها الرفيعة ومكانتها السامية ، التي لا تطاولها مكانة بين لغات الدنيا ، وكفى لا ، وهى اللغة التي اختارها الحق تبارك وتعالى ، لكتابه المبين ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فقد جعل الله تعالى كتابه الكريم قرآنا عربيا محمدا الحكمة في ذلك ، وهى أن يكون واضح المعنى ، يعقله كل

من يقرأ فيه ، أو يتدبر معانيه ، قال سبحانه وتعالى مقسما بكتابه :
﴿ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ وَإِنَّ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدَبْنَا

سورة الزخرف آية ١ - ٤

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

والتعقل ، والاعتبار والتذكر ثم أخذ بيده - ثانيا - الى معرفة ربه وعبادته ، والى الايمان به وتقوى الله .

فانه - ثالثا - يبشر السائرين على هديه العاملين به ، المطبقين لمبادئه . وينذر الذين حادوا عن دعوته وندوا عن منهجه ، فان آياته المفصلة الواضحة قد ميزت الحق من الباطل ، والخير من الشر والحلال من الحرام ، قال تعالى :

﴿ كُنُزٌ

فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿

سورة فصلت ٣ - ٤

وكما يصل القرآن بقرائه والمتدبر فيه ، الى التذكر والتفهم والاعتبار ، فانه بعد أن يرقى بالانسان الى الغاية المنشودة ، والفضيلة الام وهى « التقوى » كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ

صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ

يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴾ ﴿

سورة الزمر ٢٧ - ٢٨

واذا كان القرآن الكريم بلغته العربية المبينة ، واسلوبه الالهى المشرق ودعوته الى الحق والرشد قد أخذ بيد الانسان - أولا - الى الفهم

هجر اللغة العربية وإثارة بعض الدعاوى الباطلة التي تقول بأنها صعبة وعسيرة وأخرى تقول بأنها لا تستجيب لمتطلبات الحياة ، وهكذا .

وإذا اسوقنا تلك الدعوات الباطلة ، وقلنا : وما السبيل إذا ؟ .

فيكون الجواب : أن نستبدل بها اللغة العامية بلهجاتها الدارجة ، وكلها كما نرى دعوات تطفح بالحق على الإسلام وتراثه ولغته ولم يعد خافيا على أحد من الناطقين بهذه اللغة ولم يعد خافيا على المسلمين تلك المحاولات والحملات في غزوها الفكري أو تخطيطها العدواني .

وقد بقيت اللغة العربية بحمد الله حاملة أشرف تراث ، لم تزل منها ضربات أعدائها ، لأنها أرسخ قديما من أن تصاب بشيء وأعظم أثرا ، وأعز جندا .

أنها أغنى لغات الدنيا وأوفى بحاجات الحياة ومتطلباتها وهي التي حملت التراث الضخم العظيم قرونا متطاولة لم تتعثر لها خطوة ولم يخفت لها بريق .

أنها ثرية بالفاظها ومعانيها واشتقاقاتها تحتوى على كل ما هو حسي ومعنوي وهي لسان حق وصوت صدق ، وهي بعلومها تمثل السياج المنيع والمفعل الحصين للإسلام وتعاليمه فالزود عن حماها جهاد في سبيل الحق ، وفي سبيل الكتاب والسنة .

خطر الدعوة إلى العامية :

ودعاة العامية — اليوم — إنما هم امتداد لمن سبقوهم من حملة المعاول المتسلطة ، الذين أرادوا أن يدكوا قلاع هذا التاريخ الشامخ ، وأن يفصلوا تلك العرى الوثقى التي حملت اللغة العربية التعبير الحقيقي لها ، وكانت اللسان المتجاوب في شتى الأقطار العربية والإسلامية والمترجم لآمال الإنسانية على مر أدوار تاريخها .

وإذا كانت الدعوة إلى العامية واستبدالها بالفصحى يعنى الخطر الداهم على الدعوة الإسلامية وهذا ما يطمح له الاستعمار والصليبية وما تستهدفه الصهيونية والشيوعية ، فإن هناك خطرا آخر يترتب على ذلك أيضا وهو فصحهم أهم روابط التضامن الإسلامي والوحدة بين البلاد الإسلامية ذلك لأن اللغة الفصحى إذا أهملت وحل محلها اللغة العامية سيتعذر التفاهم والتواصل، وتنضب روافد العلم والفكر والأدب بين البلاد وفي هذا تذويب للشخصية وتخريب وتغريب .

وان اللغة العربية ، كما هي لغة القرآن الكريم ، فهي لغة الحديث النبوي الشريف الذي يمثل المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ، بعد القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وسلم قد أوتى جوامع الكلم ، « وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحى يوحى » .

واللغة العربية — كذلك هي لغة الأدب العربى الرفيع والحكم الفاضلة ، والذوق المستقيم ، إنها الوعاء النقى الذى نقل إلينا أشرف وأعظم تراث عرفته البشرية منذ وجودها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ومن أجل هذه المكانة العالية فإن سلفنا قد أولوها كل عناية ورعاية بحثا وتاليفا ، وتدوينا وتعريفا بأصولها وقواعدها وما يتصل بها من دراسات دقيقة وعميقة بيد أن هذه الدراسات يجب أن تفتح عينها جيدا على ما يحاك للغة القرآن ، وما يدبر لها من أعداء الإسلام من مخططات حاكمة مكررة .

مخططات ضد لغة القرآن :

ان تلك المخططات حاولت من قبل — تصويب سهامها نحو القرآن نفسه ، فرد الله كيد الأعداء في نحورهم ، لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى تكفل بحفظ كتابه الكريم قال تعالى :

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » .

غلبا لم يجدوا أملا في اقتحام حصى القرآن ، راحوا في محاولات يائسة ، وخطى لاهثة حول السنة الشريفة ، ليحاولوا الدس أو التحريف أو التلويح لبعض الدعاوى الباطلة ، والشبه الواهية التي لا أساس لها .

ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه ، لم يكن ليدع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهي المبينة للقرآن فتصدى لهؤلاء الأعداء قديما وحديثا من أئمة الحديث وحفاظه من صانوا السنة من الدخيل وحفظوها من الترهات والأباطيل .

فماذا بعد يصنعون ؟ انهم نظروا الى هذا التراث الإسلامى العريق ، وإلى هذا الدين القيم الخالد ، فوجدوا أنه من اقصى اسباب رفعة المسلمين وعزتهم فخططوا للإبعاد عنه أو تفرغ المسلمين منه ، ذلك أنهم وجدوا الوعاء الذى يحمل هذا التراث إنما يتمثل في اللغة العربية فعملوا جاهدين على القضاء على تلك اللغة ومن هنا انطلقت الدعوات المغرضة المسفهة تدعو الى

العناية بمناهج اللغة في كل مراحل التعليم في سائر البلاد الإسلامية والتركيز على تربية الأجيال على أساس الكتاب والسنة وفهم أصول الإسلام وتعاليمه ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق اللغة ورعايتها فإن اللحن في اللغة العربية يترتب عليه ضياع المعنى وعدم فهمه ولقد كانت اللغة العربية إلى جانب مهمتها العالية ورسالتها الشريفة في حمل تراث الإسلام ، وترابط الأمة الإسلامية على وحدة كبرى تجمع سائر الأقطار في إطار واحد ، إلى جانب هذا ، كانت تمثل سلاحاً قوياً - في صدر الإسلام يرد كيد الأعداء وينافخ عن دعوته الحق بالقصيدة العربية الفصيحة والشعر العربي الأصيل فنادى بها حاول أعداء الإسلام النيل منه عن طريق اللسان بعد السنان ، كان على المسلمين أن يجاهدوه بمثل ما يحاربونهم به ، ولذا فإن القرآن الكريم عندما أبان شأن الغاوين والضالين ، من أعداء الإسلام ونفى عن القرآن كونه شعراً ونفى عن الرسول صلى الله عليه وسلم كونه شاعراً رداً لما يثار حول القرآن أنه شعر وحول الرسول من أنه شاعر وإن ذلك كله لا أساس له ، فقد قال الله تعالى :

وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا

يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾

سورة يس - ٦٩

وحين بين القرآن شأن المضلين من الشعراء الذين حاربوا الدعوة الإسلامية وجعلوا شعرهم في النسيب والفرز وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب ، استثنى الله تعالى شعراء الإسلام الذين حملوا لواء اللغة العربية وصاروا بها نحو الحق ، ودافعوا عن الإسلام ورسوله وعن الدعوة والمسلمين .

وكان شعرهم آنئذ يمثل السلاح الذي لا بد منه في حينه وفي كل وقت قال الله تعالى :

وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ

الْغَاوُونَ ﴿٢٢٦﴾ الرَّزَّازِينَ فِي كُلِّ وَادٍ يَجْعُونَ ﴿٢٢٧﴾

وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٩﴾

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٠﴾

سورة الشعراء ٢٣٤ - ٢٣٧

وقد لعب المستشرقون دوراً خطيراً في الدعوة إلى العامية ومحاوله تجريد الفصحى ، وانخدع ببريقهم الكثير ممن فتن بالمحاكاة ووقع فريسة التبعية والتقليد واتخذوا لذلك محاور مختلفة فمرة يتجهون إلى الأدب الأصيل وأخرى للقصيدة العربية العريقة التي تميزت بالوزن الرصين والثقافية الثابتة ونادوا بالتحضر من الوزن والقافية ، وطفى على سطح الأدب المعاصر ما يسمى بالشعر الحر ، وأخذ هذا اللون في الهبوط والأسفاف لدرجة تخلى فيها تماماً عن المعاني النبيلة والقيم الرفيعة ، وراح هذا الفكر يتحلل من الأدب نفسه متبرداً على اللغة وأصولها وأهدافها وتتفتح بالالفزاز والتجويه والاعراء في الغموض إلا ما يظهره من معاني الخلاعة والمجون ، ومحاولاً صياغته في قالب براق ليستهوئ الشباب وعشاق الكلمة النابضة الحياة وهو في داخله ينطوى على السم والضياع .

ان مخططات أعداء الإسلام اليوم اذ تتكشف في كل جوانبها ، ويتصاعد منها هذا الدخان افاقم لتأخذ في شكل ظالم متججج ، لا ينبئ السكوت عليه من كل غيور على دينه وتراثه .

جهاد أهل الفرية :

وليس معنى هذا أن أبناء الإسلام أو اللطافين بالضاد قد وقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما يحاك لدينهم ولغتهم ، لا فانهم لأعدائهم بالمرصاد . ولطالما ردوا وجاهدوا في هذا الوطن جهاداً كبيراً منهم من قضى نحبهم ومنهم من ينتظر وانا على الدرب سائرون .

وانا لتأخذ على عاتقنا - ونحن بين طلابنا أن تكون اللغة العربية وسيلة التخاطب والتدريس والتفاهم ، ونبت روحها وتعبيرها والجهاد من أجلها في سائر المجالات حفاظاً على لغة القرآن الكريم وتعميداً للطلاب على النطق الصحيح بها والتفاهم على ضوءها .

ونحن إذ نحمل تلك الأمانة لنؤديها خير الأداء ففى ذلك تدعيم وتقوية للنهوض بها وصد كل الحملات الطائشة والظالمة التي تبيت لها . ان هذه المهمة التي يقوم بها كل مدرس أو استاذ بين تلاميذه وكل داعية بين قومه انما تمثل تجنيد الطاقات وتجميعها في اطار واحد لمجابهة عدو لدود وبدون هذا التدعيم وغيره من الوسائل الأخرى لا يمكن مناهضة تلك الموجات السافرة التي تحاول اجتياح اللغة وآدابها متسربة إلى أصول تراثنا العريق .. كما يجب

نظرات

في

سُورَةُ الْمُهْتَجَةِ

الدكتور محمد إبراهيم الجوشى

سورة المتهتجة تنظم العلاقات بين المجتمع الاسلامى والمجتمعات غير الاسلامية، وتقوم هذه العلاقة على اساس المواقف التى يلزم بها غير المسلمين نحو المسلمين، فان كانوا محاربين للمسلمين معادين لهم يتربصون بهم الدوائر وينتهزون الفرص للانقضاض عليهم والنيل منهم فان الاسلام يحرم على المسلم ان يكون بينه وبين هؤلاء مولاة ومناصرة ، لان ذلك قد يقضى الى ان يتعرفوا منه على اسرار المسلمين الحربية او الدفاعية او اوضاعهم السياسية والاجتماعية مما يترتب عليه خطر على امن المسلمين وسلامتهم ، وهذا الامر الذى سماه الاسلام الموالاة للعدو هو ما يعبر عنه في المصطلحات السياسية المعاصرة بالخيانة حين تثبت صلة أحد أفراد دولة ما باعدائها.

المسلمين لهم مالهم وعليهم ما عليهم فعلاقة المسلمين بغير المسلمين قائمة على التسامح والنظرة الانسانية الرحبة التى تعطى لغير المسلمين كامل الحقوق التى يتمتع بها المسلم بل وتضيف الى ذلك التزام المسلم بحماية مواطنه الذمى وحرمة ماله وعرضه ودمه وحرية فى ان يبائر شعائر دينه حسب ما رسمه له كتابه وقامت عليه شريعته ، وهذا الحكم قد جاءت به الآيات فى وضوح تام حيث قالت :

لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ

فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا

أما اذا لم يكن هناك حرب بين المسلمين وبين غيرهم ولا عدوان من الآخرين عليهم فان الاسلام لا يمنع من الاتصال بهم والتعامل معهم بل وبرهم والتزام العدل فى معاملتهم وحمايتهم من العدوان عليهم ان كانوا يعيشون بين المسلمين لانهم فى ذمة الله ورسوله وقد سجل التاريخ ان بعض الصحابة رأى ذميا يعتدى عليه غانبرى يقاتل من اعتدى عليه ويقول فى غضب الا تخفر ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا حى وقد قسم العلماء المخالفين فى الدين الى ثلاثة اصناف محاربين ، ومعاهدين ، وذميين ، فالمحاربون هم الذين تحرم موالاتهم ومناصرتهم لما قدمنا والمعاهدون لهم عهدهم وميثاقهم ماداموا محافظين على العهد والذميون هم الذين يعيشون بين

قالت : « أو قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ».

ثم انتقلت الآيات إلى أمر آخر يتعلق بالنساء المهاجرات إلى المدينة من مكة بعد صلح الحديبية، وكان الصلح ينص على أن من جاء إلى النبي من أهل مكة أعاده إلى قريش ، فأخبرت الآيات أن هذا النص ينصب على الرجال فقط أما النساء غير داخلات تحت هذا الحكم لأنهن لا يحل لهن أن يتزوجن بغير مسلمين وأنهن بمجرد أن أسلمن قد انفصمت عروة الزواج بينهن وبين أزواجهن من الكفار لذلك لا يردهن المسلمون وعليهن أن يمتحننهن فإن تبين لهن صدق إيمانهن ، « لا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهن ولا هم يحلون لهن » ، ثم يدفعون للكفار ما قدموه لهؤلاء النسوة من صدقات إما إذا أسلموا فمن حقهم أن يستمروا معهم في حياتهم الزوجية .

وإذا أراد أحد المسلمين أن يتزوج من هؤلاء النسوة اللاتي جئن مهاجرات فلا مانع من ذلك بشرط أن تنقضي عدتهن وأن يدفعوا لهن مهرهن ، وكذلك لا يحل للرجال المسلمين أن يبقوا على زوجاتهم الكافرات ، ولهم أن يستردوا ما أنفقوه عليهن أن ذهبن إلى الكفار وواتت الفرصة للمسلمين في الحصول على عوض ما أنفقوا من مال الكفار ، ولا تتوقف الآيات عن تذكير المؤمنين بالتقوى ومراعاة الحق والعدل حتى في معاملة الأعداء لأن ذلك هو خلق الإسلام ومنهجه .

ثم انتقلت الآيات إلى تسجيل أمر وقع بعد فتح مكة وهو أن النساء جئن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبائعهن على الإيمان والالتزام بما يدعو إليه من قيم وأخلاق عند ذلك أمر الله نبيه أن يبائعهن على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنبن ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن (كان ينسبن اللقيط إلى الزوج وأن يلتزم بكل أمر شرعه وخلاصة هذه الشروط الالتزام بنقاء العقيدة من الشرك والالتزام بالسلوك القويم والخلق المستقيم والحرص على سلامة الأنساب مما يقوم حياة الفرد ويوجه سلوك المجتمع نحو النظافة والاستقامة واحترام حقوق الآخرين .

فإن التزم بذلك فإن رسول الله سيستغفر لهن الله الغفور الرحيم ، وأكدت السورة في ختامها ما افتتحت به من عدم موالاة أعداء الله الذين ينسوا من الآخرة كما ينس الكفار من أصحاب القبور .

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

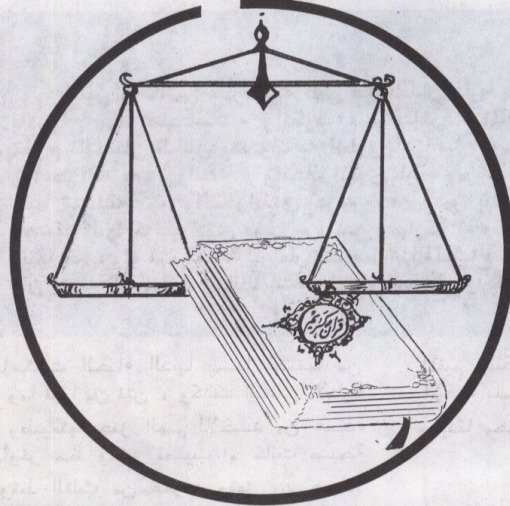
المتحنة : ٨ ، ٩

وسبب نزول هذه السورة أن حاطب بن أبي بلتعة بعث بكتاب إلى أهل مكة مع امرأة فقيرة يقول فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوكم فخذوا حذركم ، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فأرسل عليا وعمارا في جماعة المسلمين ليلحقوا بها ويأخذوا منها الكتاب قبل أن يصل إلى أهل مكة ، فلما لحقوا بها واستردوا الكتاب استدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وسأله : ما حملك على ذلك ؟ فقال يا رسول الله ، والله ما كفرت منذ أسلمت ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم ، ولكني كنت رجلا غريبا في قريش ، ولئى أهل بينهم أخشى عليهم منهم وغيرى لهم قرابات اقوياء يحمون بها أولادهم وأموالهم فأحببت أن أقدم لقريش يدا أحمى بها قرابتي ، فصدقه الرسول وقبل عذره لأنه ممن شهد بدرا ، فنزلت السورة ترسم الطريق كيف تكون العلاقة بين المسلمين وغيرهم على نحو ما فصلنا من قبل .

وقد بينت السورة السبب في النهي عن اتخاذ أعداء الله وأعداء المؤمنين أولياء وأنصارا وهو أنهم كفروا بها جاء به الرسول من الحق ، وأنهم أخرجوا الرسول والمؤمنين من مكة بسبب إيمانهم بالله واليوم الآخر ، وأن الذين خرجوا ابتغاء مرضاة الله لا يصح لهم أن تجمعهم مودة مع من يكفرون بالله ويناصبون الله ورسوله العداء ، ثم عرضت الآيات لما انطوت عليه أفئدة مشركى مكة نحو المؤمنين وأنهم لو أمكنتهم الفرصة منهم فسيعاملونهم معاملة الأعداء ويؤذونهم بأيديهم والسنتهم ، ويودون لو أنهم يعودون إلى الكفر ، وهذه القرابات والأرحام لن يكون لها اعتبار عند الله يوم يجمع الناس ليوم لا ريب فيه فواجب المؤمنين أن يقيموا علاقاتهم بغيرهم على ضوء موقف الآخرين من دين الله يسالمون من سالمهم ويعادون من عاداهم .

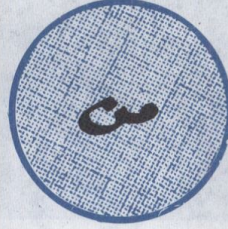
ثم انتقلت الآيات إلى لفت انتباه المؤمنين إلى طريقة أبى الأنبياء إبراهيم ومن كان معه من المؤمنين وأن يحذوا حذوهم يتأسوا بهم من حيث

الحياة



ظلال التشريع الإسلامي

سني الهدي الهدي في الإنسان



شيخ إبراهيم الدسوقي

الدين الاسلامي فطرة الله التي فطر الناس عليها منذ خلقوا في هذه الحياة . فالأرواح منهم صافية . والقلوب فيهم طاهرة . والنفوس زاكية راضية . . . وإنما تخرج بالإنسان السبل وتحرف به الطرق بأعراضه عن صوت الحق في داخله وواعظ الله بين جوانحه . واتخاذ الهوى بلبه ومرشده . والاستجابة لما يمليه عليه شيطانه . . والانخراط في حربه . فهو كمن بيده مصباح في زجاجة هي قمة الصفاء كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار فإن استعمال هذا المصباح هداه الطريق . وجنبه العثرات . وإن أهمله ظل يتخبط في الظلمات . وتعرض للمخاطر وأحاطت به الملمات .

المقيم ومنذرين المعرضين بالشقاء في الدنيا وفي الآخرة بالعذاب الاليم . قال تعالى لصفوة خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

فَذَكِّرْ

إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا

مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

إِنْ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

سورة الفاشية - ٢١ - ٢٦

ولما كانت الحياة الدنيا بما اكتنفها من مغريات وما فيها من فتن . وكانت النفس الامارة بالسوء وطبيعتها حفز الهمم للأخذ من هذه الدنيا بأوفر حظ وأكبر نصيب . كانت صيحة الحق توقظ القلب من غفوته وتهز من هذا الإنسان مشاعره وتنفض عنه غبار غفلته فتشرق بالخير دخيلته . وتنبئ بصيرته - كانت هذه الصيحة - وهي التي تأخذ به إلى حيث الأخيار فينخرط في سلوكهم ويهضي معهم في طريقتهم ويحيا حياتهم وينعم بجوارهم وينهل من وردهم . وتلك لعمري دعوة الخير التي بعث الله بها رسله مبشرين من استجاب لها بالفوز العظيم والنعيم

سبحانه يحب اعمال البر فيجازى عليها بالتوفيق لما يحبه ويرضاه ويبغض اعمال الفجور فيجازى عليها بالضلال والشقاء ويحرم صاحبها نعمة التوفيق فلا يهتدى الى خير تحدد فى الدنيا او فى الآخرة عقابه .
وقوله تعالى :

« انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من

يشاء » .

القصص : ٥٦

اى انك لا تهدي من احببت من الناس ولا تدخلهم فى حظيرة الايمان انما عليك البلاغ والدعوة الى الله وبيان احكام الشريعة الغراء « ولكن الله يهدي من يشاء » ويوفقه ويشرح صدره للاسلام .
قال تعالى :

أَوْ مَن كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَاهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ
فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا
الأنعام — ١٢٢

اى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء « نعم » الله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة . وهو أعلم بمن عنده الاستعداد للخير فيهديه ويوفقه . فله العلم الكامل بخفيات القلوب وبذات الصدور وهناك نماذج من كتاب الله نرى منها ان الله عز وجل اذا اراد بعبد خيرا فتحت منه منافذ العلم واستيقظ منه العقل وافاق القلب فاصاخ لدعوة الخير واستجاب لكل ما يوجه اليه من نصح . قال تعالى : « هو الذى يرىكم آياته » من الريح والسحاب والبرق والصواعق ونحوها . « وينزل لكم من السماء رزقا » وهو المطر لانه سببه « وما يتذكر الا من ينيب » اى وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة التى جعلها الله تحت سمع وبصر الانسان لتكون دليلا على كمال قدرة مبدعها . « الا من ينيب » اى لا ينتفع بهذه الآيات الا من اعمل عقله وفتح قلبه وتفكر فيما اودعه الله فى تضاعيف مصنوعات وتاب الى رشدته وثم يهتدى الى الايمان بالله رب العالمين .

ان الآيات انما تنفع النفوس التى لديها استعداد لقبول الحق ورغبة فى طلبه اما النفوس الخبيثة التى يفضحها الحق ويؤلمها فان هذه الآيات لا تزيدها الا مرأى وجدلا فى القول ، وجحودا وعنادا بالفعل :

لقد كانت مهمة الرسل وخلفائهم من بعدهم البلاغ عن الله عز وجل ذلك البلاغ الذى يكشف ماران على القلوب فترى بنور الله الحق مفتبحة . والباطل مفتنر منه وثم ينطلق من الانسان بنداء التوحيد لله لسانه . وتهرع لفعل الخيرات جوارحه . فى حب وشوق ، ويغفر من المنكر كما لو ان سبعا ضاريا يطارده ليفترسه ويقضى على حياته .

قال تعالى :

« من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام »

الأنعام — ١٢٥

يقال شرح الله صدره فأنشرح اى وسعه لقبول الايمان والخير — اى فمن يرد الله ان يهديه للحق ويوفقه للخير يشرح صدره للقرآن ويوسع قلبه للايمان ويسهله عليه بفضلته وكرمه ولطفه واحسانه . فعند ذلك يستنير الاسلام فى قلبه . ويتسع له صدره . وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال : (هو نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فيشرح له وينفسح . قالوا فهل لذلك من اشارة يعرف بها ؟ قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت) وهذا يكون من حسنات فطرته وكان فيها استعداد للخير وميل الى اتباع الحق .

اما من فسدت فطرته وساعت نفسه اذا طلب اليه ان ينظر فى الدين ويدخل فيه . استحوذ عليه الشيطان فاستمسك بباطل التقاليد وتكبر وعاند واستولى عليه الحسد والغرور ووجد صدره ضيقا اشد الضيق وتكون الاستجابة لداعى الخير عنده ثقيلة فشعر بضيق شديد وخرج كثير كانه كلف من الاعمال ما لا يطيق او امر بصعود السماء وقيل ان هؤلاء اذا طلب منهم الاسلام وكلفوا به يكون حالهم كحال الصاعد فى طبقات الجو المرتفع فى السماء كلما ارتفع وخف الضغط عليه شعر بضيق فى النفس وخرج فى القلب . وذلك فى قوله سبحانه :

« ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا

كانها يصعد فى السماء » .

فاعمال القلب والجوارح سبب الايمان . وهى بعد سبيل الهداية والاضلال كما ان اعمال البر سبحانه يحب اعمال الخير فيجازى عليها بالتوفيق لما يحبه ويرضاه ويبغض اعمال الفجور

ينتفع بهداية القرآن المتقون الذين امتلأت قلوبهم بالخشية لربهم فيزدادوا بهداية القرآن هداية ويصيبوا بما فيه عزا وسعادة في الدنيا وفي الآخرة ويضع لهم الله القبول في الأرض وفي السماء .

وهكذا فمن استقام على طريق الأخيار وأطاع الله خالقه أذاقه الله حلاوة الطاعة فأقبل عليها وازداد منها . وما مثله الا كرجل ذاق حلاوة مطعوم او مشروب فتأقت نفسه الى المزيد منه والأخذ بأوفر قدر وأوفى نصيب .

فكنك الايمان . له حلاوة والطاعة لها حلاوة لا يحس طعمها الا من تذوقها ومن ثم تشاقى نفسه الى طاعة ربهما والسبق اليها كما يشاق العاشق لمعشوقه وفي سبيل ذلك يبذل النفس والنفس والفالي والرخيص .

وفي أكثر من موضع من القرآن الكريم يأتي في ختام ما آتاه الله به على عباده من نعم قوله تعالى « ان في ذلك آيات لكل صبار شكور » .

ففى سورة ابراهيم يقول تعالى :
« ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله »
ابراهيم — هـ

اى بأجل نعم الله عليهم وهى نعمة الايمان اولئك الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب وكذا بما آمن به عليهم اذ نجاهم من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم وذكرهم بذلك بأيام الله التى مرت على أمم الانبياء السابقة وكيف نجا المؤمنون وهلك الكافرون وذكرهم بأس الله وعقابه وانتقامه ممن كذبوا رسله كعاد وثمود وقوم هود واخوان لوط ففى التذكير بأيام الله ترغيب وترهيب « ان في ذلك » التنبيه والتذكير « آيات لكل صبار شكور » لدلائل على وحدانية الله وقدرته ينتفع به كل صبار فى المحنة والشدة شكور فى المنحة والعطية .
وفى سورة لقمان يقول تعالى ممثنا على عبادہ بما حباهم من مزيد فضله وانعابه :

الرَّءِىُّ الْفَلَكِ تَجْرِى

فِي الْبَحْرِ يَنْعَمُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ

لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢١﴾ لقمان — ٢١

قَامَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

التوبة ١٢٤ — ١٢٥

ويقول تعالى :

« ومن يؤمن بالله يهد قلبه »

التغابن — ١١

اى يلف به ويشرحه ليزداد فى الطاعات وعمل الخير فهو سبحانه حكيم يعطى الهداية للخير من هو اهل لذلك . قال تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ أَنْهَرُ فِي جَنَّاتٍ النِّعَمِ ﴿٩﴾

يونس — ٩

فهداهم أولا الى الايمان ، فلما آمنوا هداهم بالايمان الى المزيد من الخير وفعل المعروف ونظير هذا قوله سبحانه : « والذين اهتدوا زادهم هدى » اى يزيد المؤمنين المهتدين الى الحق هدى وعلمًا وبصيرة فى أمور دينهم ودنياهم .

« وآتاهم تقواهم »

محمد — ١٧

اى الهمم اياها ويسرها لهم واعانهم عليها بحيث يصيرون بتقواهم وهم فى مأمن من الزلل أو التردى فى المعاصى .

ويقول تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا »

الأنفال — ٢٩

ومن الفرقان ما يهيبهم من النور الذى يميزون به بين الحق والباطل والخبيث والطيب . فالإيمان الصادق له نور يشرق على القلوب غيظيها فى ظلمات الحيرة الى أرشد أمرها . وفى الشبه ومعضلات المسائل الى الصواب والى الحق الذى لا يشوبه باطل .

ومثل ذلك قوله تعالى : فى سورة البقرة .
« ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين » اى انما

لكل صبار شكور» ان في هذا الذي كان سببا وما نزل بهم عبرة لكل صبار عن المعاصي شكور لنعم الله عز وجل حتى يستديم فضل الله واحسانه بصبره وشكره

وفي سورة الشورى يقول سبحانه : « ومن آياته الجوار في البحر كالاعلام » اي من دلائل قدرة الله وعظمته هذه السفن الكبيرة التي تجرى بالريح في البحر وهي كأمثال الجبال « ان يشأ يسكن الريح » فينطلق رواكده على ظهره ويسكنها فلا تحرك السفن وتظل ثابتة في مكانها على ظهر البحر لا تتحرك ولا تجرى الى غايتها كل ذلك لا ينتفع به فيتعظ ويدرك فضل الله وانعامه عليه وما يستأهل من الشكر على ما انعم ، الا كل صبار شكور « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » اي الا كل من هدى الى انه لا يجري في هذا الكون الا ما اراد الله فله الشكر على النعماء وعلينا الصبر في البأساء والضراء .

اما الآيات القرآنية فانما ينتفع بها اهل التقوى الذين هم من خشية ربهم مشفقون فيعكفون على تدبرها وتفهم معانيها ومحاولة ادراك المراد منها . قال تعالى :

طه ﴿ مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ١

تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَى ﴿ طه ١ - ٢ ﴾

وقال عن الساعة :

« انما انت منذر من يخشاها »

النازعات ٥٥

ذلك لان استعدادهم الفطري لم يلوث ولم تطمس انواره الاغيار فاذا قرع سمعه ذلك القول وأنه من الله وجلت قلوبهم وازدادوا بها يسمعون ايمانا على ايمانهم ولما ضرب الله المثل بالبعوضه فما فوقها .

اسرع المؤمنون فاقروا بأنه الحق من ربهم قال سبحانه « فاما الذين آمنوا فاعلموا انه الحق من ربهم » واما الكافرون فقد جعلوا ضرب المثل بها ذريعة الى انكار كون القرآن من عند الله تعالى — وذلك قوله سبحانه : « واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا » منكرين انه من عند الله :

اي ان في ذلك لعبرا . لا ينتفع بها الا كل صبار عن معاصي الله شكور لنعمه اما غيره فلا يعيرها اهتماما ولا يدرك العبرة منها فيهدى الى الحق .

وفي سورة سبا يقص علينا سبحانه نبأهم فيقول : « لقد كان لسبا في مسكنهم آية » اي علامة دالة على قدرة الله تعالى وهي « جنتان عن يمين وشمال » اي بستان احدهما عن يمين بلدهم والثاني عن شماله ينعمون بها فيها من خير ، فقالت لهم رسلهم « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » اذكروه غيبا انعم عليكم بشكره « بلدة طيبة ورب غفور » هذه البلدة التي تسكنونها وفيها رزقكم بلدة طيبة الثمار والهواء وربكم الذي رزقكم وطلب منكم شكره رب غفور ان شكره . « فاعرضوا » عن دعوة رسلهم وكذبوهم قائلين ما نعرف الله علينا من نعمة « فارسلنا عليهم سيل العرم » اي المطر الشديد وقيل السيل الذي لا يطاق او هو اسم الوادي وقيل العرم جمع لا واحد له او واحدة عرمة وهو الاحباس والسدود تبنى في اوساط الودية لحجز السيول . فلما بطروا معيشتهم واعرضوا واهملوا السد جاء السيل فلم يقوا على مقاومته واجتاح اراضيهم وخرب مساكنهم ومزقهم ثم مزق فتشتتوا في البلاد وضرب بهم المثل فقيل « ذهبوا أيدي سبا » واليد الطريق « وبلدناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خيط » الاكل . الثمر والحنط نبت مر لا يمكن اكله « وائل » شجر لا ثمر له « وشيء من سدر قليل » هو النبق « ذلك جزيناكم بما كفروا » اي ان ما نزل بهم سببه كفرهم بنعمة الله عليهم « وهل نجازى الا الكفور » اي وهل نعاقب الا هؤلاء وامثالهم . وكذلك كان من نعم الله عليهم ما بينه سبحانه بقوله : « وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة » اي جعلنا بين مسكنهم باليمن وبين القرى التي كانوا يذهبون اليها في الشام والتي باركها الله — قرى متقاربة متواصلة يقبلون في واحدة ويبيتون في اخرى « وقدرنا فيها السير » فلا يتحملون فيها شقة في اسفارهم « سيروا فيها ليلالي واياما آمنين » اي متمتعين بالامن على أنفسكم وامتعكم . « فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وظلموا أنفسهم » بطغيانهم فباعد الله بينهم وبين القرى التي يقصدونها في الشام مفاوز وصحارى متباعدة « فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق » اي جعلناهم احاديث يتلهى بها الناس بذكر اخبارهم وفرقتناهم في البلاد اشتاتا « ان في ذلك لآيات

« يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به
الا العاسفين » .

البقرة ٢٦

فقد كان ضلالهم بسبب ما اتصفوا به من
الفسق وما عكفوا عليه من القبائح والمنكرات
والمراد بالفاسقين العاتون في الكفر الماردون في
العصيان الخارجون على حدود الله الذين لم
يكتفهم كفرهم بالله بل انكروا كلامه واستهزؤا به .

ولما قال هؤلاء «قلوبنا غلف» أى مغشاة بأغشية
جبليّة لا يكاد يصل إليها ما جاء به النبي صلى
الله عليه وسلم ولا تفقهه ، رد الله ذلك عليهم
وكذبهم فيما قالوا وبين لهم سبحانه أن المانع
كسبى لا جبلى وأنه إنما حدث بإبطالهم استعدادهم
الفطرى وسوء اختيارهم الذى أفضى بهم إلى
الكفر . وذلك قوله سبحانه :

وَقَالُوا قُلُوبُنَا

غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

البقرة — ٨٨

أى إنما كان طردهم من رحمة الله بسبب
كفرهم العارض بعد أن خلقهم الله على الفطرة
والاستعداد لقبول الحق .

ولما اختلف المسلمون في كفر المنافقين واسلامهم
حين استأذن قوم منهم في الخروج إلى البدو
بسبب وباء المدينة وظلوا راحلين حتى لحقوا
بالمشركين والاحتيايل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى يعلنوا عما انطوت عليه قلوبهم
وهو الكفر جاء القرآن الكريم مقررا كفرهم ومعلننا
ذلك بقوله « فما لكم في المنافقين فئتين والله
أرأسهم » أى ردهم إلى الكفر « بما كسبوا »
النساء — ٨٨

وهو ما انطوت عليه قلوبهم من بغض للإسلام
وكفر بالله ورسوله .

ومثله قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » أى
يثبت الله المؤمنين على ما وقر في صدورهم بالقول
الثابت وهو كلمة التوحيد تنطق بها اللسان في
الدنيا وفي الآخرة عند السؤال في الموقف يوم
يقوم الناس لرب العالمين . وقوله « ويضل الله
الظالمين » أى الذين صموا آذانهم عن الاستماع

إلى صوت الحق وعميت أبصارهم عن الانتفاع
بآيات الله الهادية إلى الإيمان وبدلوا فطرة الله
التي فطرهم عليها غفلوا في ضلالهم وكفرهم
يعمهون .

« ويفعل الله ما يشاء » .

إبراهيم — ٢٧

فله الحكمة البالغة .

ومنه قوله جل شأنه :

« ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به
أول مرة » .

أى أن الله عاقبهم على تخلفهم عن الإيمان
بالله لما جاءهم الرسول وعرفوه وأعرضوا
عنه بأن قلب أفئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه
وأبصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه . وكان
ذلك وسببه فساد استعدادهم ونفورهم من
الحق كما نبه إلى ذلك سبحانه بقوله :

« ونذرهم في طغيانهم يعمهون » .

الأنعام — ١١٠

فلا يهتدون . كما قال سبحانه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا
يُحْيِيكُمْ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

الأنفال — ٢٤

أمرهم بالاستجابة لله وللرسول بحسن الطاعة
إذا دعاهم لما فيه حياتهم من العلوم الدينية
والجهاد لأعلاء كلمة الله . ثم حذرهم من التخلف
والتأخر عن الاستجابة كيلا يكون ذلك سببا
للحيلولة بينهم وبين قلوبهم فلا يدخلها خير .

ومن هذا القبيل قوله تعالى « فلما زاغوا »
أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به
موسى واستبروا عليه :

« أزاغ الله قلوبهم » .

الصف — ٥

عاقبهم الله إذ صرف قلوبهم عن الحق وقبوله
وعن الميل إلى الصواب بصرف اختيارهم نحو
الغى والضلال .

من اجل ذلك كتب للطائمين الحياة الطيبة فى الدنيا والنعيم المقبم فى الآخرة فقال تعالى :

مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّى
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

النحل — ٩٧

وقال :

« فَمَنِ اتَّبَعَ هٰدًى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى » .
طه — ١٢٣
أما من بدل نعمة الله كفرا وأعرض عن ذكر
ربه فان له معيشة ضنكا . قال تعالى :
« وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمًى » .
طه — ١٢٤

وقال تعالى :

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
بِأَنعَمَ اللَّهُ فَادَّارَهَا اللَّهُ لِبَاسٍ الْجُوعِ وَانْخَوْفٍ بِمَا
كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾

النحل — ١١٢

وبعد فان من تدبر آيات الله الكونية وأعمل
فكره فى دقائق صنعها وبديع تكوينها كانت سبيله
للإيمان بمبدعها وخالقها . وإنما يتم ذلك حين
لا يفسد الهوى استعداد المرء للأقبال على الخير
وتقبله . وحين تظل معالم الفطرة التى فطر الله
الناس عليها نقية طاهرة يشرق بنورها قلبه
فينيب الى ربه وإلى الانتفاع بجميع الوسائل التى
تهدى الى الحق واستعمال ما وهبه الله من
وسائل العلم فيما خلقت له ولم ترغ به الأهواء
ولم يمل عن الصراط المستقيم كما أن من تكبر
عن نداء الحق يقرع سمعه به كتاب الله عز وجل
فلم يتبعه ولم يهتد بهدى من أرسل به صلى
الله عليه وسلم وأعرض ونأى بجانبه فإنه جدير
بان يطمس الله على قلبه ويصرفه عن آياته
ليبقى فى ضلاله وذلك هو الخسران المبين ولعل
القارى يذكر قول الله تعالى : « أن الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .
« ربنا لا ترغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من
لدىك رحمة انك انت الوهاب » .
آل عمران — ٨

وقوله فى شأن المنافقين :

الْمُنَافِقُونَ
وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ
فَنَسِيَهُمْ

التوبة — ٦٧

أى انهم تركوا التقرب الى الله بالطاعة
والانفاق فى سبيله فجزاهم الله على نسيانهم له
تعالى بحرمانهم من التوفيق والهداية وثم يحذر
الله المؤمنين الا يتخلقوا بأخلاقهم فيقول :
« ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم
أنفسهم » .

الحشر — ١٩

فلم يطلبوا كمالها بالعلم النافع والعمل الصالح
وانساهم محبته والحرص عليه عقوبة على
نسيانهم واغفالهم لذكره وطاعته .
ويقول : « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عنذك قالوا للذين أوتوا العلم «
من الصحابة (ماذا قال أنفا) استهزاء « أولئك
الذين طبع الله على قلوبهم » فلم يتوجهوا الى
الخير « واتبعوا أهواءهم » فلم يستجيبوا لداعى
الايمان .

« والذين اهتدوا زادهم هدى » الى طريق
الحق بالتوفيق والالهام واعانهم على تقواهم فان
المؤمن المهندي يستمع فيفهم ويعمل بما يعلم .
هذا ولعله لا يغيب عن القارىء أن الله
سبحانه لا يغير ما بقوم من نعمة وعافية الى
نقمة وبلاء ومن صحة وسعة فى الرزق الى
سقم وضيق فى العيش الا اذا لم يذكر العبد
ربه فيها انعم به ولم يشكره وبذل نعمة الله
كفرا ذلك بان الله كريم وعطاؤه عظيم . ومع
ذلك فهو حكم عدل لا يستوى عنده المحسن
والمسئء والطيب والخبيث وهو القائل :

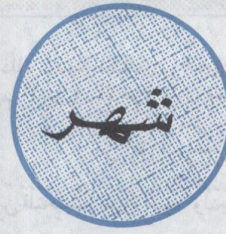
أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ

أَجْرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

الجانة — ٢١

كما يقول تعالى :

« افنجعل المسلمين كالمجرمين . ما لكم كيف
تحكمون » .
ن — ٣٥ — ٣٦



وعاء لأعجاد خالدة

الدكتور السيد رزق الطويل

هناك أزمان اصطفاها الله تبارك وتعالى ، واختصها بعبادات ، وشعائر لم تكن لسواها والزم عباده فيها بالوان من السلوك لم يلزمهم بمثله في غيرها .
من ذلك الأشهر الحرم ، والعيدان ، ويوم عرفة ، وشهر رمضان .
وهناك أزمان عظم شأنها ، وبرزت بين سطور التاريخ أخبارها ، وفرضت نفسها على ذاكرة البشر بما اقترن بها من أحداث كبار ، وبما دعت من وقائع ذات شأن عظيم ، وتأثير بالغ .

ومن ذلك يوم بدر ، ويوم الفتح ، ومن قبلهما يوم الهجرة ، ومن بعدهما أيام الفتوح ، والانتصارات المجيدة التي أحرزها الأبطال المسلمون على درب الحق والدعوة في المشارق والمغارب ، في غير بطر ولا رياء ، ولا بغى ، ولا عدوان .
وجلت حكمة الله !! للأزمنة حظوظ الناس سواء بسواء .

وشهر صفر وهو وعاء زمني في السنة القمرية وواحد من الاثني عشر شهرا التي أشار إليها الكتاب العزيز في حديثه عن عدة الشهور عند الله ، وما هو منها حرم لا يصح فيه القتل والقتال ، والبغى والعدوان .

لماذا سمي صفرًا ؟

ذكر السخاوي في كتابه : المشهور في أسماء الأيام والشهور أن صفرًا سمي بذلك لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار ، يقال : صفر المكان إذا خلا (١) وهذا مسلك معروف في

حياة العرب ، إذ ينطلقون للفرار والرحلة بعد أن يفرغوا من الأشهر الحرم .
ويذكر ابن دريد أن العرب كانت تقول :

الصفرا (٢) ، تعني المحرم وصفرًا من باب التغليب ، أو لأن الشهرين كان يتناوبان الحل

(٢) الصحاح للجوهري - مادة « صفر »

(١) راجع ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٤

لقبيلتي عضل والقارة (وهما قبيلتان من بنى الهون
ابن خزيمة) ليفتقوهم في الدين ، وليقرئوهم
القرآن الكريم .

**يقول ابن اسحاق : قدم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل
والقارة فقالوا : يا رسول الله ، ان فينا اسلاما ،
فابعث معنا نفرا من اصحابك يفتقوننا في الدين ،
ويقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الاسلام (١) .**

هذا هو كلام القوم ، فأرسل الرسول صلى
الله عليه وسلم معهم ستة نفر من خيار اصحابه
وهم مرثد بن ابي مرثد ، وخالد بن البكير ، وعاصم
ابن ثابت ، وخبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة ،
وعبد الله بن طارق .

حتى اذا كانوا عند الرجيع غدر بهم القوم ،
واستصرخوا عليهم هزيلا ، ليعينوهم على قتلهم
وفوجئت بعثة الدعوة بهذا الغدر الذي لم يمهده
هذه الأمة ، ولم يسمعهم الا أن يستلوا سيوفهم
ليدافعوا عن انفسهم في مواجهة غدر وضيع .

وكان وراء هذا الغدر هدف حقير هو أن
يسلموهم لأهل مكة في مقابل مال يحصلونه منهم
فأغروا البعث الكريم بأن يستسلم ، وعاهدوهم
على أن يوفروا لهم السلامة .

فقال مرثد ، وخالد ، وعاصم : والله لا نقبل
من مشرك عهد ولا عقدا أبدا ، وقاتلوا القوم
حتى سالت دماؤهم الطاهرة في سبيل الله .

واستسلم الثلاثة الآخرون املا في صدق
القوم ، فأخذوهم ليبيعوهم في مكة ، حتى اذا
كانوا بالظهران (واد قريب من مكة) تمكن عبدالله
ابن طارق من أن يزرع يده من القيد ، وأخذ سيفه ،
وتأخر عن القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه .

وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثنة
فباعوهما من قريش بأسيرين من هزيل فقتل
صفوان بن أمية زيد بن الدثنة ثارا لأبيه أمية بن
خلف صريع الكفر على أرض بدر وأما خبيب
فاشتراه جبر بن أبي أهلب لعقبة بن الحارث
ابن عامر ليقتله بأبيه وقدم الشهيدان على أرض
مكة بين شراسة الكفر وبغية ملحمة بطولية

والحرمة على نظام العرب في النسب الذي حرمة
الاسلام فيها بعد .

كان جنادة بن عوف بن أمية الكناني ، والذي
كان يكنى بأبي ثمنة يوافق موسم الحج كل عام ،
ليعلن الموقف بالنسبة للنسب ، وما ينتهي اليه
الأمر في المحرم أم حرام أم حلال ؟ فيقول : أيها
الناس اني لا أعاب ، ولا أجاب ، ولا مرد لما
أقول ، انا قد حرمت المحرم وأخرنا صفرا ، ثم
يأتي في العام التالي ، فيقول مثل مقالته ، ويقول :
انا قد حرمتنا صفرا ، وأخرنا المحرم (١) .

وبرغم ما اقترن بصفر من سوءات الجاهلية ،
وتورطها في النسب الذي أفسدت به حركة
الزمان ، وخصائص الشهور والأيام فانه في ظلال
الاسلام ، وفي ملحمة الدعوة ونضالها المشرق
وعى أعمالا مجيدة ، وبطولات خالدة .

نشهد في السنة الثالثة عشرة من البعثة
شهر استعداد المسلمين الأولين لأمر عظيم ، وهو
الهجرة بدينهم فرارا من الفتنة ، والنهاسا للمناخ
الآنسب لحركة الدعوة ، وتمت الهجرة في شهر
ربيع الأول من ذلك العام .

**وفي شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وقعت
غزوة ودان ، أبو الأبواء (٢) .**

**وهي أول غزوة خرج فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وكان معه ستون من المهاجرين
يريد عمرا لقريش ، وفي ودان التقى بيني ضمرة
فعمد معهم صلحا على أنهم لا يفرزون ، ولا يكترون
عليه جها ، ولا يعينون عليه عدوا .**

وهكذا حقق خروجه الكريم نصرا على طريق
الدعوة ، وان غائته غير قريش ؟ اذ حسبه انه
أمن الدعوة من بأس بنى ضمرة .

وشهر صفر من السنة الرابعة للهجرة شهر
ملحمة رائعة في البطولة الفذة ، انها ملحمة أبطال
الرجيع .

والرجيع : ماء لهذيل بين مكة والطائف .
وأبطال الرجيع ستة من الصحابة الكرام
خرجوا لمهمة كريمة ، اذ بعثهم النبي الكريم

(٣) راجع سيرة ابن هشام ج ٢

(١) ابن كثير ج ٢ ص ٣٥٦
(٢) موضعان متقاربان في طريق مكة

ولما نزلوا « بئر معونة » بعثوا اخاهم حرام ابن ملحان الى عدو الله عامر بن الطفيل ، فلما اتاه ، لم ينظر في الكتاب ، وقتل الصحابي الجليل ، واستصرخ عليهم بنى عامر ليقتلوا البعثة غابوا ، ورفضوا أن ينقضوا عهد أبي براء ، بينما استجاب له قبائل من سليم فأحاطوا ببعثة القراء فأخذوا القراء سيوفهم ، ودافعوا عن أنفسهم حتى استشهدوا ، وكتبوا بدمائهم ملحمة بطولية على طريق الدعوة الى الله وتعليم القرآن .

وباعت رعل وزكوان وعصية الذين استجابوا لعدو الله بن الطفيل بوخيم العاقبة وسوء المصير ولم ينج من البعثة الا كعب بن زيد ، فعاد مثخنا بجراحه ليستشهد يوم الأحزاب .

وفي شهر صفر فتحت خيبر :

وهذا حدث جليل الشأن وعاه هذا الشهر حيث امتلأت قلوب المسلمين بالمسرة لما آفاه الله عليهم من فتح كبير كسرت فيه شكية اليهود ، وخضعت شوكتهم ، وأعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

وتم هذا الفتح بعد أن يئس رسول الله صلى الله عليهم من وفائهم بالعهد ، ولأنهم لدين الله ، وبدت البغضاء من أفواههم ، ومن أيديهم وجوارحهم أكثر من مرة وما تخفى صدورهم أكبر .

يقول ابن هشام : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة ، وبعض المحرم ، ثم خرج في بقية المحرم الى خيبر .

عن أبي معتب بن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه وأنا فيهم : تفوا ، ثم قال : « اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما أملكن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها ، وشر أهلها ، وشر ما فيها . أقدموا باسم الله » (١) .

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج ٤

رائعة سجلت فتاني الصحابة في حب دينهم ونبيلهم ، وأنهم يوم لا يرمبون الموت ، لأنه رحلة كريمة الى مرضاة الله .

ولم يقف العطاء الاسلامي في أعلى وأعلى مستويات العطاء عند ملحمة الرجيع بل شهد هذا الشهر من العام نفسه ملحمة بطولية في موقع آخر .

وهي من هذا المنوال ، لكن ليس فيها غدر بنى عضل والقارة ، وانما فيها صلافة الكافر ، وتجهه وشراسته ، وطيشه الذي اعماه عن جلال الرسالة التي جاء لها القوم .

(إبطال بئر معونة (١))

يقول ابن هشام : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة في شهر صفر على رأس أربعة أشهر من أجير .

وكان قد قدم أبو براء ، عامر بن مالك بن جعفر ، ملاعب الأسنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام ، ودعاه اليه ، فلم يسلم ، ولم يبعد من الاسلام ، وقال : يا محمد لو بعثت رجلاً من أصحابك الى أهل نجد ، فادعهم الى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم ، فليدعوا الناس الى أمرك (٢) .

وتحركات سرية من القراء في شهر صفر من السنة الرابعة من الهجرة (مايو ٦٢٥ م) يقودها المنذر بن أبى عمرو أخو بنى ساعدة ، وكان يعرف باسم المعتف ليموت) ، لآنة أسرع للشهادة ومعه سبعون رجلاً من خيار المسلمين ، وقراء القرآن الكريم ، ومهمتهم الدعوة وتعليم القرآن وفيهم : الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان ، وعامر بن غهيرة مولى أبى بكر ، وعروة ابن أسماء ونافع بن بديل بن ورقاء .

(١) اسم ماء من مياه بنى سليم ، شرقي المدينة
(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ، وراجع السيرة النبوية لابن كثير

الله عليه وسلم فعاد المسلمون ليشغلوا بأمر تجهيز النبي الكريم ودغنه ، واختيار الخليفة من بعده(٢) .

وعندما اختير أبو بكر خليفة أصر على انفاذ جيش أسامة برغم ما ألم بالمسلمين من أحداث كبار ، وكان تصميم الصديق رضي الله عنه على انقاذ الجيش دليلاً على الحزم ، وبعد النظر .

وبعد

فهذه أحداث ذات شأن سجلها التاريخ بين وقائع السيرة العطرة في صفر ووقع أمثالها على امتداد التاريخ الإسلامي في ذلك الشهر بعد عصر السيرة وفيها عبرة بالغة تعلمنا ان الزمن في حساب المسلمين عصر أمجادهم والتزامهم بالدين الحق كان وعاء لكل خير ، ميقاتاً لكل مجد ، حاوياً لكل بر وفضيلة .

ومن هنا كان في دراسة تاريخنا العظيم موعظة حكيمة ، وعبرة بالغة ، ومنطلق الى عصر جديد نتخلص فيه من هواننا ، وتفرقنا ، وضعفنا ونصل من التاريخ المجيد ما انقطع .

وكم نضيع وقتنا في ممارسة احقاد طائفية تاريخية باغية ، فنرى بعضاً من المسلمين يملأون شهر المحرم بالأحزان لمقتل الحسين رضي الله عنه فيه ، بينما يرفعون اعلام السرور في صفر لمقتل الخليفة الراشد عمر فيه !! وأولى لهم ان يعرفوا للزمن قدره بان يسروا سيرة سلفهم الصالح ، امتلات حياتهم بالمفاخر والأمجاد في ظل الدين الحق بعيداً عن التعصب والأهواء .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(٢) المرجع السابق ، وراجع سبل الهدى والرشاد، والسيرة النبوية لابن كثير

وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، وقطع الطريق بينها وبين حلفائها من غطفان ، وتهاوت حصونهم حصناً بعد الآخر ، وما انتهى شهر صفر الا وخيبر قد أذعنت وأعطت الجزية ، وعم المسلمين رخاء عظيم .

يقول ابن لقيم العيسى ، وقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاج خيبر ، ودواجنها:

ولقد علمت ليغلبن محمد
وليثوين بها الى أصفار(١)

فترت يهود يوم ذاك من الوغى
تحت العجاج غنائم الأبصار

وعاد الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة ليجد بشرى طيبة في انتظاره .

لقد عاد جعفر بن أبي طالب على رأس المهاجرين الى الحبشة ليلتقى مع اخوانه بالمدينة وعندها قال النبي الكريم عليه الصلاة والسلام : والله لا أدري بأيهما أسر ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر !!؟

وفي شهر صفر بعثة أسامة :

رجع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، وأمر بتجهيز جيش كبير ، بقيادة أسامة ابن زيد لغزو الروم ، وفيه عدد من كبار الصحابة وخيارهم كأبي بكر وعمر ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبي وقاص ، وأمر أسامة ان يتوجه بهذا الجيش الى البلقاء من أرض فلسطين على مقربة من « مؤته » حيث استشهد أبوه ، وقال له : «سر الى موضع مقتل أبيك فأوطنهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش ، وأغر صباحاً عليهم ، وأسرع المسير تسبق الخير » .

وخرج أسامة رضي الله عنه على رأس الجيش ، في شهر صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة ، وأمر الجيش بالتحرك ، وبينما هم يستعدون للمسير جاءه الخبر بموت النبي صلى

(١) المرجع السابق

من السنة النبوية غزوة الحديبية .. أسبابها ونتائجها

الدكتور محمد مكي السيد

كانت غزوة الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة . وكان من أهم أسبابها هو خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة لأداء العمرة ولا يقصد حرباً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى في المنام أنهم سيدخلون المسجد الحرام . آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين ، فاستنفر عليه الصلاة والسلام العرب ومن حوله من الأعراب من أهل البادية ، ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت العتيق ، فأبظا عليه كثير من الأعراب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمن معه من المهاجرين والأنصار ، ومن لحق به من العرب ، وساق الهدى ، وأحرم بالعمرة ، ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما جاء زائراً لهذا البيت ومعظماً له .

فخرجوا معهم العمود المطافيل (أي الأطفال والنساء) قد لبسوا جلود النمر وقد نزلوا بذي طوى ، يعاهدون الله ، لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد في خيلهم . وقد قدموا إلى كراع الغميم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ؟ قد اكلتهم الحرب ، ماذا عليهم ؟ لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان الذي أرادوا ، وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وأغرين ، وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قسوة ؟ فما تظن قريش ؟ فوالله لا أزل أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (يعني إلى الموت) .

قال الإمام محمد بن إسحاق : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، يريد زيارة البيت ، ولا يريد قتالاً وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وروى الإمام البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة .

سماع قريش بخروج الرسول :

ولما وصل الرسول عليه الصلاة والسلام إلى منطقة عسفان ، على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، لتيهم بشر بن سفيان الكعبي ، فقال : يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك

الحبس عن محله ، رجع الى قريش ، ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . فقالوا له : اجلس فانما أنت اعرابي لا علم لك ، فاستشاط الحليس غضبا وصاح : يا معشر قريش . والله ما على هذا حالناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، ايصد عن بيت الله من جاء معظما له ؟ والذى نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء له او لاتقرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به .

ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ليفاوضه وقالوا له : ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ثم قال : يا محمد أجمعت أوشاب الناس (أى أخلاط الناس) ثم جئت بهم الى بيضتك لتفضها بهم ؟ انها قريش قد خرجت معها العوذ المظفر قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وأيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا ، وكان أبو بكر خلف رسول الله ، فلما ، عرض عروة بالمسلمين ، رد عليه أبو بكر ، فقال عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ولكن هذه بها ، ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو يكلمه ، كأنه ينبهه الى خطورة ما سيقع به ويقومه . الا أن المغيرة ابن شعبه ، كان يقرع يده اذا تناول لحية الرسول ويقول : اكف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك . فيقول عروة : ويحك ؟ ما أفظك وأغلظك ؟ فتبسم رسول الله ، فقال عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه ، وكله الرسول بنحو ما كلم به أصحابه ، وأخبره أنه لم يأت يريد حربا ، وانما يريد زيارة البيت ، كما يفعل غيره من الناس ، فى أمن وأمان ، ورجع عروة ينوه باجلال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول : يا معشر قريش ، انى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه ، والنجاشى فى ملكه . وانى والله ما رأيت ملكا فى قومه قط ، مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم .

ومضيا مع الرغبة عن القتال . قال عليه الصلاة والسلام : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟ فجاء رجل من أسلم فقال : أنا يا رسول الله ، فسلك بهم طريقا وعرا صعبا بين شعاب ، فلما خرجوا منه وقد شق ذلك على المسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا : نستغفر الله ونتوب اليه ، فقالوا ذلك . فقال : والله انها للحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها . وسلك بهم الرسول طريق ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، ولم تخف هذه الخطة على فرسان قريش فتراكضوا راجعين الى مكة لكى يحولوا بين المسلمين وبين دخولها .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، فى وجهتهم المحددة فاذا بناقته تبرك ، ولا تجاوز مكانها ودهش الناس لذلك . فقالوا : خلأت القصواء (أى حرنت) فقال صلى الله عليه وسلم : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، لاتدعونى قريش اليوم الى خطة يسألونى فيها صلة الرحم الا أعطيتهم اياها ، ثم أمر الناس بالنزول ، وأن يحلوا حيث انتهى بالناقة المسير .

سفر قريش الى رسول الله :

فلما اطمان رسول الله اتاه بديل بن ورقاء الخزاعى فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسالوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وانما جاء زائرا للبيت ، ومعظمها لحرمة ، فرجعوا الى قريش فقالوا : يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد ، وان محمدا لم يأت لقتال ، وانما جاء زائرا لهذا البيت . فاتهمهم وجبهوهم ، وقالوا : وان جاء لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث بذلك العرب ، ثم بعثت قريش مركز بن حفص ، فعاد بما عاد به بديل بن ورقاء الخزاعى ، ثم بعثوا سيد الأحابيش « الحابس بن علقمة » فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان هذا من قوم يتألهون . فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده ، وقد اكل اوباره من طول

عدوان قريش على مبعوث الرسول وعلى المسلمين :

غضرب باحدى يديه على الاخرى وقال : هذه لعثمان .

ونزل القرآن يعلن أن الله قد رضى عن هذه البيعة . فقال تعالى :

* لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

الفتح — ١٨

وروى الامام البخارى في صحيحه عن جابر بن عبد الله بعد ما كف بصره قال : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية : انتم خير اهل الارض وكنا ألفا وأربعمائة ، ولو كنت ابصر لرايتكم مكان الشجرة . وروى الامام مسلم في صحيحه عن جابر قال : ان عبد الحاطب بن ابي بلتعجة جاء يشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : ليدخلن حاطب النار ، فقال له الرسول : كذبت ، لا يدخلها من شهد بدرا والحديبية . فهذه تركية وتشير لهؤلاء الرجال من الله والرسول ولم يطل احتباس عثمان بن عفان ، عند قريش ، فقد اطلقت سراحه خوفا من أن يصيبه شيء فتخسر بذلك عشيرته التي تعيش بينها .

صلح الحديبية :

وبعثت قريش سهيل بن عمرو ، ليعقد صلحا مع محمد ، على أن يعود هذا العام ويرجع في العام القادم ، وذلك حفاظا لسمعتها بين العرب . وقالوا له : أنت محمدا فصالحه على أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخل مكة علينا عنوة أبدا ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ، فلما انتهى سهيل بن عمرو الى رسول الله ، تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح . ودهش المسلمون للطريقة التي سلكها رسول الله مع أوليائه ومع أعدائه ، فأما مع أعدائه : فقد ذهب الى ملايئتهم الى حدود بعيدة وأما مع أصحابه : فإنه لم يستشرهم كما عودهم على ذلك من قبل ، وكانت الشروط التي اتفق عليها لم تكن قد سجلت في وثيقة رسمية . وكانت أيضا

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن أمية الخزاعي الى قريش بمكة ليلبلغ اشرافهم عنه ما جاء له . فعقروا الجبل الذي يركبه ، وكان جبل رسول الله ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش . فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ، والرسول لا تقتل ، ولكن غليان قريش افقدها الوعى . وارسلت قريش أيضا اربعمين رجلا أو خمسين رجلا وأمروهم أن يطوفوا بعسكر رسول الله ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا ، فأخذوا وأتى بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغفوا عنهم وخلي سبيلهم . وفي فظاظلة قريش وسماحة المسلمين نزل قول الله تعالى :

إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

الفتح — ٢٦

بيعة الرضوان :

وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام الى قريش عثمان بن عفان ، ليخبر أبا سفيان واشراف قريش انه لم يأت لحرب ، وانها خرج زائرا لهذا البيت ، معظما لحرمة ، فقالوا له : ان شئت أن تطوف بالبيت فطف ، قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله والمسلمين أن عثمان قد قتل ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لا نبرح حتى نناجز القوم) ودعا رسول الله الى البيعة على القتال والحرب ، فبايعه جميع من معه ، وكان ذلك عند شجرة الحديبية . وكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، ولكن جابر بن عبد الله كان يقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع رسول الله الناس ، ولم يتخلف عنه أحد حضرها الا الجد ابن قيس ، وبايع رسول الله نيابة عن عثمان ،

في عقد قريش وعهدهم دخل فيه . فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن في عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر فقالوا : نحن في عقد مع قريش وعهدهم .

وكان آخر الشروط . وانك ترجع عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وانه اذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها باصحابك فاقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب . السيف في القرب لادخلها بغيرها .

من مفاجآت القدر لصالح المسلمين :

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، اذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو . يرسف في الحديد ، قد انفلت الى رسول الله . يريد الالتحاق بالمسلمين . ومجىء أبى جندل وهو ابن المفاوضات عن قريش يعتبر من مفاجآت القدر ، ومن أولى بشائر الفتح للمسلمين الذين ما كانوا يشكون في فتح مكة ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم كان قد قص عليهم رؤيا انه دخلها ومعه أصحابه بغير حرب ، وانه طاف بالبيت العتيق ، وانهم خلقوا رؤوسهم وقصروا . ولكن لما راوا ما راوا من الصلح والرجوع ، وما تحمله الرسول من تعنت سهيل بن عمرو ، واقتياده على شخصه الكريم ، دخل على الناس من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون . فلما رأى سهيل ابنه أبا جندل قام اليه فضرب وجهه وأخذ بتلابيبه . ثم قال : يا محمد ، قد لجت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا . قال : صدقت . وجعل أبو جندل يصرخ : يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونني في ديني فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فان الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وانا لا نفدر بهم . وشاء الله أن يهرب أبو جندل الى ساحل البحر ومعه بعض المستضعفين من المسلمين فيقطعوا الطريق على أهل مكة ، حتى طلبت من الرسول التنازل عن هذا الشرط الذي كان من الشروط المجحفة بحقوق المسلمين ، وتشددت في كتابته ، والنص عليه ، ونفذت القضية وأشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا من المسلمين والمشركين منهم أبو بكر وعمر .

محل دهشة واستغراب من عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، واعتراض منه أيضا عليها . قال الامام الزهرى : فلما التأم الأمر ، ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، اليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلمنا نعطي الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر الزم غرزه . اى امره . غانى أشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم تال عمر وانا أشهد انه رسول الله . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله الست برسول الله ؟ قال : بلى . قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلمنا نعطي الدنية في ديننا ؟ قال : انا عبد الله ورسوله ولن أخالف امره ، ولن يضيعنى . ومعنى هذا ان الشروط التى اتفق عليها كان فيها اجحاف بحق المسلمين في الظاهر ، وقد رضى الله عنها لأنها كانت في صالح المؤمنين في الحقيقة .

كتابة الوثيقة :

ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، لكتابة الوثيقة ، فقال له : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال سهيل بن عمرو : لا اعرف هذا . ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال له الرسول : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم اقاتلك . ولكن اكتب اسمك واسم ابيك . فقال رسول الله : اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو . اصطلاحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين ، يامن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على انه من اتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا من مع محمد لم يردوه عليه ، وان بيننا عيبة مكفونة — اى صدورنا منظوية على ما فيها من خير — وانه لا اسلار ولا اغلال — اى لا سرقة ولا خيانة — وانه من احب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه . ومن احب ان يدخل

استحل من الاحرام :

كان رسول الله ضاربا خيامه خارج منطقة الحرم ، وكان يصلى في الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم اليه هديه فنحره ، ثم جلس فطلق رأسه ، فلما رأى الناس أن رسول الله قد نحر وحلق ، تواثبوا ينحرون ويحلقون ، وقد حلق رجال وقصر رجال آخرون . وهذا تنفيذ لأمر الله قال تعالى :

« **واتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى** »

البقرة — ١٩٦

نزول سورة الفتح : ثم انصرف رسول الله من وجهة ذلك قافلا ، حتى اذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح :

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

ذُنُوبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾

الفتح ١ — ٣

وتوالت الآيات تنزل في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه وذكرت البيعة التي أجبها الله وقال فيها :

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ

اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ

وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

الفتح ١٠ —

وقال :

* لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ

يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

الفتح ١٨ —

الى آخر هذه السورة التي أشارت الى أن هذا الصلح في حقيقته كان خيرا وبركة على المسلمين . يقول الامام الزهري عن هذا الصلح : فما فتح في الاسلام فتح قبله كان اعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وآمن الناس بعضهم بعضا ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم احد بالاسلام يعقل شيئا الا دخل فيه . ولقد دخل في الاسلام بعد الصلح

مثل ما كان قبل ذلك أو أكثر ، والدليل على ذلك أن الذين كانوا معه في فتح مكة بعد سنتين أكثر من عشرة آلاف .

نتائج صلح الحديبية : كان صلح الحديبية صلحا مباركا على المسلمين وفتحاً عظيماً ، ظهرت ثمراته سريعاً ، وكان السبب في ذلك . ذلك التسامح الذى تحلى به المسلمون . وذلك من خلال شروط الصلح التى كانت لصالح قريش وضد المسلمين فكانت وبالا عليهم . فسرعان ما انفرط عقد الكفار التى كانت تتزعمه قريش ، حينما علموا بالهدنة ، وانشغلت قريش بشؤونها التجارية ، في الوقت الذى انشغل فيه المسلمون بالدعوة الى الاسلام ، فدخلت قبائل كثيرة فيه ، والدليل على ذلك : أن رسول الله خرج الى الحديبية في الف واربعمائة ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف . اما المسلمون المستضعفون في مكة . فقد غر منهم أبو بصير عبيد بن أسيد وأبو جندل بن سهيل بن عمرو ، ولما علموا أن الرسول يريدهم الى مكة توجهوا الى ساحل البحر ، واخذوا يقطعون الطريق عن قريش ، حتى تنازلت عن هذا الشرط التى املتته تعنتاً ، وطلبت من الرسول أن يقبلهم ، وبعد الهدنة حرمت المسلمات على المشركين تخصيصاً لعنوم ما وقع به الصلح فنزلت الآية

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ

الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَمِمَّا جَاءَهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ

فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ

لَأَهْنِ حِلُّهُنَّ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ

سورة المتحنة ١٠ —

واهم نتائج صلح الحديبية واعظمها كان فتح مكة بعد الصلح بعامين فقط . وكان السبب فيه أن قريشا ناصرته قبيلة بنى بكر على قبيلة خزاعة المتحالفة مع المسلمين وقتلواهم في الحرم ، فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم في العاشر من رمضان سنة ثمان من الهجرة قاصدا مكة لانها نقضت شروط الصلح واعتدت ، ويشاء الله أن يكون ذلك سببا في دخول مكة في الاسلام ، فقد دخلها الرسول في العشرين من رمضان في نفس العام . وذلك من بركات صلح الحديبية وهذا هو الفتح الاعظم الذى اعز الله به دينه ورسوله وجنده وحزبه ، واستنقذ به بلده الامين ، ونبهه الذى جعله هدى للعالمين ، من ايدى الكفار والمشركين والحمد لله رب العالمين .

مؤلفك

الصحابه

للصح

ودالاتها على النبوة

الدكتور محمد سيد أحمد المسير

من مباحث علوم القرآن ، اسباب النزول وهي الحادثة أو الواقعة التي انزل بشأنها القرآن أول ما نزل ومعرفة سبب النزول يعين على فهم النص القرآني ، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب . لكن اتفاق العلماء على أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
وموافقات الصحابة تعني بها ما نزل من القرآن المجيد موافقا لما ورد على لسان بعض الصحابة من رأى أو تعبير قبل علمهم بكونه نصا أو قرآنا ينلى .
وهذه الموافقات هي لون من اسباب النزول ، وقد عدها الامام السيوطي النوع العاشر من علوم القرآن في كتابه « الاتقان » .
وفي هذه الموافقات دلالة على تكريم الله لهؤلاء الصحابة حيث ألهمهم الله هذا الرأى أو ذلك التعبير .
والموافقات كثيرة ، ويعتبر سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشهر الصحابة في هذا المجال لمنزلته السامية في الدين ، ومكانته الرفيعة بين الصحابة فقد قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم . ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

قلت : يا رسول الله لو انخذنا من مقام ابراهيم مصلى ؟
فنزلت : « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى »
وقلت : يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن ؟ فنزلت آية الحجاب . . .

واجتمع على رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه في الغيرة فقلت لهن « عسى ربه ان طلقن ان يبدهن أزواجا خيرا منكن » فنزلت كذلك .
 وهناك رواية لمسلم تذكر ثلاث موافقات

وقال عنه ابن مسعود رضى الله عنه :
« ان اسلام عمر كان فتحا ، وان هجرته كانت نصرا ، وان امارته كانت عدلا ، ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه .

موافقات عمر

ومن موافقات عمر ما أخرجه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : « قال عمر : وافقت ربي في ثلاث .

وقد وقع لصحابة آخرين موافقات للوحي ،
ففى صحيح البخارى أن هلال ابن أمية قذف
امراته عند النبى صلى الله عليه وسلم بشريك
ابن سحماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم البينة
أوحد فى ظهرك .

فقال : يا رسول الله اذا رأى أحدنا على
امراته رجلا ينطلق يلتمس البينة ..
فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يقول :
البينة والاحد فى ظهرك .

فقال : هلال والذى بعثك بالحق انى لصديق
ولينزلن الله ما يبرىء ظهري من الحد فنزل جبريل
وانزل عليه ، **«الذين يرمون أزواجهم — فقرأ
حتى بلغ «ان كان من الصادقين»»** وفى حادثة
الافك حول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها
كان لأبى أيوب الأنصارى موافقة مع الوحي .

فتحدث الروايات أن أبى أيوب الأنصارى
قالت له امراته أم أيوب : يا أبى أيوب أما تسمع
ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها ؟

قال نعم : وذلك الكذب اكننت فاعلة ذلك يا أم
أيوب ؟

قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة
والله خير منك ، فلما نزل القرآن ذكر الله عز
وجل من قال فى الفاحشة ما قال من أهل الافك
«ان الذين جاءوا بالافك عصابة منكم» وذلك
حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ثم قال
تعالى **«لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون»** ..

أى كما قال أبو أيوب وصاحبته .

وساق ابن سعد فى الطبقات أن مصعب بن
عمير حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى
فأخذ اللواء بيده اليسرى وهو يقول : **«وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين»**
ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه
بعضديه الى صدره وهو يردد نفس الآية ، ثم
قتل فسقط اللواء .

ولم تكن هذه الآية قد نزلت يومئذ وانما نزلت
بعد ذلك ، وكان للمرأة مشاركة فى هذه الموافقات
وما صدر سورة المجادلة الا موقف من موافق
الموافقات فقد جاءت خولة بنت ثعلبة تشكو الى
الرسول صلى الله عليه وسلم أن زوجها ظاهر
منها وكان الظاهر طلاقا فى الجاهلية ولم يكن نزل
بشأنه حكم فى الاسلام فقال لها الرسول صلى

لعمري رضى الله عنه من بينهما أسرى بدر بدلا من
موقف النساء فى الغيرة .

والعدد لا مفهوم له عند العلماء ، فهناك
موافقات أخرى لسيدنا عمر فقد أخرج الامام أحمد
بسنده عن أبى ميسرة عن عمر قال :

لما نزل تحريم الخمر قال : اللهم بين لنا فى
الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية التى فى البقرة
**«يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم
كبير»** .

فدعى عمر فقرئت عليه فقال : **اللهم بين لنا
فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى النساء :**
**«يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم
سكارى»** .

فكان منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اقام الصلاة نادى أن لا يقربن الصلاة
سكارى . فدعى عمر فقرئت عليه فقال : اللهم
بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآية التى فى
المائدة فدعى فقرئت عليه فلما بلغ **«فهل
أنتم منتهون»** قال عمر : انتهينا انتهينا .

كذلك فلسيدنا عمر آراء تتعلق بالمنافقين
نزل بشأنها الوحي الأمين ، وأخرج ابن أبى
حاتم رواية تقول أن يهوديا لقي عمر فقال :
ان جبريل الذى يذكر صاحبكم عدو لنا فقال عمر :
**«من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكائيل فان الله عدو للكافرين»** .
فنزلت على لسان عمر .

ولكن الامام ابن كثير حكم على مثل هذه
الرواية بأن فيها انقطاعا .

وفى اضافة جديدة يسوق ابن أبى حاتم موقفا
آخر يتعلق بالآية الكريمة : **«ولقد خلقنا
الإنسان من سلاله من طين»** .. الى قوله
تعالى : **«ثم أنشأناه خلقا آخر»** فلما سمع عمر
هذه الاطوار لخلق الانسان قال **«فتبارك الله
أحسن الخالقين»** فنزلت كذلك ..

وجاء فى اسباب النزول أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال
له مدلج الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة
ليدعوه فوجده نائما فمدق عليه الغلام الباب ودخل
فاستيقظ عمر وجلس فأنكشف منه شيء فقال :
وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا ، وخدمنا عن
الدخول فى هذه الساعات الا باذن ، ثم انطلق
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
الآية قد أنزلت **«يا أيها الذين آمنوا ليستأنكم
الذين ملكت أيمانكم»** . الآية ، فخر ساجدا
شكرا لله تعالى .

الا يعقل ذلك الا اذا كان التنزل بأمر ربك ؟

ثالثا : ان ادعاء النبوة يكون مصحوبا بكبرياء العظمة وغرور التفكير ، بحيث يظل صاحبه مخدوعا بأنه فوق كل ذي علم ولا تخفى عليه خافية .

ولكن ما بالنا نجد سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم تأتيه المرأة في شأن زوجها الذي ظاهر منها ويقول لها : ما اراك الا قد حرمت عليه .. ويأتيه الرجل في شأن خيانة زوجة فيقول له : البينة اوجد في ظهرك ..

ثم يتجلى الموقف ويتنزل الوحي بحكم جديد هو الظاهر في الحال الأولى ، واللعان في الحال الثانية .

اليس ذلك دليلا آخر من دلائل النبوة ؟

ولعل قوله تعالى في آيات الظهار « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله » اشارة الى هذا الاتجاه في الاستدلال على الوحي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

رابعا : لو كانت النبوة بالادعاء ، ولو كان الوحي بالتقول لجاز أن يدعيها اصحاب هذه الموافقات ، ويزعموا ان لهم اتصلا بالملا الأعلى ، وعلاقة بالوحي الالهي ، ويقولوا نحن ايضا انبياء يوحي اليينا .

لكن الثابت والواقع والذي لا يقبل الشك هو ان هؤلاء الصحابة احبوا الله ورسوله حبا جما ، وبذلوا النفس والنفيس دفاعا عن الوحي المحمدي وجاهدوا في الله حق جهاده .

بل كان عمر رضي الله عنه مع غرته الشديدة على دين الله — يرجع الى نفسه ويقول : فعجبت من جرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كما في موقفه من الصلاة على ابن أبي .

وما زادتهم هذه الموافقات الا ايمانا ، واعتبروها لونا من تكريم الله لهم وصدق ولانهم لله ورسوله .. حتى لقد قال عمر : وقلم تكلمت — واحمد الله — بكلام الا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية « عسى ربه ان طلقن ان يبده أزواجا خيرا منكن .. » الآية .. « رواه مسلم » .

الله عليه وسلم : ما اراك الا حرمت عليه . فأخذت المرأة تجادل رسول الله وتقول له :

أكل مالي ، وأفنى شبابي ، ونثرت له بطني ، حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني . اللهم اني أشكو اليك » فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية « قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها » .

ومما يجب التنبيه اليه والتأكيد عليه ان لهذه الموافقات مدخلا في إثبات النبوة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

وذلك من وجوه :

اولا : ان ادعاء النبوة لا يتناسب مع اعلان شأن انسان آخر غير صاحب الادعاء .. ولا يعقل أن يجعل لغيره ميزة أو فضلا ، بل يحرص دائما على أن يكون هو صاحب الذات التي لا تمس وصاحب الرأي الذي لا يخالف وصاحب الاتجاه الذي لا يعارض ، وصاحب الكلمة التي لا ترد ..

لكن مع صدق النبوة والتبليغ عن الله يكون الحكم لله وحده ، وما يتنزل الا بأمره ولا يزداد في الوحي ولا ينقص منه الا بعلمه .

فهل من الميسور عقلا أن يتقبل موقف في أسرى بدر أو مع المنافقين ويسجل ذلك في وثيقة النبوة الا اذا سلم بمبدأ الوحي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتحمله لمانة التبليغ عن ربه ؟

« قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا »

ثانيا : هل من اليسير على مدعى النبوة أن يتدخل انسان مهما كان في شئونه الخاصة ، ويبدى له ملاحظات ، ويظل يحرص على تنفيذها ثم بعد ذلك يسجلها في وثيقة النبوة وينشرها على العالمين ؟

ان عمر بن الخطاب ظل يردد على اسماع النبي صلى الله عليه وسلم .

« ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجن ؟ ولا تدعه نفسه حتى يقول لاحدى نساء النبي اثناء خروجها لتقضاء حاجتها وينادى عليها بصوته المرتفع : قد عرفناك يا سودة .

وتارة يقول : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ؟

ومع ذلك يتنزل الوحي بآيات الحجاب موافقا لراى عمر .

وفي باكستان لم يستطع حزب الشعب بزعماءه بوتو الا أن يكون استمرارا للواقع العلماني الذي خطف أهل باكستان منذ قيامها .

كانت الأمور اذن في حاجة الى رجل قوى يعود بباكستان الواقع الى باكستان الفكرة والامل .. باكستان الاسلامية .. باكستان التي راودت خيال المهاجرين الأوائل الذين ضحوا بكل شيء من أجل أن يتركوا الولايات الهندية العلمانية الى الدولة الاسلامية المنشودة .

كما كان على هذا الرجل أن يصوغ العقلية الباكستانية صياغة اسلامية فينشئ جامعة تدعمها الدولة لتخرج القانوني المسلم ، والداعية المسلم ، والانسان المسلم في كل مجال .

وكان الرئيس ضياء الحق هو رجل المرحلة والامل لباكستان .

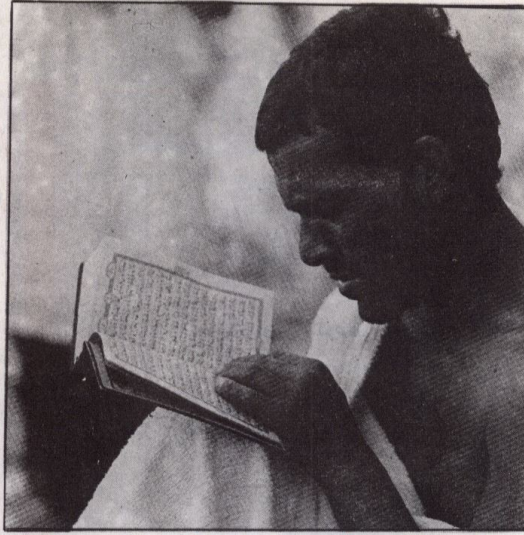
فقد حقق الرجل الأمرين معا .

فهذه أول لحظة أعلن تطبيق الشريعة الاسلامية وجمع الزكاة ولم يكن تطبيقه للشريعة الاسلامية من قبيل المناورات السياسية لأن الرجل لم يجرب غيرها منهجا أو اسلوبا للحكم والدليل على اخلاصه اننا علمنا ونحن هنا أنه لم يكتف بتشكيل اللجان لتقنين الشريعة ورصد المبالغ لاجتماعاتها حتى تطول وتطول ويرى القائمون بالتقنين فرصة التطويل للاستزادة من المكافآت ويرى الحاكم المسألة هوائية لامتناس رغبة الشعب حتى يمضي الزمن بل فتح الى جانب اللجان المشكلة — والتي بحثها وهو — باب المحكمة العليا لم يقوم بتقنين أي قانون اسلامي ليعرضه على قضاة هذه المحكمة لقراره أو تعديله والعمل به فورا .. عادت هوية باكستان على يد ضياء الحق ودليل آخر على اخلاص الرجل للاسلام احساسه بمسئوليته كمسلم نحو اخوانه وجيرانه المجاهدين الأفغان .. رغم ما يعلم في وقوفه معهم ضد قوة عظمى من مخاطرة .

ثم عمل بنفسه على انشاء الجامعة الاسلامية الدولية باسلام اباد ورأس هذه الجامعة بنفسه واستعان بمصر والازهر وكان له شرف الاشتراك في وضع مناهج هذه الجامعة الاسلامية المباركة لتكون كما اراد شبيهة بمناهج الازهر .

ولست أعرف الآن .. ما مصير هذه الجامعة التي أعدها — كمسلم — قطعة مني !!

بل لست أعرف الآن .. ماذا يخبئ الغيب لباكستان ؟ !!



التصوف و الفلسفة

الأساميّة



حول التصوف

ولهذه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

متصوفاً؟

الدكتور محمد بن شريف

يدور في أذهان الكثيرين ، وبخاصة شبابنا المتدين تساؤلات عن حقيقة التصوف ، وهل هو من الدين ؟ أم فلسفة مستحدثة ؟ وهل كان التصوف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وعن التسمية (بالصوفية) ولماذا لم يقسم الصحابة بها ؟

ويجب عن هذه التساؤلات - وغيرها - أقوال أئمة التصوف أنفسهم ، تلك الأقوال التي تكشف عن حقيقة التصوف ، وماهيته ، وهل هو من الإسلام ؟ أم هو بخيل عليه وأمر مستحدث فيه ؟ وهل هو رهبانية وانعزال وانقطاع عن الدنيا ؟ أم هو عمل وعبادة وسلوك ومجاهدة ؟ يقول أبو بكر الكتاني (المتوفى سنة ٢٢٣ هـ) : التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء . وأبو محمد الجرجري (المتوفى سنة ٣١١ هـ) سئل عن التصوف ، فقال : هو الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني .

وأبو الحسن النوري يقول : التصوف تخلق باخلاق الله :

هذه التعريفات وغيرها تدل على أن التصوف : منهج سلوكي أخلاقي إلهي ..

وهذا الجانب الخلقي جانب من جوانب التصوف ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق . وقد أتمها عليه الصلاة والسلام وكان مثلها الأعلى ثم كان الصوفية هم

ورثته في مكارم الأخلاق ويقول الإمام الجنيد إمام الصوفية المتوفى ببغداد سنة ٢٩٨ هـ : « مذهبنا الصوفي مقرون بالكتاب والسنة ، ومن لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في أمرنا هذا » .

وقال : لو رأيت إنساناً يطير في الهواء أو يسير على الماء وهو يتعاطى أمراً يخالف الشرع فاعلم أنه شيطان » وقال ابن أبي الحواري : من عمل عملاً بلا اتباع سنة فباطل عمله .

وقال عنه الامام الاكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق (التصوف : صفاء ومشاهدة) .

فالصوفي : بناء على هذه الأقوال : هو : من صفا قلبه لله وصفت لله معاملته فصفت له من الله الكرامة .

وهذا هو الجانب الثالث من جوانب التصوف : صفاء واقبال على الله بالروح والقلب بعد أداء الفرائض على وجهها الأكمل .

* * *

من هذه النصوص السابقة ، وغيرها كثير ، يتبين لنا ان التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ، بل هو مستمد من شرع الله ، ومن سيرة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ومن حياة أصحابه رضوان الله عليهم .

وانه سلوك ، وعمل ، وعلم ، ومجاهدة ، وأنه صفاء القلوب والوصول الى مرتبة « الاحسان » التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاحسان : أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ، فانه يراك .

« ونص الحديث فيها رواه مسلم في صحيحه عن سيدنا عمر رضى الله عنه ، انه قال :

« بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا احد ، حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ووضع كفيه على فخذه ، وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الاسلام أن تشهد أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت الى ذلك سبيلا .

وقال البسطامي : « لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامة حتى يرتفع في الهواء ، فلا تغفروا حتى تنظروا : كيف تجددونه عند أوامر الله ونواهييه وحفظ الحدود ، والحقوق ، وأداء الشريعة .

ويقول صاحب كتاب « اللمع » اذا قيل لك : الصوفية من هم ؟ فقل : هم العلماء بالله وبأحكام الله . . هم عباده المخلصون ، وأوليأؤه المتقون ، وأحبابه الصادقون .

من هذا يتضح أن الشريعة عند الصوفي هي نقطة البدء التي ينطلق منها ، وهي أول معلم من معالم الطريق الى الحق سبحانه وتعالى ، وهي الاشرقة الأولى للسير في طريق الله الى الله .

وأن التصوف منهج ، وطريقته ، منهج يقوم على مجاهدة النفس ، وعبادة المولى سبحانه ، وطريق يسير فيه العباد الى مولاه على علم وبصيرة .

وأن الصوفية يزنون الأعمال بميزان الشرع ، وكل مظهر من المظاهر يخالف الشرع فهم منه براء . . وكل ما جاء منتسبا الى التصوف مما يخالف الكتاب والسنة مهما كان مصدره فليس من التصوف وهذا جانب آخر من جوانب التصوف . .

وقال بشر بن الحارث : (الصوفي من صفا قلبه لله) .

وقال ابن عجيبة : (التصوف هو تصفية البواطن من الرذائل ، وتحليتها بأنواع الفضائل) .

وقالوا : بدء التصوف معرفة الله . . ونهايته توحيد الله .

فالصوفي عارف بالله ، قوام لله ، قائم بربه على قلبه ، وقائم بقلبه على نفسه ، محقق لقول الله (كونوا قوامين لله) .

وقال شيخ الاسلام زكريا الأنصاري : « التصوف تزكية النفوس ، وتصفية الأخلاق ، وتعمير الظاهر والباطن » .

قال : صدقت (ففجبنا يسأله ويصدق)
قال : فأخبرني عن الايمان . قال : ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء
خيره وشره . قال : صدقت ، قال فأخبرني
عن الاحسان ، قال : ان تعبد الله كأنك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك ، قال : فأخبرني عن
الساعة . قال : ما المسئول عنها بأعلم من
السائل . قال : فأخبرني عن اماراتها : قال ان
تلد الأمة ربتها ، وان ترى الخفاة العراء رعاء
الشاة يتطاولون في البنيان . ثم انطلق . فلبث
رسول الله صلى الله عليه وسلم مليا ثم قال :
يا عمر ، أتدري من السائل ؟ قال : الله ورسوله
أعلم ، قال : فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

ومن هذا الحديث يتضح أن الدين مراتب
وضوحها جبريل عليه السلام ، في محاورته مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالمرتبة
الأولى : اسلام ، والثانية : ايمان ، والثالثة :
احسان .

ومرتبة الايمان لا يبلغها المرء حتى يصح
اسلامه ، ومرتبة الاحسان لا يبلغها المرء حتى
يصح اسلامه وايمانه والذين وصلوا الى هذه
المرتبة هم ابناء الله ، واصفياءه .. هم
المحسنون .. (والله يحب المحسنين) .

فجانب الاحسان هو جانب التصوف ، وان
شئت فسمه الجانب الروحي في الاسلام ، او
الجانب الاحساني او الجانب الأخلاقي ، او
الجانب الصوفي ، او سمه ما شئت بما يتفق مع
الحقيقة والجوهر .

هذا هو التصوف .. وهذه بعض جوانبه ..
فليس التصوف كرامات ، ولا خوارق عادات ،
ولا انقطاعا عن الدنيا ، ولا انعزالا عن الحياة ،
وليس اعلاما ورايات وبيارق ومزامير ودفونا ،
وليس حركات ولا شطحات ولا لبس المرقع من
التياب انما هو التطبيق العملي للاسلام ، يهتم
باصلاح ظاهر المرء وباطنه وتقويم خلقه واصلاح

عباداته ومعاملاته . ليس بالأمر الجديد الدخيل
على الاسلام ، بل هو جوهر الاسلام وايجابيته .

أول من أسس الطريقة الصوفية :

سئل الامام محمد صديق الغباري — رحمه
الله — عن أول من أسس التصوف ، وهل هو
بوحى من السماء ؟

فأجاب : أول من أسس الطريقة ، فلتعلم
أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جيلة
ما أسس من الدين المحمدي ، اذ هي بلا شك
مقام الاحسان ، الذي هو أحد أركان الدين
الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم
— بعد ما بينها واحدا واحدا — دينا ، لقوله
صلى الله عليه وسلم : « هذا جبريل عليه السلام
أتاكم يعلمكم دينكم » وهو الاسلام ، والايمان ،
والاحسان ، فالاسلام طاعة وعبادة ، والايمان
نور وعقيدة ، والاحسان : مراقبة ومشاهدة
(أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه ،
فانه يراك) فالطريقة الصوفية نابعة من
تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأصحابها هم ابناء الله واصفياءه الذين بلغوا
تلك المنزل بحسن متابعتهم لنبيه الكريم لقوله
جل وعلا « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحبيبكم الله ويفقر لكم ذنوبكم » .

وهم ما احسنوا الا حين تابعوا الرسول
صلوات الله وسلامه عليه ، فهم السالكون
السبيل الذي سلك ، الصادقون في اقتفاء اثره
والاهتداء بهديه ، ومحبة الله لهم هي ثمرة
المتابعة .

فالمحسن ولى الله اقتدى برسوله صلى الله
عليه وسلم ، وادى الى ربه ما افترضه عليه ،
ثم تقرب اليه سبحانه وتعالى بالنوافل حتى احبه
الله (وما تقرب الى عبدي بشيء احب الى مما
افترضته عليه ، وما زال عبدي يتقرب الى
النوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي

ولقد ظلت هذه الطائفة ، طائفة العلماء الربانيين أو أهل المعرفة بالله ، تعرف بهذا الاسم منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، عندما نقلت الى الأمة الاسلامية علوم اليونان ، وكان من مصطلحات اليونانيين اطلاق لفظ « الفيلسوف » على الحكيم ، واطلاق لفظ « الصوفي » (سوفيا) على العالم الرباني والحكيم الالهي ، ومن هذا التاريخ اطلق هذا الاسم على هذه الطائفة المسلمة العابدة العالمة العاجلة .. اطلق عليهم لفظ (الصوفية) فاشتهروا به ، حتى قيل ان اول من تسمى بهذا الاسم هو : « ابو الهيثم الصوفي » مؤسس مسجد الصوفية برملة فلسطين اذ ذاك (والمتوفى سنة ١٥٠ هـ) ثم تبعه ابراهيم ابن ادهم والفضيل بن عياض (من اكابر العباد الصالحاء ، شيخ الحرم ولد في سمرقند سنة ١٠٥ هـ وتوفي بمكة سنة ١٨٧) وهناك رأى يقول : في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لفظ (صحابي) هو اشرف لفظ يطلق على من كان له شرف مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعد انتهاء الصدر الاول ، وفي بداية عهد التابعين .. ولما فتحت ابواب الدنيا على مصراعيها للمسلمين واتسعت رقعة الاسلام ، شغل من شغل بدياه عن آخرته ، ظلت البقية الباقية من المسلمين الخالص ثابتين على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وفي هؤلاء تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله) فتميزت هذه الطائفة على معاصريهم من أهل الدنيا بزهدهم ، وعزوفهم عن الدنيا ، فلبسوا الصوف فاطلق عليهم لفظ (الصوفية) من هذا الوقت .

يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استنصرني لأنصرنه ولئن استعانني لأعينه) .

فهذه الدرجات (أو المقامات بلغة الصوفية) سلكها المتصوفون درجة القرب والتقرب الى الله ثم درجة الحب ثم درجة العطاء ..

وكل من كان كذلك فهو صوفي فعلا وان لم يكن صوفيا بالاسم .

والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ، وان لم يتسموا باسم المتصوفين ، كانوا صوفيين فعلا وان لم يكونوا كذلك اسما .

بدء التسمية بالصوفية ، ولماذا لم يتسم الصحابة بها ؟

الحق ان التسمية بالصوفي وبالصوفية تسمية مستحدثة ، لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد الصحابة والتابعين .

وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي عهد الصحابة ، وفي القرن الاول الهجري كان يطلق على أهل الله أهل العلم بالله والعمل الصالح لله كان يطلق عليهم « أهل المعرفة بالله » كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان من العلم كهية المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله ، فاذا نطقوا به لم يجهل الا أهل الاغترار بالله تعالى » . وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان امام العارفين العالمين المتقين ، لقوله : « ان اتقاكم واعلمكم بالله انا » رواه البخاري .

ولماذا لبسوا الصوف ؟

لقد رأى هؤلاء الزهاد من ناحية الملبس ، زاوا في الصوف ما يحقق أهدافهم التي تتصل بالتقشف والخشونة ، فهو متين رخيص ، كاف لا يحتاج معه الإنسان في الشتاء الى غيره ، ولا يحتاج الى تغييره كثيرا ، وذلك لانه لا يبلى بسرعة ، فتصوفوا ، اى : لبسوا الصوف فأطلق عليهم بعد أن لبسوا الصوف لفظ (الصوفية) وأصبح الزهاد يعرفون في البيئة العربية باسم (الصوفية) .

إذا ثبت ذلك نقول : ان التصوف في ذاته وجوهره ليس امرا مستحدثا ، فهو مستقى من أصول اسلامية وشريعة الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . أما التسمية وجدها هي المستحدثة ، ولا يضرها انها تسمية مستحدثة ، وانكار بعض الناس على لفظ (صوفى) انه لم يسمع في عهد الصحابة والتابعين مردود ، اذ كثير من اللغوم والمصطلحات والتسميات استحدثت بعد زمن الصحابة واستعملت ولم تنكر ، كعلم النحو ، وعلم الفقه ، وعلم المنطق ، وعلم الأصول والفرائض .

ومهما كان الامر فاننا لا نهتم بالالفاظ والتعبيرات بقدر اهتمامنا بالاسس والحقائق . . والجوهر فإذا قلنا ان التصوف في جوهره وهدفه هو المعرفة بالله والعلم به فيكون رسول الله صلى الله عليه وسلم اول هذه الطائفة العارفة بالله ، لانه عليه الصلاة والسلام اعرف خلق الله بالله واعلمهم به كما قال : (ان اتقاكم واعلمكم بالله انا) .

فالتصوف اسلامى ، ومبدء وجوده منذ أن وجد الاسلام ، واذ لم يكن موجودا بالاسم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته فقد كان موجودا بحقيقته وجوهره وأصوله ، ورسومه التي هي حقيقة الاسلام وجوهره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ان التصوف تخلية عن المآثم والمعاصي وتحلية بالطاعات . . وتجلية بالمحبة الالهية والفيوضات الربانية . . انه اخلاقيات وسلوك مثالى . . انه جهاد وذكر وفكر وشكر وزهد . . وهو بهذه المعانى كلها يكون مما جاء به الوحى ، ومما نزل به القرآن ، ومما حثت عليه سنة من نزل عليه القرآن عليه افضل صلاة وسلام ، ومن هذا المنطلق نحكم في ثقة وحق وصدق بأن التصوف قد مورس فعلا في العهد النبوى والصحابى والتابعى هذا هو التصوف الاسلامى ، وان شئت قلت هو الاسلام فالمعنى واحد وان اختلفت التسمية . .

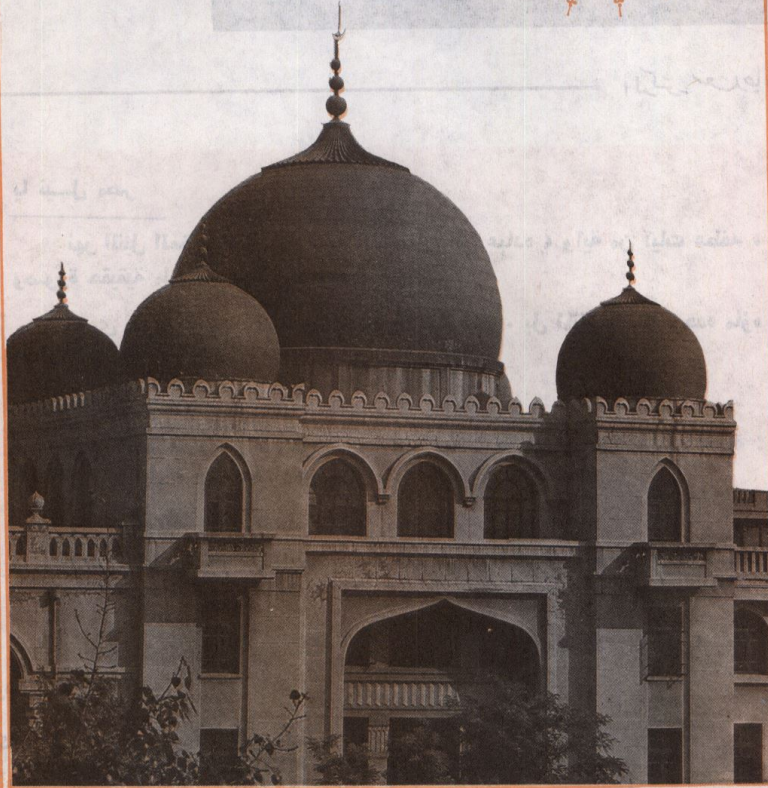
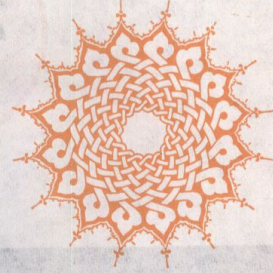
انه في كلمة انه الاسلام المصفى ، بل قل ان شئت هو الارستقراطية الاسلامية اى هو الاسلام في أعلى مستوياته .

واختتم حديثي هذا بقول ابن خلدون في مقدمته عن التصوف :

وهذا العلم — يعنى التصوف — من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، واصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة ، وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم — طريقة الحق والهداية ، واصلها : العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق ، والخلو للعبادة ، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف .

فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثانى وما بعده وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم « الصوفية » . والله الموفق وهو المعين .

حضارة الاسلام



نهر من الجنة

الركوة سعد جاديش

يا نيل مصر

نهر النيل العظيم الذي هو هدية الله تعالى الى عباده ، وآية من آيات عطفه .
وصورة حقيقية ملموسة لبره ورحمته .

يجرى بدون منة من احد . ولا تحكم، ولا بذل ثمن . بل المنة فيه لله وحده ماؤه
طاهر . وعذب سلسيل .

١ - تجرى من الجنة

روى الامام احمد عن ابي هريرة رضى الله عنه : فجرت اربعة انهار من الجنة :
الفرات . والنيل . وسيحان وجيحان .

وروى ابو الشيخ في العظمة عن ابي هريرة رضى الله عنه :

(ان النيل يخرج من الجنة . ولو التمستم فيه حين بمج لوجدتم فيه من
ورقها) .

قال تعالى :

٢ - ويأتى بلا منة

لو كان يأتى من عند احد من البشر لطلب فيه
الثمن . اوضن به او منع من يشاء منه . لكنه
يأتى من عند الله تعالى تزجر الملائكة عليهم
السلام الريح لتحرك السحاب فيمطر حيث يكون
المطر طيبا وصيبا نافعا ثم ينزل بدون اضرار
لزراع او تعطيل منفعة .

وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ

بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

الشورى - ٢٨

وصدق الله العظيم اذ يقول :

أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أَمْحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

الواقعة : ٦٨ - ٧٠

هذا الماء المبارك الذى تنعمون به طهورا وشربا وتدفعون به ما ينزل بكم من الظما والذى بنبت الله لكم به الزرع . ويدرك لكم به الزرع . وعلى شواطئ أنهاره تكونون الأسر والجماعات . هذا الماء الذى لا يدرك أحد فضله ولا يؤدي شكره والذى هو سبب الحياة . لقوله تعالى : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . وهو عامل من عوامل الانتصار فى الحياة . يطهر الله به عباده . ويذهب عنهم رجز الشيطان ويربط على قلوبهم ويطمئنهم على حاضرهم ومستقبلهم ويثبت به الأقدام .

ينزل بقدره الله

قال تعالى : « أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟ » .

أجل : انه نزل بقدره الله تعالى ، فإله عز وجل بقدرته جمع قطراته فى السماء وطهره من كل داء ، ثم أمر الملائكة عليهم السلام أن يزجروا الرياح لتتحرك بذلك الغيث المبارك فينشر الله رحمته على من يشاء من عباده .

لا يستطيع أحد أن يأتي به وقد منعه الله تعالى . كذلك لا يقوى أحد على رده . وقد اذن به ربنا عز وجل . ولو اجتمعت الدنيا كلها على تحقيق ذلك الاتيان به . أوردته . ومع هذا فإن الناس يعتدون على حرمة فيلوثونه وهو سبب حياتهم ، ويتلفونه وبذلك موت زروعهم ومواشيهم . فكيف ذلك .

« ولو نشاء جعلناه أجاجا » أى ماء شديد الملوحة لا يمكن شربه وقال الحسن فى معنى الأجاج : هو الماء الذى لا ينتفعون به فى شرب ولا زرع ولا غيرها « فلولا تشكرون » أى فهلا تشكرون نعمة الله عليكم . وقد أنزل لكم هذا الماء المبارك من السماء تكملا وتفضلا وحنانا ولطفا وبلا استحقاق منكم ؟

الغيث : المطر . يغيث الخلق ويأتيهم بالخير بعد يأس منهم وظن أن الهلاك لاحق بهم . قال العلماء : والغيث ما كان نائما فى وقته . والمطر : قد يكون نائما وضارا فى وقته وغير وقته اهـ .

« وينشر رحمته » أى المطر . يأتي من عند الله بالخير والنماء والبركة .

وليس هناك أى سلطة يمكنها تحريكه أو منعه أو الزيادة فيه أو الانقاص منه إنما النيل كله لله يجرى بقدرته ويتوقف بارادته .

قال أبو الشيخ فى كتاب العظمة : حدثنا أبو الطيب حدثنا على بن داود حدثنا عبد الله ابن صالح حدثنا ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عن حدثنا قال : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص رضى الله عنه حين دخل يوم من أشهر الحزم فقالوا : يا أمير المؤمنين . ان لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها . قال : وما ذاك؟ قالوا : اذا كان احدى عشرة ليلة تخلص من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها فارضينا ابويها وجعلنا عليها من الثياب والحلي افضل ما يكون ثم القيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو : ان هذا لا يكون أبدا فى الاسلام ، وان الاسلام يهدم ما كان قبله . فاقاموا . والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاد .

فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك . فكتب له : أن قد أصبت بالذى قلت وان الاسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة فى داخل كتابه وكتب الى عمرو : انى قد بعثت اليك بطاقة فى داخل كتابى فالتقها فى النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين الى نيل مصر .

اما بعد .

فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر . وان كان الله يجريك فاسأل الواحد القهار أن يجريك . فالتقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم ، فاصبحوا وقد اجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة . فقطع الله تلك السنة عن اهل مصر الى اليوم (١) .

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢٧ كرامات سيدنا عمر رضى الله عنه

يتودد اليكم بالنعم وانتم تجاهرونه بالعداوة .
وتواجهونه تعالى بما يغضبه ويستجلب النقم .
أكلتم نعم الله ولم تؤدوا شكرها . فلم هذا
العناد والغفلة ؟

قال تعالى :

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ أَأَنْتَ
صَبَّأْتَ الْمَاءَ صَبًّا ۚ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ وَعَبَا وَقَضْبًا ۚ وَزَيْتُونًا
وَعَلًّا ۚ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۚ وَفَلَكَهًا وَابًّا ۚ
مَنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعِمَكُمْ ۚ

سورة عبس ٢٤ - ٣٢

اجل . فليُنظر الانسان ويتدبر كيف خلق الله
طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيا له
اسباب المعاش . فليُنظر الى قدرتنا كيف صببنا
الماء صبا فأخرجنا به النباتات الذي منه طعام
الانسان فأنبتنا به قمحا وشعيرا وزرعا ونخلا
طلعها هضيم « وعنبا وقصبا » سائر البقول التي
تقطع فينبت أصلها وحدائق غلبا : اى ملتفة
قد عظم شجرها والتف وتداخل بعضه في بعض
« وفلكه » اى ما يأكله الناس من ثمار الأشجار
كالتين والعنب والوخ وغير ذلك « وابا » كل
ما أنبتت الأرض أو كل ما تأكله البهائم من
العشب هذه بعض آثاره المباركة . فلم تؤدون
شكر ذلك . باخلاص العبادة لله تعالى وترك
المعاصي التي تهددكم بالخطر ؟ وتنذر بزوال
النعم عنكم ؟

أكرموا جوار نعم الله :

يا قوم : أكرموا النعمة . لا تلوثوها .
لا تستخدموها في محاربة ربكم .

أخرج ابن ماجه والحاكم عن عائشة رضى الله
عنها قالت : دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم فرأى كسرة ملقاة فآخذها فمسحها ثم
أكلها وقال : يا عائشة أكرمي كريمك . فانها
ما نفرت عن قوم فعادت اليهم .

وقال الغزالي : وفي الخبر لا يستدير الرغيف
ويوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون
صائغا أولهم ميكائيل الذي يكيل الماء من خزائن
الرحمة . ثم الملائكة التي تزجر السحاب والشمس
والقمر والأفلاك وملائكة الهواء ودواب الأرض
وأخر تلك الخبائر « وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها » فلم تلوثون مياه النيل . ففتحتون
على هذا الماء الطاهر المجارى ؟

١ - مالكم لا تقدرون هذه النعمة حق قدرها
فتركتموها تلوث بالماء النجس المضر .

٢ - لم فتحتم عادم المصانع والقيمت على
شواطئ النيل والترع القانورات .

٣ - لم اساتم استخدام شواطئه
فجعلتم على تلك الشواطئ دور الملاهي والرقص
والفجور فاذا انصر النيل وانكش وقل ماؤه
مددتم تلك المباني والقيمت بأعمدة المسلح لتوسعوا
دائرة هذا الفساد .

٤ - لم هذه السفن العائمة بما فيها من
خبور وفجور ورقص واكل حرام .

٥ - لم هذه الحمامات - حمامات العراء -
على شواطئه كما خلقهن الله ؟

٦ - لم يكن شواطئ النيل محلا للخلان
والخيليات . اذا أرخى الليل ستوره وغارت
نجومه وخلا كل حبيب بحبيبه تحت الأشجار دون
رقابة فهل هذا من شكر النعمة يا قوم ؟

٧ - في العام الماضي كان الفزع الاكبر بسبب
تلوث شواطئ الاسكندرية بمياه المجارى وهذا
كان يؤثر على موسم العراة على الشواطئ حيث
الاباحية المطلقة واللجنة الكبرى . والبلاء الأعظم .
فلم لا تكون حملة الخوف من التلوث أعظم
بالنسبة لماء الحياة والنماء والعز والخير ماء
النيل الذي هو من الجنة .

٨ - يا قوم : كنتم تزرعون قمحا . فلعب بكم
الشيطان فقال لكم ان القمح توردون منه للدولة
فياكل منه الجند وأهل المدن الفقراء . لا تزرعوا
قمحا وازرعوا كتانا وزرعا أخرى لا تورد
للحكومة شيئا . وهذا من نزغ الشيطان .
فضننتم على المنعم عز وجل وانكرتم نعمة الله .

فياخذ بعض ما في ايديهم ، وما لم تحكم انهم بكتاب الله الا جعل بأسهم بينهم » (سنن ابن ماجه . كتاب الفتن . باب العقوبات ج ٢ ص ١٣٣٢ رقم الحديث ٤٠١٩ .

٣ — وروى البزار مرفوعا (اذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة) .

٤ — وروى الترمذى مرفوعا : (اذا فعلت امتى خمسة عشر خصلة حل بها البلاء قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : اذا كان المغنم دولا ، والامانة مغنما والزكاة مغرما ، واطاع الرجل زوجته ، وعق الولد امه ، وبر صديقه وجفا اقاربه ، وارتفعت الاصوات في المساجد ، وكان زعيم القوم أرزلهم واكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت المغنيات والمعازف ، ولعن آخر هذه الامة اولها ، فليترقبوا عند ذلك ريحا حمراء . او خسفا ومسحا » .

تأديب :

كانت النتيجة هي التأديب . والنعم لا تدرک الا بالحرمان منها .

قال تعالى :
أُولَٰئِكَ يَتُوبُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ مَّارَةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾

سورة التوبة — ١٢٦

وقال تعالى :

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَاسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ

سورة الانبياء ١ — ٣

فتوبوا يا قوم . توبوا . فحالتنا لا يرضى به انسان .

لقد توقف النيل . وانذر مسئول الكهرباء بتخفيض الكهرباء . وان الكهرباء لما وصلت القرية نقلت اليهم مع فائدتها ثرا مستطيرا لقد سهر أهل القرية امام « التلفزيون » لينظروا الى المسلسلات والمسرحيات فناموا عن صلاة الصبح .

ما هو الجواب باختصار عن اعتذار النيل عن التدفق ؟

الاجابة من غير تعليق .

١ — عن بريدة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما منع قوم الزكاة الا ابتلاهم الله بالسنين) رواه الطبراني في الأوسط ورواته ثقات . ورواه الحاكم والبيهقي بلفظ : (ولا منع قوم الزكاة الا حبس عنهم القطر) .

وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم . ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء ش ابن ماجه ج ٢ ص ١٣٣ كتاب الفتن باب العقوبات ومعنى السنين : الجسد والقحط وانعدام نزول الأمطار . وهلاك الزروع بالآفات والقطر : هو المطر يمنعه الله عن منع الزكاة واجترا على حدود الله .

خمس بخمس :

٢ — روى البيهقي من حديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا معشر المهاجرين خمس ان ابتليتم بهن أعوذ بالله ان تدركوهن ، لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها الا فشا فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان الا اخذوا بالسنن وشدة المؤنة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم الا منعوا القطر من السماء . ولولا البهائم لم يبطروا ، ولا نقضوا عهد الله وعهد رسوله الا سلب عليهم عدوا من غيرهم

آيات مفصلات :

قال تعالى :

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصَ

مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

الاعراف — ١٣٠

السنين : جمع سنة وهو العام المقط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئا سواء وقع مطر أو لم يقع . وهو هلاك الزروع .
« **لعلهم يذكرون** » لعل تلويهم ترق ويرجعون عن المعاصي ويتوبون .
قال تعالى :

فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ

قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى

وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا نَطَّيَّرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

الاعراف — ١٣١

ان وسع الله عليهم الأرزاق أغثروا ونسوا الخالق ادعوا ان هذا لواسع خبرتهم وان ضيق عليهم . تشاءموا وادعوا ان ذلك بسبب الجود والتحجر والتمسك بالدين فادبهم الله ابلغ تأديب . وخوفهم وايقظهم كي يفيقوا من غفلتهم .
قال تعالى :

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ

وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ

فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٢﴾

الاعراف — ١٣٢

لقد استمرت هذه الآيات عشرين سنة يعظمهم الله بها ويخوفهم كي يرجعوا .

١ — الطوفان :

أرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر الشديد حتى غمرهم وعاموا فيه — والمطر مصدر رحمة . لكنه هنا كان مصدر نقمة أهلك زروعهم ودمر مساكنهم . وهكذا السيول في أوروبا وأمريكا

١ — عام ١٤٠٧ هـ طاعون يهلك الثروة الحيوانية في البحيرة . وكفر الشيخ وطنطا والمنصورة وغيرها .

٢ — عام ١٤٠٧ هـ فئران في الشرقية والمنصورة تأكل الزروع وتهدد أمن الناس .

٣ — عام ١٤٠٨ هـ جراد منتشر اكل الأخضر واليابس في الجزائر وموريتانيا وليبيا ويهدد مصر . وقد أقبل من الناحية الغربية .

٤ — جفاف وجذب وانعدام امطار وذهاب النيل .

فهذا غضب من الله لكي نفيق من غفلتنا ونتوب الى الله .

يا قوم لم اعتذار النيل ؟

(لقد حدث زلزال بالمدينة المنورة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فهدد عمر القوم وقال لهم : والله لو حدث مرة أخرى لا أسكنكم فيها أبدا) فلم هذه الزلازل التي تحدث بنا ونحن في غفلة ؟

ما هذه النذر ؟ ما هذه الغفلة ؟ ما هذا الاعراض عن آيات الله ؟ لم كانت ولا تزال قلوبكم لاهية ؟

يا قوم . توبوا الى الله :

تعلمون ما هي أسباب الجذب والقحط وانعدام الامطار . وجفاف النيل ؟

يا قوم . تعلمون ما هي أسباب الجراد المنتشر . والطاعون الذي يهلك الماشية . والآفات السماوية التي تهلك الزروع والثمار ؟

يا قوم تعلمون ما هي أسباب الأمراض المنتشرة . وكثرة المستشفيات وازدحامها بالمرضى .

يجلس الى ذقنه في الضفدع واذا تكلم وثب في فيه فشكوا الى موسى وقالوا : نتوب فكشف الله عنهم ذلك فعادوا الى كفرهم فأرسل الله عليهم الدم .

٤ — فسال النيل عليهم دما :

وكان المؤمن بسيدنا موسى يغترف منه الماء .
والقبطى : يغترف منه الدم وكان المؤمنون يصبونه في أفواه الكافرين فيكون دما . واذا صبه الكفار في فم المؤمنين صار ماء زلالا .

واستمر ذلك أربعين يوما فاستكبروا وترفعوا عن الإيمان .

فتوبوا يا قوم توبوا . كفوا عن الشهوات .
احترسوا من الفواحش ما ظهر منها وما بطن .
احذروا من هذا التسبب والفوضى الأخلاقية
ادوا زكاة أموالكم كي ينزل الله الأمطار .

تضرعوا الى الله واعتذروا اليه . فان الله تعالى يقول عن قوم عاقبهم .

وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً

مِنْ حِجَالٍ مَّصْرُودَةٍ ٨١ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ

الظَّالِمِينَ يَعْجِدُ ٨٢

سورة هود — ٨٢ ، ٨٣

لا تعطوا أنفسكم الأمان . وانتم في خوف
ولا تتوهموا الاستقرار وانتم في قلق .

قال تعالى :

أَتُرْكُونَ فِي مَا هُمْنَا

ءَامِنِينَ ١٦١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٦٢ وَزُرُوعٍ وَنَحْلٍ

طَلْعُهَا هَضِيمٌ ١٦٣ وَنَخْلٍ مِنْ أَلْجَالِ بُيُوتٍ أَفْرِهِي ١٦٤

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ١٦٥ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ١٦٦

الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٦٧

الشعراء ١٤٦ — ١٥٢

مصدر نعمة مياهها مالحه لا تصلح للرئ ولا للشرب لارتفاع نسبة الأملاح فيها .

وقد استمر الطوفان بقوم موسى أربعين يوما فقالوا : لموسى : ادع لنا ربك يكشف عنا ونؤمن بك فدعا ربه فرفع عنهم الطوفان . فلم يؤمنوا فأنبت الله لهم في تلك السنة ما لم ينبت له من قبل . لكنهم نسوا الله ونسوا عقابه واجترأوا على حدود الله وارتكبوا الفواحش .

٢ — فبعث الله الجراد :

فكان يأكل الأخضر واليابس . فأكل زروعهم وثمارهم . حتى أنها كانت تأكل النسقوف والأبواب حتى تنهدم ديارهم . فعاهدوا موسى أن يؤمنوا لو كشف عنهم الجراد . فدعا الله تعالى . ولكنهم سرعان ما نسوا عهدهم فاقبلوا على المعاصي وأنهمكوا في الشهوات أنهمك البهائم والحيوانات .

٣ — فأرسل الله عليهم القمل :

قيل : هو السوس الذى في الحنطة .

قيل هو القراد أكلت دوابهم وزروعهم ولزمت جلودهم كأنها الجدرى عليهم ومنعهم النوم القرار .

وقيل : هو البراغيث وقال الحسن : دواب سود صفار . فتضرعوا وكشف الله عنهم — لكنهم عادوا الى ضلالهم القديم .

٤ — فأرسل الله عليهم الضفادع :

والضفادع : جمع ضفدع وهى التى تكون في الماء .

والضفادع أكثر الدواب تسبيحا لله تعالى . قال عبد الله بن عمرو : لا تقتلوا الضفدع فان نقيته الذى تسمعون تسبيح — ومع هذا الناس يصطادونه فيوردونه لفرنسا لتأكله وكانت الضفدع تصب الماء على نار سيدنا ابراهيم عليه السلام . ا هـ . القرطبي .

لكنها كانت آية عذاب لقوم موسى . سلطها الله على فرعون فأخذت تتحرك في كل مكان فملا فرشه وأوعيتهم وشرابهم فكان الرجل

أُمَّة وَاحِدَةٌ

٢

المُتَشَارِعُ عِثْمَانُ حَيِّن

تحدث الكاتب في الموضوع السابق عن :

ان آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توجب الأخاء والسلام بين المسلمين أفراداً وجماعات ، وتكفل سلامة البنية الاجتماعية والسياسية لجماعة المسلمين وتفرض العدل . وتوجب على سائر الأمة التوفيق بين المتخاصمين من المسلمين ثم تحدث عن مبدأ وحدة الأمة الإسلامية وانها اصل دائم من اصول الاسلام وأنه لم ينقر لمرحلة معينة ولا لفترة بذاتها . وفي هذا المبدأ يتحدث الكاتب عن : ان المسلمين تجمعهم وحدة العقيدة الربانية ووحدة المنهج والشريعة ووحدة المصلحة ثم يتحدث عن انه يجب على المسلمين ان ينسقوا فيما بينهم ويتبادلوا الخبرات والمنافع وتنظيم التكافل الاجتماعي والنجدة في الكوارث والملمات ويواصل الكاتب حديثه عن هذا الموضوع .

« التحرير »

وحدة المصلحة ، وينتظمهم جميعاً سلك الأخوة

« انما المؤمنون اخوة » .

الحجرات : ١٠

ان الاتحاد — ايا كان مداه — قوة ، وان الانتماء الى اقطار تجمع بينها جامعة تكفل تضامنها وتناصرها ، وتبادل المنافع بينها ، من شأنه تحقيق الرخاء والعزة والهيبة ..

ان الاقطار الاسلامية اذا تمثلت دلالة الآيات والأحاديث السالف ذكرها وآمنت بها ، وعززت على العمل بمقتضاها ، فسوف تسعى نحو وحدة الدولة الاسلامية ، او الاتحاد بين الاقطار الاسلامية . واذا لم يتحقق هذا الهدف كاملاً ، فلا اقل من ان تسلك هذه الاقطار التعاون الصادق الحق ، فالمؤمنون بالاسلام تجمعهم وحدة العقيدة الربانية ، ووحدة المنهج والشريعة ،

الانحياز الى هذه الكتلة أو تلك ، وجعلت ولائها للدين والوطن ، وعدلت الأقطار المتعادلة بينها أو المتقاطعة عن طريق حل المنازعات بينها بالقوة ، ولجأت في ذلك الى الصلح والتحكيم وسائر الطرق السلمية .. ماذا لو أنها التقت فبحثت ودرست ثم عقدت اتفاقيات جماعية للتنسيق بينها في الشؤون التعليمية والعلمية والثقافية ولتيسير الزيارات والتعارف والسياحة ، وتبادل المنافع والخبرات ، ولتنظيم التكافل العام ، والنجدة في الكوارث والمهمات ، وأيجاد اتحاد إسلامي لصناديق الزكاة ، ولإقامة نوع من السوق الإسلامية المشتركة ، تقرر تسهيلات متبادلة في شؤون النقد ، والاستيراد والتصدير ، والعمل ، ومعاملة الدولة الأكثر رعاية ، فيما يتعلق بالأجراءات الجبركية والاعفاءات ، مع تشجيع الاستثمارات في مجالات الزراعة والصناعة والأعمال ، وتنمية المؤسسات الاقتصادية والمالية الهامة ودعمها (كالمصارف الإسلامية وشركات المراقبة والتأمين الكبيرة والاتحادات التي تضم هذه المؤسسات) ، وتنظيم اتحادات إسلامية لهيئات الإعلام والنشر الدعوة والإذاعة .. وإنشاء المشروعات الكبرى للمواصلات والاتصالات بين أقطار العالم الإسلامي ، واتفاقيات أخرى ولقاءات تستهدف نوعاً من التنسيق بينها في المواقف السياسية والدولية ، مع الاتفاق على الخطوط العريضة في القضايا المصرية الكبيرة التي تهم المسلمين جميعاً ..

لو تم ذلك ، وسارت في أبرام مثل هذه الاتفاقيات الجماعية مبادئ الأخوة بين المؤمنين ، ووحدة الأمة الإسلامية ، فسوف يعود ذلك على هذه الأقطار الإسلامية بالخير والمصلحة ، والهيبة والاحترام ، في نظر الغرب والشرق ، والأصدقاء والأعداء ، على السواء ، وسوف تجد هذه الأقطار نفسها أقرب الى نداء القرآن :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة » .

ولو سارت الأمور في طريق التدرج خطوة أخرى ، واتفق أبناء (الأمة الواحدة) على إقامة نوع من الاتحاد التعاهدي (الكونفدرالي) ، يعد دستوراً يرضى الأطراف ، في ضوء روح الشريعة وتجارب الاتحادات التاريخية والمعاصرة ، بحيث تبقى لكل قطر إسلامي شخصيته الدولية ، وتوحد الخطط بين هذه الأقطار في شؤون

ان ماضى المسلمين المزهرة المشرق كان ثمرة إيمانهم واتحادهم ! وان التاريخ الحديث والمعاصر يرينا كيف تسير الدول حثيثاً في طريق الاتحاد والتعاون ابتغاء تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية .. حلف وارسو ، والكوميكون ، مثلاً يكفل ذلك لدول من آسيا وشرق أوروبا (الكتلة الشرقية) .

وحلف الأطلنطي يكفل ذلك من الناحية السياسية والعسكرية لدول من أمريكا وأوروبا . والسوق الأوروبية المشتركة تحقق تعاوناً اقتصادياً متزايداً لدول أوروبا الغربية ، ثم تطور هذا التعاون ليشمل علاقات اقتصادية بين هذه السوق الأوروبية المشتركة وبين دول أخرى من إفريقيا وآسيا ، واتفاقيات تمعدها هذه الدول مع السوق المذكورة .

ولقد سار التقارب بين دول أوروبا الغربية شوطاً آخر في شكل تعاون سياسي وثيق وتنسيق كبير يقوم على شؤونه (مجلس أوروبا) و (برلمان أوروبا) بل ان آخر الأنباء تفيد أن أوروبا تتجه نحو ما يشبه الاندماج الاقتصادي والسياسي شبه الكامل في سنة ١٩٩٢ :

وثمة أمثلة أخرى كثيرة للأحلاف ، والاتحادات ، والمنظمات الإقليمية مثل منظمة الوحدة الإفريقية ، ومنظمة جنوب شرق آسيا ، وللاتفاقيات ، الجماعية والثنائية ، التي تقرر وتضبط — الى مدى قريب أو بعيد — أنماطاً والواناً من التعاون بين الدول ، في شؤون الاقتصاد ، والتنمية والتبادل التجاري ، والتعاون الصناعي التكنولوجي ، وهجرة الأيدي العاملة ، وفي شؤون الأمن ، والضمان الاجتماعي ، وفي شؤون السياسة الدولية ، وفي غير ذلك من الشؤون الهامة والحيوية ، وليس ثمة من ينكر على هذه الدول الوفاق أو الاتحاد !

فماذا لو ان الأقطار التي تدين غالبية الشعوب فيها بالإسلام أصاغت السمع الى صوت الإيمان ، ونداء المصلحة ، فانتهجت سبيل الود والتضامن ، المصلحة ، فانتهجت سبيل الود والتضامن ، وحصرت خلافاتها في أضيق الحدود ، وتخلت عن

١ - سيادة مبادئ الشريعة الإسلامية وهي الحرية ، والعدل ، والمساواة ، ومشاركة الشعب في الحكم (الشورى) ، والتزام الحاكمين - على مستوى الاتحاد وأقطاره - بالشريعة ، ومسئوليتهم أمام الشعب عن ذلك كله .

ومتى كفل الاتحاد ذلك فلا سبيل لرجوع احد الأقطار عنه .

والدعوة الى الاسلام ونشرها بالحكمة والموعظة الحسنة ، سواء في داخل أقطار الاتحاد أو في خارجها :

« وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

الأنبياء - ١٠٧

٢ - توثيق الصلات والأواصر بين شعوب الأقطار التي يضمها الاتحاد ، وتبادل المنافع بينهم على نحو يحقق المصلحة والتنمية الاقتصادية لهم جميعا .

٣ - الاحترام والهيبة للكيان الدولي الكبير وإبراز قوة رابطة الانتماء الى أمة موحدة مترابطة وثيقة الأركان عزيزة الجانب .

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

المنافقون - ٨

٤ - حل منازعاتهم لدى محكمة عدل اسلامية، ونبذ التوتر والصراع والحرب بينهم ، ونصرة الحق والعدل بصفة عامة ، والعمل على توطيد اركان السلام الدولي .

« يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلام كافة » .

البقرة - ٢٠٨

والى اللقاء في العدد القادم ان شاء الله .

الاقتصاد والسياسة والدفاع . أفلا يكونون اقرب الى (الأمة الواحدة) التي وجههم اليها القرآن الكريم ، وإلى الكيان الدولي القوي الذي يواجه تحديات الحضارة والمعترك العالمى ، وإلى الكيان المؤمن الجاد المتزن ، الذى يسالم الآخرين ويبرهم ولا يعتدى عليهم ، ولكنه لا يقبل منهم الاعتداء على أقطاره ، أو الاستخفاف بآمره ، أو الافتئات على عقائده وشرائعه !

وان من المتصور أن يستمر التقارب ويتسع مدلول الاتحاد ونطاقه ، فيصبح (اتحادا فدراليا) يضم طائفة من الأقطار الإسلامية المتجاورة أو القريبة ، بحيث تتكون منها دولة واحدة لها شخصية دولية واحدة ، ذات حكومة مركزية ، وولايات تتمتع كل منها - في نطاق اقليمها - باختصاصات وسلطات كبيرة لإدارة شئونها ، يحددها دستور الدولة ، الذى يعد بالاتفاق بين الأطراف ذات الشأن ..

.....

هذا وان أى شكل من أشكال الاتحاد الإسلامى يجب أن يكفل سيادة مبادئ الشريعة في شئون الحكم والحريات والتشريع والقضاء والعدل الاجتماعى ، وأن يتبنى مفهوما واضحا هو أن الاسلام دين ودولة ، عبادة وحضارة ، حرية وعدل ، عزة وتقوى ، وأن السبيل الى نشر الدعوة الى الاسلام ، وترسيخ فضائله ومكارمه ، وتحقيق أهدافه ومقاصده ، هو سبيل (الأمة الواحدة) ، فهذه سبيل المؤمنين .

انه اذا حصرت السلبات والأطباع السياسية في أضيق نطاق ممكن ، وغلب على ساسة الأقطار الإسلامية وشعوبها الرشد والايمان ، أمكن أن يتحقق للمسلمين - في ظل اتحاد أقطارهم - نظام ديمقراطى يقوم على رضا الشعوب ويعمل لصالحها ويتميز بما يأتى :



يَا رَبِّ

الأستاذ محمد إبراهيم الخطيب

يارب دعوة العبد لخالقه ورازقه ، وحافظه وصاحب الأمر فيه وفي جميع خلقه . . يارب رجاء وأمل ، يارب نداء من الأعماق يردده المرء ساعة الحاجة أو الضيق أو الطمع في خير عاجل أو خير آجل . ومن الغالب أن يدعو الواحد منا بما يفيد في دنياه أو أخراه أو فيهما معا ، أو بما يفيد أحباءه أو أقاربه ، وكم من أناس يغلب على دعائهم طلب المسرات والرغبات التي تدور حول المال أو الجاه أو الصحة أو غير هذا وذاك من المطالب أو المطامع . والحقيقة المشقة تقول : انه كلما ازداد المرء هدى وكلما تجمل وتزود بالتقوى ارتفع دعاؤه عن مستوى هذه المطامع الى أفق التعلق بما يرضى الله تبارك وتعالى أو بما يرفع مكانته عند خالقه العظيم .

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

البقرة : ١٨٦

وفي قوله كذلك :

«لولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك».

كما يأتي الدعاء ايضا بمعنى « الاستغاثة » :

هذا ويأتي الدعاء بمعنى العبادة حيث قال صلى الله عليه وسلم : « الدعاء مخ العبادة » ولا شك ان الأصل الذي تقوم عليه العبادة هو الشعور بالحاجة الى الله وانه — دون غيره — هو الذي يلتمس منه الخير ، ولا عجب فهو الغنى الذي يلتمس منه الغنى ، وهو القوى الذي تلتمس منه القوة وهو القادر الذي تلتمس منه القدرة ، وهو الرحمن الرحيم الذي يفيض برحمته ونعمه وخيره على كل هذا الوجود . . وصدق سبحانه في قوله الكريم : « ادعوني استجب لكم » وفي قوله :

ترجعون الى الله وسترجعون اليه يوم القيامة
ايضا ، فلم تصرون على الشرك في حال الرفاهية
والرخاء .

وفي الحديث النبوي الشريف : « اذا سألت
فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » ،
« من نزلت به فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ،
ومن نزلت به فاقة فانزلها بالله فيوشك الله له
برزق عاجل او آجل » .

وقال تعالى في توبيخ المشركين :
« ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم
فادعوهم فايستجيبوا لكم ان كنتم صادقين » .
الاعراف : ١٩٤

وقال تعالى في الحديث القدسي : « يا عبادي
اني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم
محرمًا فلا تظالموا ، يا عبادي : كلكم ضال الا من
هديته فاستهدوني اهدكم ، يا عبادي : كلكم جائع
الا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي :
كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم ،
يا عبادي ! انكم تخطئون بالليل والنهار ، وانا
أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم ،
يا عبادي ! انكم لن تبلفوا ضري فتضروني ولن
تبلفوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ! لو ان اولكم
وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل
واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ، يا عبادي !
لو ان اولكم وأخركم وانسكم وجنكم كانوا على
أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من
ملكى شيئا ، يا عبادي : لو ان اولكم وأخركم
وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني
فأعطيت كل واحد منكم مسأله ما نقص ذلك
مما عندي الا كما ينقص الخيط اذا أدخل البحر ،
يا عبادي : انما هي اعمالكم أحصيتها لكم ، ثم
أوفيكم اياها ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن
وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه » .

وقد ورد في حديث قدسي آخر : « يا ابن آدم
انها هي اربعة : واحدة لي ، وواحدة لك ،
وواحدة بيني وبينك ، وواحدة بينك وبين خلقي .
فاما التي لي فان تعبدني لا تشرك بي شيئا ،
واما التي لك فعملك اجزيك به أحوج ما تكون
اليه ، واما التي بيني وبينك فعليك الدعاء وعلى
الاجابة ، واما التي بينك وبين خلقي ، فان تأتي
الناس بما تحب أن يأتوك به » .

ويكون الدعاء باسم من أسماء الله الحسنی
مصادقا لقوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾
الانعام : ٤٠

وكم حث القرآن الكريم والسنة الشريفة على
الدعاء لأنه يقرب بين العبد وربّه ويطمئن
النفس ، ويشرح الصدور لما فيه من اظهار
الإفتقار الى الله ، والتبرؤ من الحول والقوة ،
والثناء على الله والاعتراف بفضلّه وكرمه ونعمه
التي لا تحصى ولا تعد .

وفي الحديث الشريف « أعطيت أمي ثلاثا لم
تعط الا للأنبياء كان الله تعالى اذا بعث النبي
قال : ادعني استجب لك ، وقال لهذه الأمة :
« ادعوني استجب لكم » ، وكان الله اذا بعث
النبي قال : ما جعل عليك في الدين من حرج ،
وقال لهذه الأمة : « وما جعل عليكم في الدين من
حرج » ، وكان الله اذا بعث النبي جعله شهيدا
على قومه ، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس »
(نوافر الأصول) .

وكان بعض السلف يقول : عجبت لهذه الأمة :
تقبل لها : ادعوني استجب لكم ، أمرهم بالدعاء ،
ووعدهم الاستجابة وليس بينهما شرط ، قيل
مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله تعالى :

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

فها هنا شرط هو عمل الصالحات . ولا يكون
الدعاء الا لله وحده مصداقا لقوله تعالى :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ
أَوْ أَتَاكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤١﴾
بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَبَكِّفْ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَتَسْأَلُونَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾
الانعام : ٤٠ — ٤١

« ارايتكم » اي : اخبروني .

وقد نزلت هذه الآية في محاجة المشركين من
اعترف ان له صناعا ، اي انتم عند الشدائد

« والله الأسماء الحسنى فادعوه بها » .
الأعراف : ١٨٠

أى اطلبوا منه بأسمائه فيطلب لكل اسم ما يليق به . تقول مثلاً : يا رحيم ارحمنى ، يا رزاق ارزقنى ، يا هادى اهْدنى ، يا فتاح افتح لى ، يا تواب تب على وهكذا .

وقد قال العلماء ان الأسماء الحسنى غير منحصرة في تسعة وتسعين لما جاء في الحديث النبوى الشريف : (ما أصاب احدا قط هم ولا حزن) . فقال : (اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او أنزلته فى كتابك او علمته احدا من خلقك ، او استأثرت به فى علم الغيب عندك ، ان تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي) الا اذهب الله حزنه وهمه ، وابدل مكانه فرحاً ، فقل : يا رسول الله افلا نتعلمها ؟ فقال : بلى ، ينبغي لكل من سمعها ان يتعلمها) .

هذا وكل مؤمن قوى الايمان يدعو الله دوماً ويلتجئ اليه في كل حالة من حالاته ويجد غاية المتعة في هذا الالتجاء ولا عجب اذا قلنا لقد دعت الملائكة ودعا الرسل : دعا آدم ونوح وابراهيم وموسى وزكريا ودعا نبينا محمد عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه يقول تعالى :

« والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض »

الشورى : ٥

ويقول على لسان آدم وحواء :

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ

مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾

الأعراف : ٢٣

وقال تعالى عن نوح :

« فدعا ربه انى مغلوب فانتصر » .

القمر : ١٠

وقال عن ابراهيم عليه السلام :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

البقرة ١٢٦ - ١٢٩

وقال تعالى :

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَتْهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

يونس : ٨٩

وكلنا نذكر يوم عاد نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - من الطائف انه دعا ربه بهذا الدعاء المشهور : (اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتى وهوانى على الناس . يا ارحم الراحمين ! انت رب المستضعفين ، وانت ربى الى من تكلنى ؟ الى عدو بعيد يتجهمنى ؟ أم الى صديق قريب ملكته امرى ؟ ان لم يكن بك غضب على فلا ابالى غير ان عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى اضاءت له السموات ، واشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان ينزل بى غضبك او يحل بى سخطك ، لك العتبى - أى الرضا - حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك) .

على رسوله واستقبال القبلة وختم الدعاء بمثل ذلك .. وترصد الاوقات الشريفة : كيوم عرفة، رمضان ، ليلة القدر ، ليلة النصف من شعبان، ليلتي العيدين ، عند الأذان ، وبين الأذان والاقامة والسجود وعقب الصلوات المفروضة وعقب تلاوة القرآن ، وعند نزول المطر ، وفي الجهاد وعند صدق الاضطراب .. والمطلوب أيضا الإلاحاح في الدعاء والتوبة ورد المظالم واكل الحلال وتفويض الله في الاختيار وختم الدعاء بالتأمين .

ومن أماكن الاجابة : الكعبة والمطاف ، وعند الحجر الأسود وعند شرب ماء زمزم ، والصفاء والمروة والمسعى وموقف عرفات والمزدلفة ومنى وعند الجمرات ، وبيوت الله .

ومن الواجب بعد الدعاء أن يفوض الداعي ربه في الاختيار ، لأن الانسان في الحقيقة جاهل بما ينفعه وما يضره يقول تعالى :

«وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» .

البقرة : ٢١٦

« فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ان من ادب الداعي أن يدعو الله تعبدا وأن يفوض الأمر إليه فهو الحكيم العليم ويسأله أن يختار له ما فيه الخير ، فقد يسأل العبد ربه الغنى ويكون فيه طغيانه ، وقد يسأل ربه الولد وتكون فيه فتنته ، وقد يسأله العافية ويكون فيها هلاكه ، والله تعالى كريم يعطى العبد ما سأل أو يختار له ما فيه خيره وصلاحه لعنايته به فيصير المنع حينئذ عين العطاء وقد قال بعض السلف : ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك .

وبقى أن نقول : لا يناقض أبدا الرضا بقضاء الله وقدره ، لأن الله تعالى قد تعبدنا به ليستخرج به من عباده صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التصرع وصولا الى جلاء القلب وتتابع مزايا اللطف ، ثم هل يمكن أن يكون حمل الكوز وشرب الماء مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش ؟ ان شرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب رتبته مسبب الأسباب وكذلك الدعاء سبب رتبته الله تعالى وأمر به ولعله يكون سببا لرد البلاء . ومن البدهى أن اتخاذ الأسباب لا يمكن أن يناقض التوكل على الله والرضا بقضائه .. وبعد فيارب : « اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » آمين .

هذا وقد نهى النبي عن الدعاء على النفس يقول : (لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم) .

ويستحسن طلب الدعاء من الصالحين والدعاء لمن عصى ، والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب فقد استأذن عمر بن الخطاب رسول الله في العمرة فأنزله وقال : لاتنسنا يا أخي من دعائك وجاء شاب الى رسول الله وقال : (يا نبي الله أأذن لي بالزنى ؟ فوعظه ثم وضع يده على صدره وقال : (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه وحسن فرجه) فلم يكن شيء أبغض إليه منه أي من الزنى .

وقال الله تعالى اخبارا عن « نوح » عليه السلام :

رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي

وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

نوح : ٢٨

وللدعاء الذي ترجى اجابته آداب فصلها رسولنا الكريم في سنته قولاً وفعلاً ، وانت مدعو الآن معي لتقاتل دعوات الرسول — صلى الله عليه وسلم — ولسوف تجدها — في مجموعها — طلبا لكمال الايمان ، واستعاذة من الشرور التي تهدد ، ورجاء لثوابه ، واستئذالا لتأييد الله عند السراء والضراء ، وأملا في لطفه في القضاء والكفاية في أمور الحياة دون ذل للعبيد ، وسوف لا تجد في السنة انه طلب ثروة طائلة أو جاه دنيوى أو ما ائشبه ذلك مما يلهث وراءه الناس ، بل انه استعاذ من المال الذى يطفى ، ومن كل ما يلهى عن ذكر الله ، وعن حقيقة الايمان به ، وعما يريده الله من المؤمنين من التبعات الجسام .

ومن آداب الدعاء المستجاب ان شاء الله رفع الأيدي حذو المنكبين واعتدال الصوت والدعاء بجوامع الدعاء أى موجزه الجامع بين خيرى الدنيا والآخرة ، وعدم العدوان في السؤال فقد سمع « سعد بن أبى وقاص » ولدا له يدعو قائلاً : اللهم انى أسالك الجنة ونعيمها وكذا وكذا ، فقال : يا بني ! انى سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : سيكون قوم يعتدون في الدعاء « فايك أن تكون منهم ، انك ان اعطيت الجنة اعطيتها وما فيها من الخير ، وان اعذت من النار اعذت منها وما فيها من الشر . ومن الآداب أيضا حسن الاستفتاح الممثل في البدء بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام



تَعَلَّمُوا سُح ظُهُر مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ

الدكتور عبد الرشيد صقر

ان الذين انتسبوا الى الاسلام وزعموا انهم حماة عقيدته وفداة شريعته وحراس منهجه من واجبه ان يجعلوا من انفسهم نماذج لقيمته الأخلاقية ومثلاً لسلوكه الراشد والولية لحقائقه الدافعة ومنازل طريقه الممهدة .

ولالأسف انهم عوقوا تياره النير وطمسوا معاليه اللامعة وشوهوا سمعته الناصعة اذ ان بينهم وبين مفاهيم الاسلام فجوة كبيرة وفي كيانهم الضامر انفصام في الشخصية وبقولهم طغح وشطط ارادوا ستره بالتدين المفسوش .

فالاسلام جواب في الآفاق وهؤلاء رقاد في الأعمال تحركهم دنيا ويلهم عرض ويبرهم منصب ويلويهم بريق .

الكبرى وأتذاك يرغرف العلم في أعنة السماء وتهين الأمة على مناكب الأرض وتستعلي بعد ضعف وتشمخ بعد ذل وهذا أمل مرجى لعله يتحقق في هذا العصر .

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا

فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَمًا وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٦٠﴾

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

القصص ٥ - ٦

السنة متطاوله على الحق ضاربة معاقله لأنه لم يوافق لهم هوى ولم يتشبع به وجدان ولم يستقم به فكر فالحق ما ارتضوه والباطل مارتضوه وبسببهم انحسر المد الاسلامي وتوجس البعض خيفة من دين الله المنعوت بالعنف الموصوف بالارهاب وهو من هذا كله براء وليس العيب فيه وانما في حملته الحيرى .

وليتهم يهرعون الى علماء الأزهر تصحيحاً لمفاهيم خاطئة واثناء لعقول خواء واناء لعقيدة هواء ووضعاً لأقدامهم على الجادة ودفعاً للفاية

فطم عن اللعن

ما نهى الاسلام عن شيء مثلما نهى عن الفحش في القول فهذا يلسم ناجع لشباب راغب في الاستقامة على صراط الله والسير على سنانه تدفع عن أرجاس اللعن الملوثة للسرائر والظواهر المزرية بالدين والدنيا .

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يكون المؤمن لعائنا (١) » وفي عالمنا هذا الموبوء ناس احترقوا صب اللعائن على الأخير والأشرار والقدامى والمحدثين نفسوا بها عن حقد مشبوب وغل مسعور واخفوا بها اعراض نفس عليلة ولربما عادت اللعائن الى صاحبها فقصمت ظهره وفضحت ستره وجعلته اثرا بعد عين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان اللعنة اذا وجهت الى من وجهت اليه فان أصابت عليه سبيلا أو وجدت فيه مسلكا والا قالت : يارب وجهت الى فلان فلم أجد فيه مسلكا ولم أجد عليه سبيلا فيقال لها : ارجعي من حيث جئت (٢) » وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان العبد اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ثم تهبط الى الأرض فتغلق ابوابها دونها ثم تأخذ يميننا وشمالا فان لم تجد مساعا رجعت الى الذي لعن فان كان أهلا والا رجعت الى قائلها (٣) » ان الأجواء تلوثت بلعائن الجماعات وسباب الجمعيات وشتائم الفرق ومطاعن الأمراء ان الذين أصموا الأذان بقولهم انهم جند الله وأتباع محمد وعشاق القرآن ودعاة الاسلام وها انذا القنكم من الاسلام درسا لاذعا.

- (١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب .
(٢) رواه أحمد واسناده جيد .
(٣) رواه أبو داود .

نهى عن لعن الطير

حرم الاسلام على الشباب البالغ والشبيب العجائز لعن الطير وأمر بارهاف الحس في الاستماع الى تسبيحه والتعلم من تنقله بسرعة بين أغصان الشجر وبحته عن رزقه في خبايا الأرض وغدوه خماصا ورواحه بطانا وتناسق مسيرته وتآلف صفه وانطلاقه في الجو الطلق بين النسائم العليقة بالحركة الدعوب .

عن عبد الله بن عباس أن ديكا صرخ قريبا من النبى صلى الله عليه وسلم فقال رجل : اللهم العنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كلا انه يدعو الى الصلاة (٤) » وعن عبد الله بن مسعود أن ديكا صرخ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسببه رجل فنهى عن سب الديك (٥) وفي رواية قال « لا تلغنه ولا تسببه فانه يدعو الى الصلاة (٦) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة (٧) » والنهى منصب كذلك على الطيور السابحة في الأجواء سواء اكانوا غربانا سودا كالليل البهيم أو عصافير بيضا كالنهار الأبلج فان الله لفت الأنظار الى مهامهم في الحياة وولائهم له وتعلقهم به وايوائهم اليه بقوله .

الرَّزَّاءُ اللَّهُ يَسِيحُ لَهُ مِنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ
صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾
النور — ٤١

- (٤) رواه البزار ورواه رواة الصحيح الا عباد بن منصور .
(٥) رواه البزار باسناد لا بأس به .
(٦) رواه أبو داود عن زيد بن خالد الجهني .
(٧) رواه الطبراني .

انس قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلغلت . جلا برغوث فلعنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تلعنها فانها نبهت نبيا من الانبياء للصلاة » (٢) وفي رواية « لا تسببه فانها ايظ نبيا من الانبياء لصلاة الصبح » (٣) وفي رواية : ذكرت البراغيث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « انها توقظ للصلاة » (٤) .

نداء

لا ينتصر الاسلام بكم الا اذا كان الواحد منكم قرآنا متحركا واسلاما حيا وايمانا مائلا وبيانيا شاخصا وجبلا ثابتا لا تحركه الأنواء وعطرا غواحا لا يشوبه نتن وحريرا ناعما لا تعتريه خشونة ورحمة غامرة لا تلد تطرفا وحكمة بالغة لا تنتج نفورا .

ضعوا المنهج الرباني نصب أعينكم واعملوا على ضوئه الهادي ولا تحيدوا عنه قيد انملة . واستمسكوا بأهدابه واستنبروا بشاعله .

أَدْعُ لَكَ سَبِيلَ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجِدْ لَهُم مَّا يَنْتَهِى إِلَيْهِمْ أَحْسَنُ النحل - ١٢٥

هذا هو الطريق وعلى دربه يتحقق الأمل ويتم الظفر .

- (٢) رواه أبو يعلى واللفظ له .
(٣) رواه البزار ورواه رواية الصحيح الا سويد بن ابراهيم .
(٤) رواه الطبراني في الأوسط ورواه ثقات الا سميذ ابن بشر .

أول

يَرَوْنَ إِلَى الظُّمِرِ فَوَقَّهُمْ صَفَنَاتٍ وَيَقْضِيْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا
الرَّحْمَنُ إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا بِصِيرٍ ﴿١٩﴾

الملك - ١٩

وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٢٠﴾

الاسراء - ٤٤

الا فلتتعلم الجماعات الدينية من الطيور حركتها البناءة ولياقتها العالية وذكرها المکرور وشكرها الصداح وسكونها المريح .

نهى عن سب البراغيث

ان التدبر في الكون الاخاذ بمجامع القلوب وانعام النظر في عوالمه اللافتة للأنظار والتفكر في جلائله ودقائقه أمر يرهف الاحاسيس المتبلدة ويفتق العقول المغلقة ويفتح الصدور الموصدة ويقوم الخطوات المعوجة ولا يستفيد بها الا من امتلك قلبا او القى السمع وهو شهيد .

وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ
بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

يوسف ١٠٥ - ١٠٦

مع ان الحشرات مؤرقة للمضاجع مسيلة للهدامع مصاصة للدماء مؤذية للأجساد الا ان الاسلام نهى عن لعنها عن على بن ابي طالب قال : نزلنا منزلا فاذا كنا البراغيث فسيبناها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوها فنعمت الدابة فانها ايظلتكم لذكر الله » (١) وعن

(١) رواه الطبراني في الأوسط .

إذا غاب المفهوم الحقيقي للعمل في
الاسلام من مجتمع من المجتمعات تعرضت
حياة الناس فيه لتأعب اقتصادية ومتأعب
اجتماعية تشقيهم وتغريهم بالانحراف .

ولقد غاب هذا المفهوم من مجتمعنا
وطال غيابه حتى صارت متأعبه فوق قدرة
احتمال البشر ولولا اصالة شعبنا وقدرته
الفائقة على التصدي لها والصمود أمامها
لتمزق كما تتمزق شعوب من حوله .

ذلك واقع وحقيقة يعترف بها الكتاب
والمسؤولون فيما يكتبون عن متأعبنا
الاقتصادية ومشاكلنا الاجتماعية ، وفيما
يقترحون من وسائل للتغلب عليها وتؤتى
آثارها . وحسبنا هنا فقرة وردت في صدر
خطاب تكليف الدكتور عاطف صدقي
بتشكيل الوزارة . يقول السيد رئيس
الجمهورية في هذا الخطاب الذي نشر في
الصحف يوم الاثنين ١٠ نوفمبر ١٩٨٦ :

« فقد خاض شعبنا العريق في
السنوات الأخيرة معركة ضخمة في ميدان
اعادة البناء والتعمير في عهد السلام
بنفس البسالة والوطنية الصادقة التي
خاض بها معركة الشرف والكرامة لتحرير
الأرض والارادة . واثبت هذا الشعب مرة
أخرى أنه على درجة عالية من الوعي
والمسؤولية عندما تصدى للمشاكل الصعبة
التي واجهته في ظروف قاسية واطهر ارادة
صلبة وعزيمة قوية وهو يشق طريقه
ويحارب على أكثر من جبهة في مجال البناء
الداخلي وسط صعوبات ناجمة عن تراكمات
الماضي والأوضاع الاقتصادية العالمية غير
المواتية .

مفهوم العمل في الاسلام

الدكتور عبد الواحد سمير القاني

ان الغابات الموحشة يجب ان تتحول الى حدائق آمنة .
والصحارى المتفجرة يجب ان يستزرع منها «
ما يوجد بالزرع وان يستخرج منها ما تخفى من معادن .
والمستنقعات المهلكة يجب ان تتحول الى حقول معطاءة .

وقد اقتضى الجمال والكمال في صنعة الخالق تقدست حكمته ان ترتبط حياة الانسان على الارض بعملية تعميرها ربطا شديدا . فجعل الله سبحانه وتعالى ناتج عملية التعمير اهم ضمانات استمرار الحياة ، فمنه طعامه وشرابه ومنه لباسه وماواه . وهو كما ترى حافظ على تعمير الارض لا يرقى اليه حافظ آخر . لاننا اذا لم نعمل على استنبات الارض واستخراج كنوزها تنتهى حتمنا حياتنا . ولقد مات جوعا كثير من الناس في عصور مضت ومات ويوموت في زماننا هذا الذى يزهو فيه الانسان بما حققته من تقدم في العلوم والمعارف اناس لم يستنبتوا الارض او استنبتوها بجهل او تشبثوا بها رغم فقرها وعجزها عن العطاء فلم يهاجروا في ارض الله الواسعة .

وتعمير الارض له اصول وقواعد وله علوم وفنون لم يكن الانسان ليعرفها لولا البعثات الالهية . فقد ارسل الله تقدست حكمته للناس رسلا وانبياء ليعلموهم كيف يحققون الحكمة من خلقهم سواء في ذلك الايمان بالله عز وجل وتعمير الارض . وبيان ذلك يجده القارىء في مقالنا عن نظرية المعرفة في الاسلام بعدد صفر سنة ١٤٠٧هـ من مجلة منبر الاسلام . ولنتأمل هذه الآيات الكريمة . يقول الله تعالى :

كَمَا أَرْسَلْنَا

فَكَرَّسُولًا مِّنْكَ يَتْلُوا عَلَيْكَ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾

البقرة - ١٥١

قَالَ يَتْلُوا

لَيْسَ فِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٥٣﴾

الاعراف ٦١ - ٦٢

» ومع كل هذا بقى تصميمنا ثابتا على المضي قدما في جهود التنمية الاجتماعية والاقتصادية الشاملة والسير بمعدلات اكبر في تطوير نظم الانتاج والتوزيع ورفع مستوى الخدمات لجميع فئات الشعب بهدف تغيير نوعية الحياة في مصر في الحاضر والمستقبل بما يعزز الأمل في نفوس الاجيال الجديدة من ابنائنا .

وفي اعتقادنا ان هذا القول الصادق ليس موجها للحكومة وحسب بل هو موجه ايضا الى المسلمين عامة والى الكتاب والمفكرين خاصة . يستغفر اخلاصهم ووفاءهم لوطنهم .

لكن هذا الاستنفار لن يؤتى الثمار المرجوة ما لم تصحبه حركة اعلام واسعة المدى عالية الصوت للتعريف بالمفهوم الحقيقي للعمل في الاسلام والدعوة الى الالتزام به والعمل على التمكين له .

ولكى نعرف المفهوم الحقيقي للعمل في الاسلام يجب ان نعرف اولاً لماذا خلق الله تبارك وتعالى الانسان ؟ والاجابة على هذا السؤال نجدها في قول الله عز وجل :

« وَاذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً »

البقرة : ٣٠

وفي قوله سبحانه وتعالى :

* وَإِلَّا تَتَذَكَّرُوا أَنَّكُمْ صَالِحُونَ قَالِ يَتَقَرَّبُونَ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

هود : ٦١

فالله تبارك وتعالى خلقنا لنعرفه ونعبده ونذكره كثيرا كما تعرفه وتعبده وتذكره كثيرا كل مخلوقاته . ولنعم الارض وننتفع بها اودع فيها من خيرات . فاذا كانت الارض وقت أن هبط عليها آدم وحواء عليهما السلام عبارة عن غابات موحشة وصحارى مقفرة ومستنقعات مهلكة ادركنا المهمة الصعبة التى اختير الانسان لها والمسئولية الثقيلة التى القيت على كاهله .

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم
بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾

النحل - ٩٧

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما اكل احد طعابا خيرا من ان ياكل من عمل
وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يديه) .
رواه البخارى .

والعمل الصالح الذى لا تعمر الارض بغيره
هو العمل الجيد الذى يجمع بين الوفرة والجودة .
وهذا المفهوم مستفاد من قول الله تبارك وتعالى

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِكُمْ
إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
البقرة - ١٩٥

اى احسنوا كل اعمالكم واتقنوها فلا تهملوا
انتقان شىء منها بل اتقنوا كل جزئية فيها . هكذا
يقول السيد رشيد رضا فى تفسير المنار .
ويقول أيضا فى تفسير « المحسنين » الواردة فى
قول الله سبحانه وتعالى علوا عظيما :

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ
تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ التَّوَسُّعِ
قَدْرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرُهُ مَتَّعَا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

البقرة - ٢٣٦

يقول السيد رشيد رضا : ومن تتبع الآيات
التي ذكر فيها الاحسان يرى ان منها ما يراد به
الاعمال المفروضة أولا بالذات ومنها ما يراد
به ما زاد عن الغرض من العمل الصالح ومنها
ما يراد به احسان العمل واتقانه مطلقا .

وفى هذا المعنى يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم :

وَمَا أَرْسَلْنَا
مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٧﴾

ابراهيم - ٥٧

فالرسل والانبياء هم اساتذة البشرية ومعلموها
يبعثهم الله تبارك وتعالى الى الناس ليعرفوهم
بالله خالقهم وخالق كل شىء . وليعلموهم كيف
يعمرون الارض . كان الرسول ياتى بكتاب فيه
تدر من التعليم والتثقيف يلائم تماما ما بلغه العقل
البشرى من نمو وتطور ويتناغم مع عصره .

واذا رجعنا الى القرآن الكريم والسنة
الشريفة سنجد فيهما الكثير من الاوامر والنواهي
التي تعطى خطة متكاملة للعمل الذى تعمر
به الارض وتزدهر حياة الانسان عليها . وقد
سمى الله سبحانه وتعالى هذا العمل فى
القرآن الكريم « العمل الصالح » .

والعمل الصالح واجب على كل مسلم وهو
غرض عين لا غرض كفاية . فالانسان الذى
تقوده كثرة ماله عن العمل يائس لأنه يعطل الحكمة
من خلقه . ولقد احصيت فى كتاب الله العظيم
اكثر من سبعين آية اقترن فيها العمل الصالح
بالايمان بالله عز وجل . ولم يتحدث القرآن
الكريم عن الايمان ومثوبته الا وكان العمل الصالح
شرطا لدخول المؤمن الجنة . من ذلك قول الله
سبحانه وتعالى :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

البقرة - ٢٥

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

البقرة - ٨٢

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سُدَّخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

النساء - ٥٧

Not-for-sale

٢ - العناية بالعقول :

إذا صلح جسم الإنسان وفسد عقله فإنه يعجز عن أداء رسالته ويكون أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان . بل إن فساد العقل ينقله إلى زمر المعوقين والمفسدين .
وصلاحية العقل لا تكون إلا بالعلم . وعلى قدر ما يحصله الإنسان من العلوم تكون قدرته على العمل . فبالعلم يمكن تحقيق الصلاحية لجسم الإنسان . وبه يمكن معرفة العمل الذي يعمر الأرض فنقبل عليه ونؤديه . والعمل الذي يخربها فلا نقر به . وبالعلم يستطيع الإنسان أن يشبع رغباته ويرضى طموحاته .

وأول هذه العلوم وأعظمها أثرا في حياة الإنسان العلم الذي يعرفنا بالله خالق هذا الكون ومبدع كل شيء فيه . والذي يعرفنا بأنفسنا وبرسالتنا في هذه الحياة الدنيا . إن هذه المعرفة هي السبيل الوحيد لضمان سلامة العقل وقدرته على رؤية الحقيقة والصواب فلا يضل ولا يشقى .
والعقل السليم هو القادر على كبح جماح الغرائز وتنظيم عملها . وفي ذلك السلامة كل السلامة . لأنه يمنع الجسم من الاضطرابات العضوية والأمراض النفسية فتتوفر له قدرة على العمل واتقانه .

ومع أن المجال لا يتسع لذكر أحكام الإسلام التي تعنى بصحة الأبدان وسلامة العقول إلا أننا نرى من الضروري الإشارة إلى واحدة منها لأنه في تقديرنا يؤدي دورا ممتازا في حماية الإنسان من كثير من الأمراض التي تعطل حركته وتعوق مسيرته . ذلك هو الأمر بالصبر على ما يفجأ الإنسان من نوائب . وقد ورد ذكره في عشرات من آيات الذكر الحكيم . منها قول الله سبحانه وتعالى :

يٰۤاَيُّهَا اَقِمِ الصَّلٰوةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَاصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ ۚ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْاُمُورِ ﴿١٧﴾

لقمان - ١٧

وَاطِيعُوا
اَللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَلَا تَنَزَعُوْا فَتَفْشَلُوْا وَتَذٰهَبَ رِجْوَكُمْ
وَاصْبِرُوْا ۚ اِنَّ اَللّٰهَ مَعَ الصّٰبِرِيْنَ ﴿٤٦﴾

الأنفال - ٤٦

وَالَّذِيْنَ صَبَرُوْا اٰتَيْنَا وَجْهَ رَبِّهِمْ وَاَقَامُوا
الصَّلٰوةَ وَاَنْفَقُوْا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ سِرًّا وَعَلٰنِيَةً وَبَدَرُوْا
بِاَحْسَنِ السِّنَةِ ۚ اُولٰٓئِكَ هُمُ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ جَنَّتُ عَدْنٍ
يَدْخُلُوْنَهَا مِنْ مِّنْ صٰلِحٍ مِّنْ اَبَائِهِمْ وَاَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُوْنَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٥﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
ۖ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٦﴾

الرعد - ٢٤ ٢٥ ٢٦

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
بَشِيْرًا مِّنَ الْاَنْفُسِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْاَمْوَالِ
وَالْاَنْفُسِ وَالْثَمَرٰتِ وَبَشِّرِ الصّٰبِرِيْنَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِيْنَ اِذَا
اَصَابَتْهُ مُصِيْبَةٌ قَالُوْا اِنَّا لِلّٰهِ وَاِنَّا اِلَيْهِ رٰجِعُوْنَ ﴿١٥٧﴾
البقرة - ١٥٥ - ١٥٦

إن هذا الصبر الذي يحظى بهذا القدر من التدوين في القرآن المجيد هو بغير شك أعظم وقاية للإنسان من كثير من أمراض النفس والجسم . ومن المؤسف حقا أن علماء النفس وعلماء الاجتماع المسلمين لم يلتفتوا إلى ما يجب عليهم من مراجعة لنظريات علوم النفس والاجتماع على ضوء ما جاء في القرآن والسنة من حقائق ثابتة وتنقية تلك النظريات من الأحكام القائمة على الظن والحدس .

٣ - التخصص :

في القرآن الكريم والسنة الشريفة ما يؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بكل الأعمال التي يتطلبها تعمير الأرض . من ذلك قول الله تبارك وتعالى :

لَا يُكَلِّفُ اَللّٰهُ نَفْسًا ۙ اِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اَكْسَبَتْ

البقرة - ٢٨٦

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وهكذا يكون الانسان دائما في حالة نفسية طيبة تجعله قادرا على العمل المنتج مستعدا للتضحية ببعض وقته وبعض جهده وبعض ماله من أجل وطنه ومواطنيه .

وليس من شك في أن جهود التعاون الاسلامي في العمل والاستسلام لفريضة الأثرة والحاحها يؤدي الى فساد في حياة الفرد والجماعة . لأنه يخلو ساحة العمل للفكر الأناني وصول فيها ويجول . وهو امر واقع في هذا الزمان . ولولا أن الفكر الأناني هو اليوم السيد الذي يحكم حركة الحياة ما كان ما نحن فيه من غناء وشقاء . لقد حول الفكر الأناني حياة الأفراد والشعوب الى صراع أفسد حياتها وأذلها .

٥ - السلام :

ان السلام من أهم ضرورات العمران . وهو من أقوى ضمانات جهود الانسان في تعمير الأرض . ولذلك جاء الاسلام بأحكام قادرة على تحقيقه في داخل النفس الانسانية وفي داخل الأسرة والمجتمع .

أما سلام النفس ضمانته تحقيقه الايمان بالله وبلائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . لأن الانسان المؤمن بالله عز وجل العارف بملكه ونظامه وأحكامه لا يستعلى مع النعمة ولا يستذل مع الحاجة . ولا يفقد أبدا توازنه في أي من الحالين . فهو دائما العبد الشاكر في الأولى وهو دائما العبد الراضي الصابر في الثانية . وغير المسلم تفتنه النعمة فيستعلى . وتذله الحاجة فتتمزق نفسه ويتشتت فكره ويتبدد سعيه . ان الانسان المسلم لا تزججه الحاجة ولا تؤثره المتاعب لأنه يصبر عليها ويذكر دائما قول الله الحق « **فان مع العسر يسرا** » . ان مع العسر يسرا » .

وعناية الاسلام بسلام الأسرة تتجلى في اهتمامه بتنظيم وضبط العلاقة بين أفرادها . فقد بين أولا الطريقة المثلى لاختيار الزوج ثم أبدع الأحكام التي ترتفع بالحياة الزوجية الى المستوى الذي يضمن تحقيق الغاية منها . يقول الله سبحانه وتعالى :

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
أَلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
الرَّوم - ٢١

« اعلموا فكل ميسر لما خلق له » . رواه البخاري .

وخلق الذكر والأنثى في الانسان وغيره من مخلوقات الله تعالى دليل التخصص . وقد أثبتت التجربة وتطور الحياة على الأرض أن التخصص وسيلة الانسان الأولى لاتقان العمل .

٤ - التعاون :

تعمير الأرض لا يمكن أن يتحقق بأعمال فردية مبعثرة هنا وهناك ولا بأعمال تنظمها وتحكمها غريزة الأثرة . وإنما تعمير الأرض بالتعاون على العمل الصالح بين الفرد والفرد . وبين الأفراد والجماعات وبين الجماعات والجماعات .

وقد بدأ الانسان حياته على الأرض فردا ثم أفرادا هائمين على وجوههم . ولم تبدأ عملية التعمير فعلا الا بعد أن تكاثر الانسان وصار يعيش في جماعات ذات حكومات قادرة على تحقيق وتنظيم التعاون بين أفرادها .

والاسلام يؤيد نوعا واحدا من التعاون بل يطلبه ويأمر به لأنه ضرورة من ضرورات العمل الصالح الا وهو التعاون الذي يحقق الخير والسعادة للناس . يقول الله عز وجل :

« **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** » .

المائدة - ٢

فهذه الآية الكريمة هي بحق دستور العمل في الاسلام لأنها تأمرنا بالتعاون على كل عمل من الأعمال التي تعمير بها الأرض . ولا نتعاون قط على أعمال عدوانية .

والتعاون يخضع كغيره من النظم الاسلامية للعلم فلا ينبغي أن نتركه للارتجال فيفسده بل يجب تنظيمه واخضاعه للقواعد العلمية التي تستخلص كل طاقات التجمعات البشرية .

والحكمة في غرض التعاون الاسلامي على الانسان ليست فيها ذكرنا وحسب بل وفي ترويض غريزة الأثرة وترشيدها فضلا عن استثارة غريزة الايثار وتقويتها .

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . رواه البخاري ومسلم .

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » . متفق عليه .

والعدل من ضمانات سلام المجتمع لا يقل خطرا عن ضمانات الأخوة بل انه يتقدم كل الضمانات في رعاية السلام وتدعيم بنيانه .

ومفهوم العدل في الاسلام ثابت كغيره من المفاهيم الاسلامية لا يتغير بتغير الأشخاص او بتغير الزمان او المكان . يقول الله عز وجل :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقَ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

المائدة - ٨

والعدل في المجتمع الاسلامي حق لغير المسلمين مثل ما هو حق للمسلمين تماما . وتاريخ الدولة الاسلامية زاهر بأخبار الولاة الذين كانوا يحكمون بالعدل بين الناس بغير تمييز بين مسلم وذمى . وحسبنا هنا هذا الخطاب الذى كتبه قاضى القضاة ابو يوسف لهارون الرشيد يقول له فيه :

قد ينبغي يا امير المؤمنين - ايدك الله - ان نتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا ثوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم الا بحق يجب عليهم . فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال :

« من ظلم معاهدا او كلفه ثوق طاقتهم فانا حججه » .

أَحِلَّ لَكُمُ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفْتُ إِنِ نَسِيتُمْ مِنْ لِبَاسٍ
لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ

البقرة - ١٨٧

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ونسبها . فعليك بذات الدين تربت يداك » . متفق عليه .

ان الفهم الصحيح لاحكام الاسرة في الاسلام والالتزام بها يحقق أسعد حياة يمكن ان تعيشها اسرة على ظهر الأرض . اذ ليس في الحياة الدنيا أبهى ولا اجمل من حياة زوجين يحرص كل منهما على ابثار الآخر بما يحب ويرضى . وعلى منعه من كل سوء وحفظه من كل مكروه . ثم هما يتعاونان على تربية اولادهما وتنشئتهم نشأة صالحة . نشأة تؤهلهم لخدمة وطنهم والنهوض به والذود عنه .

والمجتمع المسلم الذى يتكون من أسر على هذا المستوى الراقى في الوعى والفهم والالتزام يكون بلا ريب مجتمعا قويا قادرا على القيام بواجباته وتحقيق رسالته . ولعل أقوى ضمانات سلام المجتمع ان الله قدسيت حكمته قد ربط بين المسلمين عامة برباط الأخوة . وهو بغير شك رباط قوى متين ذلك ان الأخوة في الاسلام قد تقرر في القرآن والسنة على نحو يلفت النظر الى تعاظم دورها في حياة الجماعة . من ذلك قول الله سبحانه وتعالى :

« فَاخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ »
فان تابوا واقاموا الصلاة وءاتوا الزكاة

التوبة - ١١

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ »

الحجرات - ١٠

ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يأتى دورهم لمناجزة أعمالها . ولا يقتصر المقال على القيادات السياسية وحسب بل والقيادات التنفيذية والتشريعية والاعلامية وكل من يعمل في موقع مؤثر في حياة مواطنيه .

ان الانسان الذى يشغل موقع عمل قيادى لا يلتفت في كثير من الاحيان الى ان الله تبارك وتعالى قد اختصه بفرصة ذهبية لتنمية رصيده حسناته وتأمين مستقبله يوم لا ينفع مال ولا بنون . ان كل قرار عادل يصدره تكتب له به حسنات بعدد الذين ينتفعون به . وكل قرار ظالم ينمى رصيده سيئاته بعدد الذين روعهم ظلمه . فالسعيد من اغتنم الفرصة وعمل فاجاد وابعد . والشقى من ضيعها بطاعة أهوائه وفساد أحكامه .

وأما الغاية الثانية من غايات العمل الصالح التى نستلطف اليها الانتظار فهى ذلك التشريف العظيم الذى اختص به الله عز وجل الأمة الاسلامية باصطفائها لمثل ما اصطفى الانبياء . فقد حملها تقدست حكمته مسئولية الدعوة الى الاسلام والتعريف بأحكامه حتى يرث الله الأرض ومن عليها . يقول الله سبحانه وتعالى :

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا

البقرة - ١٤٣

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ مَنَّكُمْ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا
عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ الْحج ٧٨

وكان فيما يتكلم به عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه عند وفاته قوله «أوصى الخليفة من بعدى بذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفهم فوق طاقتهم» . وروى عن نافع انه قال : « كان آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « احفظوني في ذمتي » وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال: « ليس في أموال أهل الذمة الا العفو » .

نتخلص من هذا الى القول بأن على كل مسلم ان يتخصص في عمل عن طريق العلم والتدريب . وأن يعمل في مجال تخصصه جادا مجتهدا محسنا ومبتغيا وجه الله تبارك وتعالى . ثم بعد ذلك يكون ما يكون من نجاح أو فشل . من صعود الى أعلى درجات الرقى في الحياة أو أوسطها أو دون ذلك . وليس له آخر الأمر الا ان يرضى وأن يحمد الله تعالى وحسبه انه عمل وانه جد واجتهد وانه احسن عمله وأرضى ربه . وأن الفصيل في النهاية هو الميزان . ميزان العدل الالهى .

قال تعالى :

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ الاعراف ٨ - ٩

والجدير بالذكر في ختام هذا المقال ان المسلمين لا يلتفتون الى تصور في مهمهم لفايات العمل الصالح الذى سيدخلون به الجنة ان شاء الله تعالى . ونحن نقصد هنا غايتين جليلتين جديرتين بكل التفات واهتمام .

أما الاولى فهى المسئولية التى تلقى على كواهل الميسرين لقيادة الجماعات والشعوب حين

وبعد أبى بكر ولى أمر المسلمين خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو المعروف بشدته وقد بلغه أن الناس هابوه وتخوفوا شدة فخطب فيهم موضحاً لهم دواعى شدته في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد الخليفة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ثم قال :

« انى وليت اموركم ايها الناس . فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدى . فأما أهل السلامة والدين والقصد فانا ألين لهم من بعضهم لبعض ولست ادع احدا يظلم احدا أو يتعدى عليه حتى أضع خذه على الأرض وأضع قدمى على الخد الآخر حتى يذعن بالحق . وانى بعد شدتى تلك أضع خدعى على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف .. ولكم على ايها الناس خصال أذكركم لكم فخذوني بها . لكم على أن لا اجتنبى شيئا من خراجكم ولا مالفاء الله عليكم الا من وجهه . ولكم على اذا وقع فى يدى أن لا يخرج منى الا فى حقه . ولكم على أن أزيد عطايكم وأرزاقكم ان شاء الله تعالى . واسد ثغوركم . ولكم على أن لا القيك فى المهالك ولا أجبركم فى ثغوركم . واذا غبتم فى البعوث فانا أبو العيال . فاتقوا الله عباد الله واعينوني على انفسكم بكنها عنى واعينوني على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم . اقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم » .

تلك هى جملة واجبات من يوليه المسلمون أمورهم وأظهرها أن يقيم فيهم العدل ويبطش بالظالم . وأن يعينهم على تعمير أرضهم وتنمية أرزاقهم وترقية حياتهم ليكونوا دائما أهل قوة وعزة قادرين على حمل الأمانة وتبليغ الرسالة . وهذا غاية التعريف بمفهوم العمل الصالح فى الإسلام .

وفقنا الله تعالى ووفق ولاة أمورنا الى ما يعز المسلمين ويرفع شأنهم .

وجدير بالذكر أن هذه المسئولية تفرض على كل مسلم بعد أن يؤدى عمله باحسان ويجنى ثماره أن يتعامل مع هذه الثمار وهى المال بفكر اسلامى ، فلا يسرف فى الانفاق ولا تغريه وفترته بالترف . ويجب على كل مسلم أن يدخر مهما قل عائد عمله الصالح وأن ينمى مدخراته ولا يحبسها بل يوظفها فى خدمة اقتصاد بلده .

كما تفرض مسئولية الدعوة والتعريف بأحكام الإسلام على ولى الأمر فى أى دولة اسلامية أن ينظم مدخرات أفراد شعبه وينظم مجالات استثمارها لتكون مصدرا من مصادر القوة التى لا غنى عنها للنهوض بأعباء ومسئوليات الدعوة والتعريف بالدين الاسلامى .

« ايها الناس . فانى وليت عليكم ولست بخيركم . فان احسننت فاعينونى وان اسأت فقومونى . الصدق أمانة والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله . والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل . ولا تشيع الفاحشة قوم الا عمهم الله بالبلاء . اطيعونى ما اطعت الله ورسوله . فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم » .

بهذا العهد بدأ سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مسيرة حكمه بعد أن اجمع المسلمون على اختياره خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وهو فى حقيقة الأمر يوثق فى خطبته هذه وبالتزامه بما اعلنه فيها من مبادئ ما حفظه ووعاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .



إلى الله
بين

المنهج والغاية

الدكتور عبد الله ميرزوك البخار

الوصف الشرعي للتكليف بالدعوة :

اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية . وكان ذلك الاتفاق إجماعاً انقعد في عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين (١) ، ولكنهم اختلفوا في طبيعة هذا الوجوب على من يكلف به ، وهل هم الخاصة أم الكافة ، وبعبارة أدق هل هو فرض كفاية أم فرض عين ؟ ، وهنا نجد للعلماء رأيين :

ويرى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة : أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة كل حسب قدرته واستطاعته وعلمه ، ويقرر أننا إذا رجعنا إلى ما كان يفعله الصحابة ، والتابعون من بعدهم ، نجد كل من كان يعلم بالإسلام وحقائق الإيمان يعلم غيره من المشركين ومن يتصلون به بصلة القرابة أو الجوار أو اللقاء ، فالدعوة كانت عامة لاحتساسهم بمسئولية التعليم لمن لا يعلم ، ولأنهم يعلمون أن الإسلام هداية إلى الحق ، فيدعون إليه من يكون في ضلال من أمره ، مثل ما حدث من جعفر بن أبي طالب حين وقف يشرح للتجاشي ملك الحبشة حقيقة الإسلام وقت أن هاجر إليها (٢) .

بتوجيه من النبي — صلى الله عليه وسلم — كل مؤمن مدرك يعرف الحق ويستطيع أن يؤديه كما يتسع ببيانه ، وكان النبي — صلى الله عليه وسلم — يتولى الدعوة بنفسه الطاهرة العالية ، ويرسل أصحابه إلى الجماعات والقبائل ممن أوتوا القدرة لذلك ، ولذلك نرى : أن الدعوة إلى الإسلام فرض عين على كل قادر عليها ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، وهو فرض كفاية على الجماعة الإسلامية إذ يجب ألا يخلوا عصر من

وكذلك كان كل رجل مؤمن مع من ارتبط برابطة صداقة أو قرابة أو جوار أو معرفة يذكر ما هداه الله به ، موازناً بين الحق الذي اعتنقه والباطل الذي تركه ، ثم يقول فضيلته : وننتهي من هذا إلى أن الهدى المحمدي في العصر النبوي كان فيه الدعوات الانفرادية ، التي يتولاها

(١) الشيخ محمد أبو زهرة ، ص ٥٧

(٢) نفس المرجع ص ٥٨

ليس فيها ما يفيد أنها واجب عيني على كل واحد من آحاد المسلمين .
(ب) وقوله عز من قائل :

وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

آل عمران : ١٠٤

حيث دل هذا القول الكريم على أن الدعوة لا تجب على كل الناس ، وإنما تجب على بعضهم ممن تتوافر فيهم شروط الكفاية والقدرة عليها والتوفيق في أدائها ، يستفاد ذلك من قول الله تعالى «ولكن منكم» حيث أن «من» في قوله تعالى : « منكم » تبعية ، ومعنى ذلك : أن الدعوة — والأميرين — يجب أن يكونوا علماء ذوي قدرة على الدعوة ، وليس كل الناس كذلك (٥) .

يقول الإمام ابن كثير : عن الضحاك ، هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن فلا تكون واجبة على كل آحاد الناس (٦) وهكذا فإن هذا القول الكريم يدل على أن الدعوة إلى الله واجب على سبيل الكفاية .

الراى الراجح ومبرراته :

والراى الراجح فى نظرننا هو الذى يقرر أن الدعوة إلى الله واجب كفاى ذلك اننا مع تقديرنا لراى فضيلة الشيخ المرحوم أبو زهرة ، إلا أنه قد ورد عليه من الأدلة ما يجعله مرجوحا ، ومن ذلك ما يبدو فيه من تشابه ، بين واجب الدعوة إلى الله التى هى واجب كفاى ، وبين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ولعل عذره فى هذا أن قول الله تعالى :

« ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » .

قد جمع بين الأمرين بالواو فأعطى الدعوة حكمة من ناحية الوجوب على جميع آحاد الناس ،

الدعوة بحيث لو تقاصرت أو لم توات لهم الفرصة ، قام من عينهم الدولة أو تهيات لهم الأسباب ليقوموا بذلك الواجب المقدس (١) .

الدعوة إلى الله واجب كفاى :

وإذا كان فضيلة الأستاذ الشيخ المرحوم محمد أبو زهرة يرى أن الدعوة إلى الله واجب على الكافة فإن ما يفهم من قول الإمام السيوطى أنها واجب على سبيل الكفاية ، حيث يقرر أن جملة فروض الكفاية تلزم الطالبين ، وهداية الصالحين والإفناء ثم نقرر لا يكفى فى إقليم مفت واحد والضابط أن لا يبلغ ما بين مفتين مسافة قصر (٢) .

وواجب الكفاية أمر كل يتعلق به مصالح دينية ودنيوية لا ينتظم الأمر إلا بحصولها فطلب الشارع تحصيلها ، لا بتكليف واحد منها بعينه بخلاف العين ، وإذا قام به من فيه كفاية سقط الحرج عن الباقيين وأن قعدوا عنه أثموا جميعا (٣) . وللقائم به مزية على القائم بالعين لاسقاط الحرج عن المسلمين بخلافه ، ومن ثم ادعى إمام الحرمين ووالده والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايينى : أنه أفضل من فروض العين (٤) .

أدلة هذا الراى :

ويقوم هذا الراى على أدلة قوية تؤكد معناه وتبين صحته ، ومن هذه الأدلة :
(١) قول الله تبارك وتعالى :

* وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً

قُلْ لَا تَنفِرْ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣٦﴾

التوبة : ١٣٦

وجه الدلالة فى هذا القول الكريم : أن الله قد جعل النذارة واجبا على أهل الكفاية ممن توافر فيهم شروط الدعوة من المسلمين الذين تفرغوا لأسباب الدعوة واحاطوا بعلومها والآية

(١) المرجع نفسه ص ٥٦

(٢) الأشباه والنظائر — للسيوطى — ص ٤١٤

(٣) المرجع نفسه ص ١٠

(٤) المرجع نفسه .

(٥) تفسیر القرطبى ج ٤ ص ١٦٥

(٦) مختصر تفسیر ابن كثير — تحقيق الأستاذ الصابونى

ج ١ ص ٢٠٦

فيمثل بمن يزعم انه داعية الى حد الاكراه في الدين ، وحمل الناس على الدخول فيه بالقوة ، دون احترام لآداب الدعوة ومقوماتها وفي كل ذلك من الضرر بالدعوة ما يفوق النفع ، والواقع الحاضر في كثير من المجتمعات الاسلامية يؤكد هذا ، ومن ثم فاننا نرجح القول بأن الدعوة الى الله واجب كفائي حتى ننقي ميدانها من الدخلاء والادعياء ، وحتى تتلافى كثيرا من السلبات التي تنسب الى الدعوة الاسلامية ، والدعوة منها براء .

ثم بعد ذلك يكون هناك واجب على الاحاد والجماعات ، يتمثل في وجوب مساعدة الطائفة التي تتفرغ للدعوة وتخصص لها ، او تكون اقدر على نشرها والقيام بحقتها والدولة هي الجامعة لهذا الوعي الاسلامي في مجال الدعوة الى الله وعليها ان تخصص جماعات لها كما تخصص جماعات للقضاء والهندسة ، والطب والجيش فكل هذه فروع كفاية ، والجامعة الاسلامية ممثلة في دولها عليها ان تخصص لكل فرض كفائي من يقوم به ، ويستقط به الحرج عن الباقيين في الدعوة التي لا يمكن ان يقوم بها الا الخاصة ، القادرون على مخاطبة الكافة في اقاليمها وشعوبها بلغاتهم (١) .

اختيار الداعية الصالح :

ولما كان حكم الدعوة الى الله واجبا على سبيل الكفاية فانه لا بد ان يتم اختيار الداعية على نحو يجعله صالحا للقيام بمهمة الدعوة الى الله على خير الوجوه واحسنها ، وذلك تحقيقا لمعنى هذا الواجب اذ هو مضاف الى الكفاية وهي تعني القدرة والاستطاعة على القيام بشئونها والاضطلاع برسالتها بين جماعة المسلمين ويكون من المهم استجلاء الشروط الموضوعية والشخصية التي تكفل وجود داعية ناجح ، قادر على نشر الاسلام والدعوة اليه بالقول والعمل .

ومن استقراء أقوال الفقهاء والباحثين يمكن اجمال تلك الشروط فيما يلي :

اولا : يجب ان يكون الداعية الينا مألوفاً رفيقاً في المعاملة ، لينا من غير ضعف ، متواضعا في غير ضعة ، حليماً رزيناً ، يتجه الى معالي الامور ولا ينزل الى سفاسفها ، يدل على ذلك قول الله تبارك وتعالى موجهاً نظر نبيه - صلى الله عليه وسلم - الى هذا الامر الهام :

(١) فضيلة الشيخ أبو زهرة - المرجع نفسه ص ٦٤

مع ان هناك فرقا بينهما في متعلق الوجوب ، ذلك ان الدعوة الى الله تحتاج الى اهلية خاصة ، وكفاءة معينة وعلم يقدر به الداعية على التأثير والاقناع ، لقول الله تعالى :

« قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » .

والبصيرة ، والقدرة على التأثير والعلم كل هذه من الشروط التي تتحدد بمقتضاها كفاءة الداعية ولهذا كانت واجبة على سبيل الكفاية ، وهي بهذا النظر تختلف عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الاستطاعة فيه لا تحتاج الى اكثر من الاحاطة بحل امر ما او حرمة ، وهذه الدرجة من العلم وان كانت كافية لتحقيق الاستطاعة فيه فهي محدودة في العلم بالحل او الحرمة في الامور الظاهرة التي لا تحتاج الى بحث وتخصص وهذا القدر من العلم لا يكفي لتأهيل داعية يحيط بجميع مقاصد الشريعة واحكامها ، ويدفع عنها شبهات الضالين ، وتقولات الطاعنين .

والقول بأن الدعوة واجبة على كل آحاد الناس من شأنه انه يدفع بالكثيرين من غير المؤهلين للدعوة الى اقتحام مجالها دون ان يكونوا على علم كاف او احاطة شاملة بمبادئ الشريعة واحكامها ، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى ، حيث ان بعضهم قد يفتي بحل امر وهو محرم ، كما انه قد يدعو الى تحريم امر وهو محلل وفي كلتا الحالتين ، فان الاجترار على ميدان الدعوة والتزاحم في مجالها من غير القادرين عليها ، المؤهلين لها سيقترتب عليه ارتكاب امر اشد حرمة من ترك الدعوة عند عدم القدرة ، وهو الكذب على الله واضلال الناس بغير علم وهو عمل ظالم يحرمه الله تعالى بقوله :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ

عِلْمٍ

الانعام : ١٤٤

ومن المؤكد ان اقتحام ميدان الدعوة دون علم وخبرة من غير القادرين عليها يضر الدعوة اكثر مما ينفعها لأن فاقد الشيء لا يعطيه وسيكون ذريعة للضرر والفساد ، واتهام الناس بالتحلل من احكامه دون سند شرعي وقد يصل الى حد اباحة الدماء والاموال والاعراض التي حرمها الله تبارك وتعالى وسيؤدى الى الخلط بين منهاج الدعوة وغايتها وهي من اختصاص الله تعالى

الحسنة ، وقد أرشد الحق تعالى إلى أهمية الاقتداء بنبيه — صلى الله عليه وسلم — الذي كان عمله مصدقا لقوله ، قال تعالى :

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ

الأحزاب : ٢١

رابعاً : يجب أن يتوافر فيه شرط الاخلاص للدعوة ، بأن تكون دعوته خالصة لوجه الله تعالى وليست ابتغاء مغنم أو خوف مفسرم ، فالداعية يجب أن يدعو رجاء ما عند الله ، لأنه يقوم مقام النبئين في الدعوة إلى ربهم ، وإذا كانت الدعوة خالصة من القلب فانها ستصل إلى القلب ، أما إذا انتفى الاخلاص فانه لن ينجح في مهمته .

وليس ذلك فقط ، بل ان الداعية يجب عليه أن يرتفع بنفسه فوق مواطن الشبهات ، فان اثاره الشبهات حوله تضعف قوه قوله وتوهن دعوته ، وإذا وهنت الدعوة وهنت الاجابة ، ولم يجد لدعوته مجيباً (٢) ، ويجب من قبل ومن بعد أن يكون مدرباً على البيان ومعرفة وجوه القول ، وأن يعرف كيف يخاطب الناس ويدخل إلى قلوبهم ، ويأتيهم من قبل ما يألون ، وقد أثر عن الامام على رضي الله عنه أنه قال : ان للقلوب شهوات ، واقتبالها ، فان القلب اذا اكره عمى (٣) .

وقد استشف بعض الباحثين جل تلك الشروط من قول الله تعالى مَبِينًا مَّكَانَهُ رَسُولُهُ — صلى الله عليه وسلم — ومنزلته في الدعوة إلى الله :

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ

مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنَتُمْ عَلَيْهِمُ بِالْمُؤْمِنِينَ

رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝

التوبة : ١٢٨

وقال ان الرفافة والرحمة والحرص على مصالح الناس ودعوتهم إلى الاسلام كل ذلك من مكونات الداعية الصالح (٤) ، والله من وراء القصد وهو الموفق والمعين .

(٢) الشيخ ابو زهرة — المرجع نفسه — ص ١٢٢

(٣) المرجع نفسه .

(٤) الدكتور ابو جريشة — دعوة الله بين التكوين والتكوين — ص ١٠٥ وما بعدها — مكتبة وهبة .

فَمَا رَحِمَهُ مِن

اللَّهِ لَبَنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فُظًّا غَلِظَ الْقَلْبُ لَا تَفْضُوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ

فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ

آل عمران : ١٥٩

كما يدل على ذلك ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي — صلى الله عليه وسلم — (ان الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة (١)) حيث اشار إلى ان جوهر مهمة الداعية يقوم على التيسير لا التعسير وعلى التبشير لا التنفير .

ثانياً : يجب أن يكون الداعية عالماً بالكتاب والسنة وعلومهما دارساً معهما علم النفس وطباع من يدعوهم ، ليأتيهم من قريب ، فاذا كانت لهم عادات قبيحة فانه يجب عليه أن يعمل على تغييرها فيهم ، باللين والحكمة ومن غير تنفير ومباغطة قبل تأليفهم نحو الحق وجذبهم اليه .

ثالثاً : ان يكون قدوة بفعله لمن يدعوهم ، فلا يقول قولاً ، ويأتي فعله مكذباً له ، فانه ان فعل ذلك يكون اهلاً لعدم اتباعه ، واولى به ان يدعو نفسه قبل ان يدعو غيره ، قال تعالى :

۞ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ ثُلُثُونَ ۚ

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝

البقرة : ٤٤

ويقول عز من قائل :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا

تَفْعَلُونَ ۚ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا

تَفْعَلُونَ ۝

الصف : ٢ — ٣

ولا شك ان الدعوة بالعمل تأكيد للدعوة بالقول ، وهي التي توجد القدوة الطيبة والاسوة

(١) الحديث ، رواه البخارى — رياض الصالحين — للنووى — ص ٨٢ — دار الحديث ببيروت

مكانة الإعلام في

الدعوة

الدكتور محي الدين عبدالحليم

إذا كانت الحياة الإعلامية الحافلة التي عاشها رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه تؤكد المنزلة السامية والمكانة المميّزة التي يتبوّها الإعلام في الدين الإسلامي تلبية لنداء ربه الذي حمله أمانة الدعوة والإعلام بهذا الدين . وقد تفانى في أداء هذه المهمة وحقق بملكاته الفطرية وعبقريته الإعلامية مدعوماً بالقوى الروحية التي اختصه الله بها منجزات أذهلت خبراء الإعلام وأساتذة الاتصال مما دفع دائرة المعارف البريطانية لتعترف له بهذه المقدرة الفائقة وهذا الإعجاز الضخم لتحقيق أوسع انتشار وأبعد الآثار لرسالته نتيجة هذا الجهد الهائل الذي بذله في هذا الصدد .

الا أن مكانة الإعلام في الإسلام لم تتضح فقط من خلال هذا الدور الإعلامي المميز لرسول الإسلام ، ولكنها تتأكد إذا أدركنا أن المسئولية الإعلامية في الإسلام لم تكن مقصورة على صاحب الرسالة وحده أوحثى على الدعاة المتخصصين والمؤهلين لهذا الغرض والمتفرغين لشئون الدعوة الإسلامية ، ولكنها تمتد لتشمل المسلمين جميعاً . ذلك أن الله سبحانه وتعالى قدكلف بها كل مسلم عاقل انطلاقاً من قوله عز وجل « قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » ، وقوله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . ولن يتأتى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا حينما يأخذ كل مسلم على عاتقه أداء المهمة الإعلامية التي كلفه بها ربه والتي تتمثل في الدعوة إلى الله ، والتي فضل الذين يتصدون لها ، ويميزهم وقربهم إليه عن سواهم ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي فِي يَدِ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُوْحَظٌ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾

فصلت ٣٣ - ٣٥

المنكر يعنى حمل رسالة الحق وإمانة الدعوة الى الله ، وهى مسئولية كل مسلم .

الا ان بعض المسلمين يركزون جل اهتمامهم في اداء فرائض الاسلام الرئيسية فقط التى هى اركان الاسلام وهى الصلاة والصوم والزكاة والحج متناسين الفريضة الاعلامية التى هى جزء لا يتجزأ من عقيدتهم فلا يعيرونها من الاهتمام ما يليق بقدرها وجلالها ومكانتها السامية في الدين الاسلامى ، علما بان ترك هذه الفريضة قد يجلب عليهم وعلى مجتمعاتهم الويل وسوء العاقبة ، واذا استعرضنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول سنجد ان الاسلام يولى هذه الفريضة الاعلامية اهتماما كبيرا لو ادرك المسلمون ابعادها ما تخلوا عن القيام بها أو تكاسلوا عن اداؤها ابدا ، ولذلك يصيح لزاما على كل من يتبع رسول الله ان يحمل على عاتقه مهمة الاعلام عن دين الله تحقيقا لقوله تعالى :

« قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » .

ولم يستثن الحق نبارك وتعالى احدا من تحمل مسئولية الدعوة الى الله والاعلام بدينه ، بل انه عمم هذا الغرض ليشمل الرجال والنساء على السواء ، وفي ذلك يقول عز من قائل :

وَالْمُؤْمِنُونَ

وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

عَزِيزٌ حَكِيمٌ

التوبة — ٧١

ذلك ان اعداد الدعاة المتخصصين وتأهيلهم التأهيل العلمى والعملى لهذا الغرض لا يرفع مسئولية غيرهم من المسلمين ويعفيهم من القيام بهذا الامر لأن الدعاة المتخصصين مهمتهم اكبر ودورهم اشمل وادأؤهم أعمق .

وهنا لا يصح ان يتذرع احد من المسلمين بجهله وعدم تعمقه في أمور الدين ، وبالتالي فانه يخشى ان أخذ على عاتقه اداء فريضة الدعوة والاعلام بدين الاسلام ان يضلل بدلا من ان يهدى ، ويفتى فيها لا يعلم ، وهذا الكلام مردود عليه ،

والمقصود بالدعوة الى الله الدعوة الى دينه وابلاغ رسالته الى الناس كل في نطاق الدائرة التى يتحرك فيها عملا واقامة ونشاطا اجتماعيا ، او فكريا .. الخ فالاسلام اذن هو موضوع الدعوة وحقيقتها .

فالمسئولية الاعلامية في الاسلام ما هى الا عبادة كلف الله بها جميع المسلمين ، وهذه المسئولية لا تقل أهمية عن سائر العبادات الاسلامية الأخرى كالصوم والزكاة والحج على سبيل المثال ، بل اننا لن نجد في القرآن الكريم من الحث على الصيام الذى هو ركن رئيسي من اركان الاسلام مثلما نجد من الحث على الدعوة الى الله، والتذكير والعظة والانذار بسوء العاقبة لمن يقعد عن القيام بهذا الواجب الذى من اجله بعث الله الرسل « مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » بل ان المهمة الاعلامية هى التى ميز الله بها أمة الاسلام على سائر الأمم الأخرى ، لأنها أمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحملة مشاعل الدعوة الى كل الآفاق وكل البقاع .

أى أن الأمة الاسلامية هى التى خصها الله بهذه المهمة السامية وهذا الدور الخالد في هذه الدنيا ، وجعلها بذلك تفوق جميع الأمم الأخرى، وأصبح لزاما على المسلمين بعد ذلك ألا يفرطوا في اداء دعوة الحق ، والا يتقاعسوا عن تحمل هذه المسئولية الاعلامية ، حتى لا يفقدوا مكانتهم عند خالقهم ، بل وجب عليهم الاهتمام بالعمل الاعلامى وتعميمه ، وتربية أولادهم وفق هذا المنهج ، فاذا نجحت هذه الأمة في تحقيق ذلك ، وأصبح كل مسلم يشعر بأنه ملزم بتقويم كل خطأ يقابله ، وتصحيح أى اعوجاج في بيته أو عمله أو دائرة نشاطه وتحركه ، فان في ذلك صلاحا للمسلمين كافة وانتصارا لأمتهم على سائر الأمم وانتصافا لكلمة الحق التى يحملونها ، والأمانة المقدسة التى يأخذونها على عواتقهم .

تقويم المعوج والتصدى للمنكر :

وقد أكد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أهمية تقويم المعوج ، والتصدى لآى منكر يراه المسلم في حديثه النبوى الشريف الذى قال فيه « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان » . والامر بالمعروف والنهي عن

في العام السادس الهجري ، ومن خلال لقاءاته الشخصية مع أفراد القبائل التي تغد إلى مكة في مختلف المواسم ، وأشهرها لقاءه مع طائفة من أهل الخزرج في يثرب حيث تمت على أثره البيعة الأولى والتي كانت مقدمة لهجرته إلى المدينة فيها بعد .

من وسائل الاعلام في الاسلام :

ومن الوسائل الفعالة التي تفردت بها دعوة الاسلام أيضا ولا تزال تؤدي دورها الفعال في حقل الاعلام عن الاسلام خطبة الجمعة التي لم تستطع وسائل الاتصال الجماهيرية التي انت بها المدنية الحديثة أن تقضى عليها أو تنال من قوتها المؤثرة في الاعلام والإقناع ، وتتميز الرسالة الإسلامية التي تحملها خطبة الجمعة بقدرتها على أحداث تأثير خاص في الرأي العام المتلقى لهذه الخطبة بحكم ما ترتبط به الخطبة الدينية في أذهان الناس من معلوم خاص ، فهي تنهل من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الخلفاء والصحاب والسلف الصالح وأئمة المسلمين وقادتهم الضاربين في مجال الفكر الديني ، ولا مجال هنا للاعتراض على ما يأتي به الخطيب من آيات أو أحاديث للرسول أو آراء لهؤلاء الفقهاء والأئمة الذين يتمتعون بالتقدير والاحترام الكبيرين لدى الرأي العام المسلم .

والاسلام يضع الخطابة في مكانة سامية ويقدرها حق قدرها ، بل ويكسبها شيئا من القدسية ، ويحيطها بهالة من النور فلا تصح صلاة الجمعة إلا بها . وترجع أهمية خطبة الجمعة إلى ارتباطها بفريضة صلاة الجمعة ذاتها ، بل إن خطبة الجمعة هي التي تميز صلاة الجمعة عن بقية الصلوات الخمس اليومية على مدار الأسبوع ، وقد استعان رسول الاسلام بخطبة الجمعة واعتد عليها بشكل رئيسي لتحقيق رسالته ، وظل صلوات الله وسلامه عليه يمارس عمله الاعلامي من خلال خطبة الجمعة ، وقد نهج الخلفاء الراشدون والحكام المسلمون الصالحون هذا النهج من بعده ، وظلت هذه الوسيلة إلى يومنا هذا تلعب دورها الاعلامي المؤثر إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها تؤدي دورها بصورة منتظمة ودورية لتحقيق رسالة الحق جل وعلا .

ومن الوسائل التي تفردت بها دعوة الاسلام أيضا دروس الوعظ والارشاد ، والدرس يعد أحد الوسائل الهامة التي يعتمد عليها الوعاظ

ذلك أن أي مسلم مهما بلغت قلة معرفته بالدين ، فإنه قادر على أن يدرك الخير خيرا فيدعو إلى اتباعه ، ويدرك الشر شرا فيدعو إلى اجتنابه ، وهل الاسلام إلا دعوة إلى الخير وتجنب الباطل ، إلا يعلم أي مسلم أن القتل جريمة ، وأن السرقة حرام ، وأن الرشوة وشرب الخمر ولعب القمار وظلم الناس من الأمور التي يشجبها الاسلام . أنه يعلم بفطرته .. من هذا وغيره الكثير ، وغير مطلوب منه أن يدلي برأيه في الأمور الفقهية والشرعية المتعمقة والتي لا يستطيع أن يفتي فيها ، فهذه هي مهمة العلماء والفقهاء .

ولنا أن نتصور لو أخذ كل مسلم على عاتقه أداء هذه الفريضة الاعلامية ، ولو تخلى كل مسلم عن التراخي ، وخلع عن نفسه رداء اللامبالاة ، وقوم كل خطأ يواجهه ، لما بقي في المجتمع الإسلامي سارق أو قاتل أو ظالم أو مرتش ، ولا عثلت المجتمعات الإسلامية أعلى الدرجات وأخذت مكانتها اللائقة بها بين أمم العالم أجمع .

وإذا كانت وسائل الاعلام قد حققت تقدما كبيرا في العصر الحديث بفضل الاختراعات والمعطيات العلمية التي أتت بها المدنية الحديثة فإن الاسلام له من الوسائل المتخصصة ما يفوق هذه الوسائل في قوة تأثيرها وعمق مردودها ، وتمكين كل مسلم من العمل من خلالها ، ومن أبرز هذه الوسائل الاتصال الشخصي الذي هو وسيلة المسلمين جميعا ، وأقدر الوسائل على تحقيق أهداف رسالة الاسلام ، وهل يتوافر في متناول يد المسلم العادي وسيلة يستطيع بها ممارسة دوره في الدعوة إلى الله أبسر أو أبسط من وسيلة الاتصال الشخصي .

ونظرا لأن الاعلام والدعوة الإسلامية يعمل في مجال العقيدة بالدرجة الأولى فإن هذا المجال يتطلب المواجهة المباشرة بين المرسل والمستقبل مما يتيح الفرصة لتبادل الأفكار ، ويعطي للتلقى أوسع الفرص لكي يستوضح ويسأل ، أي أن الاعلام عن الاسلام يعتمد أساسا على هذه الوسيلة المباشرة والمتوافرة لدى المسلمين جميعا ، وقد مارس الرسول صلى الله عليه وسلم مسئولية الاعلامية معتمدا على الاتصال الشخصي بصفة أساسية وذلك من خلال الاتصالات السرية التي كان يجريها مع خلصائه وأصدقائه وأفراد أسرته في مراحل الدعوة الأولى ، ولم يكن لديه سوى الاتصال الشخصي يمارسه لتحقيق أهدافه ، ومن خلال الرسل الذين بعث بهم إلى الملوك والباطرة في الممالك المجاورة من صلح الحديبية

التجليل هي عبارة عن شعور تلقائي وطبيعي لا يمكن تحاشيه ، سواء اكان ذلك في عهد الرسول أو من بعده ، لقد كان ذلك أكثر من مجرد اعجاب ، ويكفي أن نذكر أن علاقة الحب والاعجاب التي غرسها الرسول في قلوب أصحابه قد انبثت أثرها ومداها عبر القرون ، ويتم اثارتها وغرسها في قلب كل جيل !

وقد نهج أصحابه المخلصون نهجه فكانوا قدوة حسنة ، نجم عنها توسيع نطاق المعتنقين للإسلام ايمانا منهم بصدق نوايا هؤلاء الأصحاب المخلصين ونقاء سريرتهم ، ورجاحة عقولهم ، وقد نجح الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته في ممارسة هذا الأسلوب الاعلامي في التأثير على الجماهير فقام الإسلام في حياة الرسول على رقة أبي بكر ، وحزم عمر ، وبذل عثمان ، وعلى فدائية علي بن أبي طالب . فقد كان كل واحد من هؤلاء الأربعة أمة في مجال القدوة الحسنة التي اقتدى بها الصحابة أولا ، كما اقتدى بها المؤمنون الأوائل بعد ذلك في حياة الرسول وإلى يومنا هذا .

وعلى دعاة الإسلام أن يدركوا هذه الحقيقة ، فإلى جانب الموصفات اللازمة لتأهيلهم وتكوينهم العلمي والفكري والنفسي ، فإنه لابد أن يتصفوا بالموصفات اللازمة التي تجعلهم قدوة حسنة لجماهيرهم ، لأنه من غير المعقول عدم انسجام القول مع العمل « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » .

وهذا يؤكد أن القدوة الحسنة تعتبر واحدة من أهم الوسائل الاعلامية التي تقوم على غريزة التقليد والمحاكاة في الانسان ، تلك الغريزة التي تلعب دورا هاما وتغني عن بذل جهود اعلامية كبيرة بهدف غرس فكرة أو الاقتناع برأى أو تعديل سلوك معين لدى الجماهير .

وقد كان الداعي الاول للإسلام محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه مضرب الأمثال في هذا الصدد ، وكان به من الصفات النبيلة ما تفيض به كتب السيرة ، واستحق بذلك أن يكون قدوة حسنة للجميع .. « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

والخطباء ليلعب دورا كبيرا في مجال الاعلام الاسلامي ، والدرس ميسور في كل وقت ، وقد جرى عرف الوعاظ والخطباء ، غالبا ، على أن يكون موضوع الدرس آية من كتاب الله عز وجل أو حديثا لرسوله صلى الله عليه وسلم . وهذا يتطلب دقة وطول تأمل والوقوف عند كل كلمة وحرف من الآية أو الحديث النبوي ، وجهور الدرس الديني يكون عادة أقل من جهور الخطبة ، وهذا يتيح الفرصة للوعاظ للتأثير من مستمعيهم ، وانشاء صلات روحية تعارفية وعملية بينه وبينهم .

كما تميزت دعوة الإسلام أيضا بالأذان للاعلان عن أوقات الصلاة ، والأذان يعد شكلا من اشكال الاتصال الجماهيري ، يتسع نطاقه باستخدام مكبرات الصوت ، ومن أعلى المآذن ، ثم من خلال وسائل الاعلام الحديثة كالاذاعة المستقبلة له ، ويعتد الأذان على عنصر الصوت والتلفزيون ، مما يزيد بالتالي من معدل الجماهير لتثبيت معان معينة في أذهان الجماهير ، حيث تتكرر كل عبارة مرتين في كل صلاة ، ثم يتكرر الأذان كله مرتين في كل صلاة ، مرة للاعلان عن الصلاة ، ومرة للإقامة ويتم هذا خمس مرات كل يوم ، وفي هذا تأكيد لما يحمله الأذان من مضامين معينة في عقول وقلوب الجماهير المسلمة .. ولم يعد الأذان يقتصر دوره على الاعلام بوقت الصلاة فحسب ، بل أصبح يساهم في ترتيب حياة الناس العامة ، وينظم أعمالهم وأنشطتهم ، فالنهوض من النوم أصبح مرتبط بأذان الفجر ، كما أن وجبة الغذاء تلى أذان الظهر ، واستئناف النشاط المسائي يتلو أذان العصر ، والركون للنوم يتم بعد العشاء .. وهكذا .. فكان الأذان يشكل جزءا أساسيا من الحياة اليومية لجماهير المسلمين .

القدوة من أهم وسائل الاعلام :

ثم تأتي القدوة بعد كواحدة من أهم الوسائل الاعلامية في الإسلام . وحين تزود دعاة الإسلام بهذه الصفة فانهم يحققون الكثير ، ويختصرون الطريق ، ويوفرون على أنفسهم جهودا كبيرة يمكن أن تضيق اذا غتد الداعي المسلم هذه الصفة ، لأن الداعية المسلم في نظر الجماهير يمثل الدين ذاته ، ويؤكد المستشرق الانجليزى هاملتون جيب أنه ليس من قبيل المبالغة أن قوة تأثير شخصية الرسول صلوات الله وسلامه عليه على مواقف المسلمين والتي تلقى كل

أهم معارك الدفاع عن الاسلام في القرن الماضي

«٣»

هجوم الصحافة العلمانية على العربية
الفصحى ودفاع الصحافة الإسلامية
عنها

الدكتور سامي عبد العزيز الكومي

كانت المعركة بين الصحف التي
حاولت القضاء على اللغة العربية الفصحى
وبين الصحف التي دافعت عنها واستمسكت
بوجودها وتطويرها من أهم المعارك التي
دارت بين من حاولوا تغريب المجتمع
المصري وبين من تمسكوا بالابقاء على
قسماته العربية الإسلامية .

ونستطيع أن نميز في معركة اللغة
العربية هذه بين اتجاهين متصارعين :
اتجاه الصحف العلمانية التغريبية وتمثلت
في صحف المقتطف والمقطم ومجلة الأزهر (١)
في سنتها الأخيرة عندما تولى وليم ويلكوكس
مهندس خزانة الري الانجليزي رئاسة
تحريرها .

واتجاه الصحف الإسلامية وتمثل
في صحف : التنكيث والتبكيث ، والأستاذ:
لعبد الله النديم ، ومجلة الآداب لعلي يوسف
ومحمد مسعود ، وجريدة المؤيد لعلي يوسف
ومجلة المنار لمحمد رشيد رضا .

فالاتجاه الأول — العلماني التغريبى — الذى
تميز بموالاته للاحتلال الانجليزى ، وأخذ الحضارة
الأوربية بشقيها المادى والفكرى بدون نقد
أو تمحيص ، تميز أيضا بالعداء للغة العربية
الفصحى ومحاولة القضاء عليها .

ونعرض أولا لمحاولات الصحافة العلمانية
التغريبية القضاء على اللغة العربية الفصحى ،
ثم نعرض — ثانيا — لموقف الصحافة الإسلامية
في الاستمساك باللغة العربية الفصحى وتطويرها
وتغذيتها بدماء جديدة لتستوعب حضارة العصر
وثقافته .

وعبرت صحافة الاتجاه الاول عن اتجاه كرومر
والاحتلال الانجليزى في مصر ، حيث أرادوا أن

(١) يجب أن نشير هنا الى أن مجلة (الأزهر) هذه
لا تمت بصلة الى الأزهر الجليل والجامعة ولكنه مجرد اسم
اختره لها صاحبها وليم ويلكوكس كما سيأتى شرحه فيما بعد

بذلك المجرى الطبيعي القاضى على اللغات أن تتغير بتغير الأزمان (١) .

ثم نشرت (المقتطف) مقالا لكاتب لم يصرح بأسمه وسمى نفسه « الممكن » ربما خوفا من سخط الراى العام الذى لم يكن قد واجه مثل هذه الدعوى من قبل ، وقدم عددا من الحجج يظهر فيها أنها اثر من ثقافته الأوروبية وأهمها :

١ - أن اختلاف لغة العامة لا يمنع من استخدام العامية ، فقد كان لقبائل العرب لغات مختلفة استطاع علماء القرون الأولى جمعها .

٢ - إمكان نقل المصنفات العربية الى لغة العامة إذا كان فيها فائدة ، وأردف أن هذه المؤلفات ليس فيها فائدة يعتمد عليها في الصناعة والزراعة والتجارة ولا في العلوم الحديثة ، وما ألف فيها في الرياضيات والتاريخ أصبح لا قيمة له بعد ظهور مؤلفات الأفرنج .

٣ - تبقى كتب الدين والعبادة على ما هي عليه ومن مهمة أمناء الدين دراستها وتفسيرها للعامة ، وعلى المسلمين أن يقتدوا بالنصارى من اللاتين والأروام ، فإن اللاتينيين يقرأون الإنجيل باللاتينية ، والأروام يقرأون أنجيلهم باليونانية ، أما المسلمون من الترك والفرس فهم يقرأون القرآن بالعربية .

٤ - وهذه نقطة هامة - فقد قال : أما كتب الفقه فقد صار العدول عنها الى النظام (أى القانون الوضعى) ، ولا مانع من كتابة النظام بلغة العامة ليفهمه الخاصة والعامة .

٥ - اللغة الفصحى يدرسها من يشاء كما يدرس البعض من أوربا اللغة اليونانية واللاتينية والسكسكينية .

وطالب بسرعة الأخذ بالاقتراح لأن الخرق قد اتسع على الراقع وصارت اللغة التى نرضعها مع اللبن ، ولا تنطق السننتنا الا بها بعيدة عن اللغة القديسة بعدا شاسعا ، ولابد للنجاح المأمول أن نعتد على لغة تفهمها خاصتنا وعامتنا (٢) .

وظهرت الدعوة الى العامية مرة ثانية في يناير سنة ١٩٨٣ في مجلة (الأزهر) حين تولى

(١) مجلة المقتطف - نوفمبر سنة ١٨٨١ مقال بعنوان « اللغة العربية والنجاح »
(٢) المقتطف - أغسطس سنة ١٨٨٢ ، باب المناظرة والمراسلة (مستقبل اللغة العربية)

يحلوا الثقافة الغربية والانجليزية منها على التحصين - محل الثقافة العربية الاسلامية ، وأدركوا أن نجاح خطتهم هذه لا يتم الا بالقضاء على اللغة العربية حتى يتم لهم اقتلاع الحضارة الاسلامية من جذورها وحتى يجعلوا مصر تابعة لحضارة الغرب ، لأن اللغة العربية الفصحى هي رباط المصريين بالقرآن الكريم وكتب التراث التى الفت على مدى أكثر من ألف عام .

ولقد تمثلت الحرب التى شنتها صحافة هذا الاتجاه على اللغة العربية الفصحى في ثلاثة أمور :

١ - الدعوة الى الكتابة باللغة العامية المصرية وجعلها لغة التأليف والصحافة والتعليم وإحلالها محل العربية الفصحى .

٢ - كتابة اللغة العربية (او العامية) بحروف لاتينية .

٣ - إحلال اللغة الانجليزية محل العربية في التعليم والمصالح الحكومية والمحاكم والمعاملات التجارية .

أولا - الدعوة العامية :

ظهرت الدعوة الى العامية - أول ما ظهرت - على صفحات مجلة (المقتطف) فى سنة ١٨٨١م طلعت هذه الصحيفة على قرائها باقتراح كتابة العلوم بلغة الحديث وزعمت الصحيفة أن لغة التكلم ولغة الكتابة (عندنا نحن المصريين) هي لغة تأخرنا ، وقالت أن أكثر الذين نجحوا بسعيهم وجددهم من الأفرنج كانوا يدرسون العلوم العالية مثل الجبر والهندسة والفلسفة والطبيعة وهم يتعاطون أصفر الأعمال ولا يعرفون من العلم سوى القراءة البسيطة ، ذلك لأن لغة الكتب عند الأفرنج لا تفرق كثيرا عن اللغة التى يتكلمون بها ، أما نحن المتكلمين بالعربية فكتبنا - ولا سيما كتب العلوم - قد كتبت بلغة غير اللغة التى نتكلمها ، والبعد بينهما كالبعد بين الفرنسية والانجليزية ، أو - بالحرى - كالبعد بين اللاتينية والاطالية ، فلا يقدر عاقتنا على ادراك معانى الكتب ما لم يدرسوا لغتها وتصبح ملكة فيهم ، وهذا يقتضى وقتا طويلا ونفقة هائلة ، وإذا بقى الحال على هذا المنوال فلا أمل أن يستفيد عاقتنا من الكتب وبما أن العامة هم القسم الأكبر فلا أمل في النجاح التام .

ونصح بضبط العامية اقتداء بالأمم الأوروبية التى ضبطت لهجاتها وهذبتها وكتبت بها ، وجرت

رئاسة تحريرها وليم ويلكوكس مهندس خزانات
الرى الانجليزى .

وقد مرت مجلة الأزهر بعدد من الاطوار حتى
تولى ويلكوكس رئاسة تحريرها وسخرها في
سبيل دعوته الى العامية .

فقد صدرت هذه المجلة اولا باسم « الصحة »
في شهر اغسطس سنة ١٨٨٧ لصاحبها : الدكتور
حسن بك رفقى المفتش بمصلحة الصحة
العمومية ، وابراهيم بك مصطفى المدرس
بالمدرسة الطبية وناظر مدرسة دار العلوم فيما
بعد ، وحشد لها عددا من كبار الأطباء ، ونشرت
مواد طبية جيدة .

وابتداء من العدد الاول من السنة الرابعة
(١٨٩٠) تغير اسمها الى « الأزهر » واضيفت
الى موضوعاتها بعض الموضوعات الرياضية
والهندسية .

وفي العدد الحادى عشر اول ديسمبر سنة
١٨٩٢ نشر صاحبها المجلة تنبيها جاء فيه « نعلن
القاء باننا اتفقنا مع حضرة صديقنا الفاضل مستر
ويلكوكس على تخصيص جريدة (الأزهر)
للعلوم الرياضية ، وجعلها موضع بحوث
المهندسين ، وهو يدير ادارتها كيفما يشاء » .

وفي نفس العد نشر ويلكوكس اعلانا جاء فيه :
« اتشرف بان اعلن المصريين عموما ، والمهندسين
واهل الادب منهم خصوصا ، باننى اتفقت مع
حضرتى صاحبى مجلة (الأزهر) القراء على
اخذها وجعلها تحت ادارتى وامتيازى ، من اول
يناير سنة ١٨٩٣ ، وقد اشركت معى الشيخ
أحمد الأزهرى من مخرجى دار العلوم .

ومنذ العدد الاول من تولى ويلكوكس لها ظهر
هدفه من الاستيلاء على هذه المجلة — فقد
نشر فيها محاضرة عنوانها « لم لم توجد قوة
الاختراع لدى المصريين الآن (١) » وكان قد ألقى
هذه المحاضرة في نادى الأزيكية .

وفي هذه المحاضرة عرف الاختراع وتحدث
عن الصفات التى تتوقف على وجودها قوة
الاختراع وهى القوة المفكرة ، والقوة الخيالية
والحق والثبات والاقدام ، وأشار الى الأمم
التي تميزت — في رأيه — بقوة الاختراع ، وينصح
المصريين بالاعتناء بها ، وهذه الأمم هى التى

تكتب علومها باللغة التى تتحدث بها . وخاطب
قراءه مؤكدا أن قوة الاختراع لا تزال موجودة
فيهم « ولكن بسبب عدم وجود لسان علمي
مشهور فيها بينكم لم تتوصلوا على شيء .
واضعتم أعمالكم سدى ، والسبب في ذلك أن
الكتب العلمية الدنيوية يؤلفها أربابها بكلام مثل
الجبال (يقصد اللغة الفصحى) وفي آخر الأمر
لا يلد هذا الكلام الا غارا صغير (٢) » .

ويقول ان المصريين اصبح لهم الآن لغتان :
لغة ضعيفة هى لغة الكتابة والتأليف ، حيث
تدفن بها المعانى في بطون الكتب ولا يستفيد
منها أحد ، ولغة حية قوية هى اللغة التى
يتحدثون بها « لكنكم ايها المصريون اصبحتم تقولون
عنها انها لغة دارجة لا ينبغي اتباعها وجنحتكم
في مؤلفاتكم الى اللغة التى ماتت منذ زمن بعيد
بسبب المزاخرة القوية لها . واقول لكم اذا
اتجهتم الى هذه اللغة الدارجة القوية الشهيرة
بينكم ، وتركتم هذه اللغة الضعيفة تنجسون
كثرا بسبب أن اللغة التى تتكلمون بها هى قلب
اللغة ، والتى تكتبون بها كالملايس لها » .

واغرى « ويلكوكس » المصريين بالمكافآت
المالية اذا تباروا في الكتابة بالعامية ، وكان
موضوع المسابقة التى عقدها في أول عدد من
مجلته هو كتابة المحاضرة — المشار اليها —
باللغة الدارجة المصرية وقال في نهاية المحاضرة
المنشورة : « ان من قدم لنا هذه الخطبة
باللغة الدارجة المصرية وكانت موافقة جدا
يكافأ باعطائه اربعة جنيهات افرنكية » .

وطالب المهندسين أن يوافوه بأبحاثهم باللغة
المصرية الدارجة لينشرها في صحيفته ، كما وأصل
الكتابة في موضوع « اللغة الدارجة » وكتب
مقالات بالعامية في موضوعات أدبية وعلمية ،
وترجم فصولا من روايات شكسبير الى العامية
وان جاءت ركيكة نابية على الذوق (٣) .

وفي سنة ١٨٩٨ ظهرت كراسة مطبوعة مجهولة
المؤلف تحمل نفس الدعوة الى استعمال العامية ،
وان زادت عليها كتابتها بحروف افرنجية وقد
لخص رشيد رضا ما زعمه مؤلف هذه الكراسة
فوائد استخدام اللغة العامية في أربع نقاط رد
عليها واحدة واحدة ، وهذه الفوائد الأربع —
في رأى مؤلف الكراسة المجهول — والفوائد
الأربعة في رأى رشيد رضا هى :
١ — تسهيل التجارة .

(٢) مجلة الأزهر — نفس المصدر
(٣) مجلة الأزهر مايو سنة ١٨٩٣

(١) مجلة الأزهر — يناير سنة ١٨٩٣

(الأفريقية) يحفظ العربية (العامة) فان كل تلميذ في المدارس العليا الآن يتعلم الانجليزية او الفرنسية ولا تمضي مدة طويلة حتى يشيع تعلم اللغات الأجنبية في المدارس الابتدائية أيضا في المدن والارياف ، فيضطر أغلب السكان الى تعلم لسان اجنبي ؟ فكيف تبقى اللغة العربية بعد ذلك سواء اذا كانت معربة او غير معربة ؟ وكيف تبقى الآن من اللغة القبطية وقد كانت اللغة العامة في هذا القطر ؟ وكيف تبقى من عربية أهل الجزائر حيث صارت المدارس فرنسوية ؟ فالطريق الوحيد لحفظ اللغة العربية مما حل باللغة القبطية هو حفظ اللسان الحي من الضياع باستعمال حروف هجائية يكتب بها (٣) .

وبعد الدعوة الى اللغة العامة ، والدعوة الى استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية في الكتابة ، كانت الحرب على اللغة العربية الفصحى في جبهة ثالثة هي احلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية في المدارس المصرية وجعلها لغة التعليم في المرحلتين الابتدائية والثانوية .

« فقد كانت الدراسة في السنة الاولى الابتدائية باللغة العربية اما السنوات الثلاث التالية فكانت دروس الجغرافيا والأشياء تدرس بالانجليزية ، هذا بخلاف ما خصص خصوصية لهذه اللغة نفسها . »

وكانت مدة الدراسة في التعليم الثانوي خمس سنين ، والعلوم التي تدرس في هذه المدة هي : الرياض (حساب وهندسة وجبر) وتدرس باللغة العربية ، اما الطبيعة ، والكيمياء ، والتاريخ الطبيعي ، والجغرافيا ، والقسموغرافيا ، والتاريخ فتدرس باللغة الانجليزية ، ثم اللغتان الانجليزية والفرنسية والرسم والخطان العربي والأفريقي .

أما مدرسو التعليم الثانوي للمواد الجارية تدريسها باللغة الأجنبية فيدعون من الخارج بمعرفة نظارة المعارف (٤) .

وقد اراد الانجليز ان يعيدوا في مصر تجربتهم التي نجحت في الهند ، وهي نشر اللغة الانجليزية حتى تكون لغة تخاطب ، ففرضوا التدريس بها ، فلم يقف في طريقهم الا الاسلام الذي يقدر

٢ — تسهيل التعليم .
٣ — حفظ اللغة العربية (العامة) . ويعلق رشيد رضا على هذه النقطة قائلا: ولم يخجل مؤلف الكراسه عند ذكره هذه الفائدة من بيان ان اللغة العربية الفصحى آخذة في الاضمحلال بتعلم اللغة الانجليزية واللغة الفرنسية ، وأنه ينبغي الاعتياض عنها بلغة العامة .
٤ — قلة نفقات الطبع وتوحيد اللسان بين الوطنيين والأجانب وان ذلك مما يقوى الوطنية .

ورد رشيد رضا على هذه « الفوائد » التي اوردتها الكراسه في مقالين طويلين بعنوان : « صدمة جديدة على اللغة العربية (١) » .

الدعوة الى كتابة العربية بحروف لاتينية او احلال الانجليزية محلها :

ومن الدعوات التي ظهرت في الصحف العلمانية والمالية للاحتلال الانجليزي كتابة اللغة العربية بحروف افريقية (او لاتينية) ، وتشجيع احلال اللغة الانجليزية محل العربية في التعليم والقضاء والمصالح الحكومية والمعاملات التجارية .

وبدأت دعوة استعمال الحروف اللاتينية في الكتابة العربية في مجلة « المقتطف » حيث نشرت مقالا بعنوان : « تصوير اللفظ العربي بحروف افريقية » اقترحت فيه ترك الحروف العربية ووضعت جدولا يبين ما يقابل الحروف العربية من حروف افريقية مع الحركات العربية من ضمه وكسره ، ثم تشرح مزايا هذا الأسلوب ان الحروف الافريقية كثيرة الاشكال بين كبير وصغير ، فاذا اريد كتابة الكلمات العربية بكل نوع امكن ذلك بسهولة . . وهذه الطريقة تجعل العربية سهلة . وقالت المجلة : ان هذه الطريقة قد استنبطت منذ بضع سنين ، وكنا نترقب الفرص لاثهارها لانها اسهل مراسا من كل طريقة اخرى (٢) .

اما الكراسه المجهولة المؤلف التي سبقت الاشارة اليها فقد احتوت على الوجوه الثلاثة لهذه الدعوة ، العامة ، والحروف اللاتينية ، واحلال اللغة الانجليزية محل العربية . فقد نقل عنها رشيد رضا في مجال تفنيده للآراء التي جاءت بها : « ان استعمال هذه الحروف

(١) مجلة المنار العدد ٦ ، ٧ بتاريخ ١٩ ، ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨
(٢) مجلة المقتطف عدد يناير سنة ١٨٨٩

(٣) مجلة المنار عدد ٧ بتاريخ ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨
(٤) أحمد شفيق (باشا) مذكراتي في نصف قرن ج ٢ ص ٨٨ ، ٨٩

وشاركت جريدة الاتحاد المصرى فى هذه الدعوة الى احلال الانجليزية محل العربية ، فحثت الاهالى على تعلم اللغة الانجليزية بعد ان دخلت المحاكم وغيرها « وقد قضت علاقتنا بالانجليز وهم بجانبنا ان نحسن التكلم بلسانهم فضلا عن درس عاداتهم وأخلاقهم ، فأقبل كثيرون من شبان القطر على تعلمها حتى نبغ عدد كبير منهم — ولم يعد يلزمهم التعلم بغيرها(٣) » .

وحينما دعا ولیم ويكوكس الى اتخاذ العامية فى مقاله « لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن ؟ » كان الخيار الآخر الذى طرحه على المصريين — غير العامية — ان يأخذوا بلغة اجنبية بدل لغتهم الفصحى زاعما « ان لغة الانسان الحية كامراة حسناء واللغة الاجنبية كالجارية ، والست احسن من الجارية ، ولكن اذا كانت لغة خفية (يقصد العربية الفصحى) تكون مثل المومياء وحينئذ تكون الجارية احسن منها(٤) » .

دفاع الصحافة الاسلامية عن العربية الفصحى :

واذا كانت الصحافة العلمانية قد دعت الى العامية ، والحروف اللاتينية ، واحلال الانجليزية محل العربية ، فان الصحافة الاسلامية قد تصدت للدعوات السابقة واستمسكت بالعربية الفصحى وعملت على تطويرها حتى تكون لغة الحضارة الحديثة الى جانب كونها لغة الدين والتراث والحضارة الاسلامية .

وقد كان الحفاظ على اللغة العربية الفصحى هدفا واضحا فى فكر رائدى اليقظة الاسلامية الحديثة جمال الدين الافغانى ومحمد عبده وفى جهاد تلاميذهم من بعدهم فى الصحافة الاسلامية ، ففى احدى خطب الافغانى عن الأركان التى تقوم عليها نهضة الأمة الاسلامية اعتبر اللغة العربية أحد هذه الأركان « وما لم يكن لاهل الوطن لغة جامعة مهيبة التركيب ، جيدة الأساليب ، لا تستقر فيهم المعارف ولا تقيم بأحيائهم العلوم(٥) » .

- (٣) جريدة الاتحاد المصرى فى ٤ ديسمبر سنة ١٨٩٠
(٤) مجلة الأزهر فى أول يناير سنة ١٨٩٣
(٥) جريدة مصر عدد ٤٧ فى ٢٤ مايو سنة ١٨٧٩ من خطبة لجمال الدين الافغانى لقاعها بمسرح (زيزينيا) بالاسكندرية ونشرتها الجريدة

اللغة العربية ، فى حين ان الطريق كان مهيدا فى الهند التى لم يكن لها لغة مقدسة(١) .

وشجعت الصحافة العلمانية الموالية للاحتلال الانجليزى استخدام اللغة الانجليزية فى التدريس ، وفى غيره من مجالات الحياة وشجعت على نشرها لتصبح لغة تخاطب بين المصريين .

فقد دعت صحيفة (المقطم) الشعب المصرى الى اتقان اللغة الانجليزية بعد ان تقرر ان يكون من جملة اللغات الرسمية التى يتم الترافع بها فى المحاكم المختلطة ، وأضافت « ان اللغة الانجليزية تنتشر الآن انتشارا سريعا فى هذا القطر ، حتى لقد عنى أكثر أبناء الأعيان بتعلمها ، وصارت مما لا يستغنى عنه فريق كبير من المصريين . واذا دامت الحال على هذا المنوال فلا تضى بضع سنين حتى نعلم ، لذلك فالحكيم من استعد للانتفاع بها قبل ان يسبقه غيره الى منافعها(٢) » .

وخلال شهر ديسمبر سنة ١٨٩٠ ظلت المقطم تنشر اعلانا لمن لديه القدرة على الكتابة والانشاء باللغة الانجليزية من المصريين بان يرسل ما يكتبه الى جريدة (المشرق والمغرب) فى انجلترا ، وهى جريدة تصدر هناك هدفها وقاية مصالح الشرقيين ، وترحب بنشر ما يرسله اليها المصريون باللغة الانجليزية مما يكون فيه المصلحة والفائدة . وكانت هذه طريقة مبتكرة لى يقبل المصريون على تعلم اللغة الانجليزية واجادتها .

وكذلك طبعت « المقطم » بعض القواميس الانجليزية العربية وعملت على الاعلان عنها والترويج لها تمشيا مع هدفها المذكور حيث ان « اللغة الانجليزية — كما لا يخفى — من اوسع لغات البشر وأكثرها انتشارا ، لأنها لغة شعبيين عظيمين راقين أعلى مراتب المجد فى هذا العصر ، وهما الشعب الانجليزى والشعب الأمريكى ، وقد قال بعض الباحثين انها ستصير لغة الفريق الأكبر من بنى البشر ان لم تصر لغتهم كلهم » ومن ثم تحث المصريين على ضرورة تعلمها .

- (١) جريدة المقطم فى ٣١ نوفمبر سنة ١٨٩٠
الأدب المعاصر ج ١ ص ٩١
(٢) د. محمد محمد حسين — الانجازات الوطنية فى

من مجلة « الأستاذ » أرجع فيه تقهقر اللغة العربية إلى « كثرة الكلمات الأجنبية » واستعمال هذه الكلمات في المخاطبات الكتابية والخطابية ، واستخدام مصطلحات العلوم بلغاتها الأجنبية ، والنظر متى رأى الجرائد والكتب ممثلة بالكلمات الأجنبية ، أوصلها إلى الدهن أيضا فيحوله إلى ما طرأ عليه » .

ولعلاج هذه الحالة وللوصول إلى تقوية اللغة العربية وأحيائها يرى النديم أن « على القائمين بامر الأمم الشرقية أن يحولوا بين اللغة العربية وموتها بإحداث جمعية من علماء الأزهر ومعلمي المدارس الذين جمعوا بين لغتهم العربية وبين اللغات الأجنبية ليضعوا للاصطلاحات الطبية والكيمائية والهندسية ومفردات الكلام أسماء عربية بها تدرس تلك العلوم (٢) » .

ثم جدد الدعوة مرة ثانية فكتب مقالا تحت عنوان « مجتمع اللغة العربية في مصر » خصصه لموضوع انشاء مجمع اللغة العربية حتى يحول رجاله دون اللغة وموتها ، وذلك بوضع أسماء عربية للمصطلحات الجديدة ، وترجمة الالفاظ الأوربية واخضاعها لمعايير وأصول قواعد اللغة العربية ، واقترح أن يتكون هذا المجمع من علماء افاضل متمكنين من اللغة وعلوم شتى بحيث يتدر كل واحد منهم على مراجعة الكتب اللغوية وغيرها ، كما طالب بأن يقسم أعضاء هذا المجتمع على حسب قدرتهم العلمية : « فيختص قسم منهم بالسواد اللغوية ، كالنحو والصرف والبيان والبديع والمنطق ، وقسم يختص بالتاريخ وتقويم البلدان ، وقسم يختص بالترجمة ، وقسم يختص بالرياضيات ... الخ » وطالب بأن يعقد هذا المجمع جلسة عامة كل شهر ، وأن تكون له جريدة خاصة بتقاريره وخطبه ، واقترح ألا يقصر المجمع أعماله على الديار المصرية بل تتم مخاطبة كل الجهات العربية والشرقية حتى لا يقع خلاف بين المصريين وغيرهم في هذا الشأن ، وطالب بأن يوضع هذا المجمع تحت رعاية الحكومة وتعضيدها حتى لا يتحول عن وجهته أو يعيث بمصيره أحد (٤) .

(٢) للتوسع في هذا الموضوع انظر : محمد رشيد رضا : أصدرها الشيخ على يوسف سنة ١٨٨٧ وكان يساعده في تحريرها محمد مسعود ، ثم تركها الشيخ على يوسف ليصدر (المؤيد) في ديسمبر سنة ١٨٨٩ وترك تحريرها لزميله محمد (٣) مجلة الأستاذ في ١١ أكتوبر سنة ١٨٩٢ مسعود

(٤) مجلة الأستاذ العدد ٢٩ في ٧ مارس سنة ١٨٩٣

أما الشيخ محمد عبده فقد نهض باللغة العربية الفصحى نهضة كبيرة حين تولى رئاسة تحرير الوقائع المصرية في ٦ أكتوبر سنة ١٨٩٠ م . وتثّل لذلك في مقالاته ذات المستوى التحريري الرفيع ، وفي استعانته بكبار الكتاب في تحريرها ، كما مارس سلطته كرئيس لإدارة المطبوعات في الوقت نفسه للنهوض بالتحرير في الصحف الأخرى وفي دواوين الحكومة (١) .

ثم قامت أربع من الصحف الإسلامية للحفاظ على اللغة العربية الفصحى والبحث في السبل المؤدية إلى تقويتها وتطويرها لتصبح لغة التعليم والحضارة في هذا العصر ، وتصدت هذه الصحف الأربع للدعوات الثلاث : الدعوة إلى العامية ، والدعوة إلى حل الإنجليزية محل العربية ، والدعوة إلى كتابة اللغة العربية بحروف لاتينية ، هذه الدعوات التي استهدفت القضاء على اللغة العربية الفصحى ، وفصم العرى التي تربط المسلمين بالقرآن وتراث الإسلام من ناحية ، والعرى التي تربطهم بأخوانهم في الأقطار العربية من ناحية أخرى ، هذه الصحف الأربع هي : التنكيث والتبكيث ، والأستاذ ، والمؤيد والنار . وقامت كتابات هذه الصحف في دفاعها عن اللغة العربية الفصحى على عدد من الأفكار نجعلها فيما يلي :

١ - الدعوة إلى انشاء مجمع للغة العربية في مصر :

ففي مقال بعنوان « حاجة اللغة في الشرق » في مجلة (الآداب) (٢) دعا الشيخ على يوسف إلى اصلاح اللغة العربية لأن الأمة التي تهمل في لغتها لا أمل في مستقبلها ، « واللغة العربية - وخصوصا في مصر - قد رزنت بالدخيل حتى صارت كشكول لغات ، وليس الأمر قاصرا على خطاب العامة بل الخلل صار إلى عبارات المنشئين وفي أساليب المحررين » ولهذا طالب « بانشاء جمعية لداواة ما اعتل يكون الغرض منها ان تحل المهمة في تطبيق المعاني الطارئة على الفاظ عربية » .

وكتب عبد الله النديم مقالا طويلا عنوانه « اللغة والإنشاء » استغرق خمس عشرة صفحة

(١) مجلة الآداب في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٩ ، مجلة الآداب تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ ص ١٢٨ وما بعدها وص ١٧٦ وما بعدها .

٢ - ان العربية الفصحى هي لغة القرآن :

« الذي هو الآية الكبرى والحجة العظمى لنا معاشر المسلمين فهو الداعي الى اللغة العربية الصحيحة ، وهو المقصود لكل محارب للغة ساع في اماتها . وراينا جريدة (الأزهر) تدعونا الى ما نسوء به عاقبتنا ونسود به وجوهنا ، ونصير به اعجوبة بين الأمم . . على اننا نعلم علم اليقين انه لو ظهر ألف داع ، بل مئات الوف من دعاة أوربا لاستعمال لغة تبيت القرآن ما وجدوا آذانا سامعة . . وهل نرى ان المصريين اذا قرأوا القرآن باللغة العامية — عند استعمالها ونسيان غيرها ، ان يرضى عنهم المسلمون ام يعدونهم منهم ، وهم يعتقدون ان تغيير حرف واحد منه او تقديمه على ما قبله كفر مخرج للفاعل من الدين (١) » .

ويؤكد الشيخ على يوسف هذا المعنى ويزيد عليه في صحيفة (المؤيد) فاللغة العربية الفصحى ليست ميتة كما زعموا « لأنها لغة القرآن الشريف ، والقرآن حي معمول به تصدع زواجره في القلوب ، ويتعبد المسلمون بتلاوته ، ولغته الإسلامية الشريفة بتعبد بها نحو ثلاثمائة مليون (٢) ، واللغة التي يكون ذلك شأنها لا تكون ميتة ، ولغة الخطابة التي يعظ بها الخطباء على المنابر كل يوم جمعة فيعني كل سامع ما يقول أولئك الخطباء ، ويخرجون يذكر بعضهم بعضا بما سمعوا من الزواجر والمواظ الحسنة ، ولغة مناسك الحج الذي يجمع كل سنة من مشارق الأرض ومغاربها مئات الألوف ، وكلهم ينطقون بصوت متحد في المعنى والوجهة ويشعرون ان ما يسمعونه او ينطقون به يمثل ما في قلوبهم من الاخلاص وصدق التوجه (٣) » .

(١) مجلة الاسناد في ٣ يناير سنة ١٨٩٣

(٢) تقديره لعدد المسلمين في عصر (سنة ١٨٩٣ م)

(٣) المؤيد ٥ يناير سنة ١٨٩٣ مقال بعنوان « حياة الأمة بلغتها — الحجج الدامغة »

٣ - ان الفصحى هي لغة التعليم والكتب طوال التاريخ الاسلامي :

فقد وضعت باللغة الفصحى الوف والوف من كتب العلوم والفنون في اللغة وآدابها ، وفي الدين من عقيدة وشريعة وأخلاق ، وفي جميع الفنون القديمة والحديثة مخطوطة ومطبوعة (٤) . وهي تعد من افخر ذخائر عصر المدنية الآن ، ويتناقص على تحصيلها كل من لديه استطاعة ان يقرأ سطرا واحدا منها ، فماذا نفعل بهذه الكتب هل ننقلها الى العامية ام نرمي بها في البحر ، ام ندرسها على ما هي عليه ؟ وتكون دراستها في هذه الحالة على درجة كبيرة من الصعوبة . . وای علم وضعت فيه مصنفات باللغة العامية ؟ ، وای فن دونت فيه الدواوين بها ؟ ام هل نبدا التأليف بها ، وهذا يستغرق سنوات وسنوات (٥) .

اننا اذا استخدمنا العامية فنسبضطر الى وضع قواعد وقواميس وعلوم لهذه اللغة مثل النحو والصرف والمعاني والبيان والبدیع ، وهذا لا يتأتى الا بعد قرون ، فكيف نستخدم هذه اللغة حتى نصل الى ذلك (٦) .

لقد كان الاجدى ان يقترح المستر ديلوكس تعميم التعليم بين جميع افراد الأمة باللغة الفصحى ، وحين يكون معظم الشعب من المتعلمين تكون الفصحى هي لغة التخاطب التي يفهمها الشعب جميعه .

وماذا يرى المستر وبلوكوكس الجيل الناشئ من المصريين كجيل تائه في الصحراء وليس لديه اثر او عمل يظهر له مقام اسلافه وتاريخهم . وما وصلوا اليه من المدنية والعلم ، حيث يصبحون بلغتهم الجديدة منفصلين كل الانفصال عن كل تاريخ لهم مدنيا كان او دينيا (٧) .

(٤) المنار ٢٦ ابريل سنة ١٨٩٨

(٥) المؤيد ٥ يناير سنة ١٨٩٣ المقال السابق ذكره

(٦) المؤيد — المصدر السابق

(٧) جريدة المؤيد المصدر السابق

العدد (٢) • وتوقفت المجلة وكان سبب توقفها المقاومة التي لقينها •

أما مجلة (الأستاذ) فقد وجهت اهتمامها الى ايضاح خطر الدعوة الى العامية على القرآن والشريعة والعقيدة الاسلامية ، وكانت غنيمة في ردها على دعوة ويلكوكس تمثيا مع موقفها من الاحتلال الانجليزى بصفة عامة ، وهو الموقف الذى لم يحتله كرومر ، فاعوز الى الخديو عباس حلمى الثانى ان ينفى عبد الله النديم من مصر فنفاه وودع النديم قراءه في العدد الذى صدر من (الأستاذ) في ١٣ يونيو سنة ١٨٩٣ .

ولم تتوقف حلقات الدعوة الى العامية بل استمرت بعد نهاية القرن التاسع عشر ايضا . هذه الدعوة التي بدأت في صحيفة « المقتطف » سنة ١٨٨١ ثم في مجلة (الأزهر) سنة ١٨٩٣ ، ثم في الكراسة المجهولة المؤلف التي طبعت ووزعت في مصر وعرفنا بها من ردود رشيد رضا عليها في مجلة المنار سنة ١٨٩٨ . وظهرت حلقة جديدة من هذه الدعوة سنة ١٩٠١ حين وضع سلدون ولو Silden Wlmore كتابه بالانجليزية عن اللغة العامية المصرية بعنوان « لغة الحديث العربية في مصر » The Spoken Arabic of Egypt

ودعا فيه بنفس الدعوة الى الاقتصاد على العامية في التأليف والتعليم ، واشادت بالكتاب مجلة (المقتطف) وروجت له (٣) .

ووجدت هذه المحاولة أيضا من يتصدى لها بقوة ، ويورد الحجج التي أوردها كتاب الصحافة الاسلامية في مواجهة الدعوات السابقة ، وهو الشيخ رشيد رضا ، وطالب معلمى اللغة العربية ومتعلميها أن يجعلوا لغة التخاطب بينهم في دروسهم وفي حياتهم هي العربية الفصحى لتصبح لغة التخاطب — وهو الاقتراح الذى كان الشيخ على يوسف قد طرحه من قبل — وودع بان يقود حملة صحفية من اجل ان يقوم معلمو اللغة العربية بواجبهم في هذا المجال (٤) .

- (٢) مجلة الأزهر اول ديسمبر سنة ١٨٩٣
(٣) مجلة المقتطف فبراير سنة ١٩٠٢ باب التقريظ والانتقاد
(٤) مجلة المنار في ٢٦ يناير و ٩ فبراير سنة ١٩٠٢

٤ — ان الفرق بين اللهجات العامية في أنحاء مصر اكبر من الفرق بين اللغة العامية واللغة الفصحى ، فباي لغة عامية نأخذ ، بلغة الصعيد أو لغة الاسكندرية ، أو لغة القاهرة — أو لغة المنوفية أو لغة البدو ، كما ان الفرق بين اللغات العامية المستخدمة في أقطار العالم العربى اكبر من الفرق بين العامية والفصحى ، وبالتالي فان استخدام كل قطر للغة العامية تمزيق لشمل جامعة اللسان بين هذه الأقطار وهو ما لا يسعى اليه عاقل يود الخير للعرب والمسلمين ، وهو يعنى ان ما يؤلف ويطبع في قطر عربى لا يقرأ في الآخر ، وفي ذلك خسارة كبيرة ، لأنه يمنع تبادل العلوم والأفكار بين هذه الأقطار (١) .

وكما يكون في كل معركة صرعى من الجانبين ، فقد لقيت مجلتان مصرعهما في المعركة بين العامية والفصحى وهما : مجلة (الأزهر) التي دعت الى العامية ، ومجلة (الأستاذ) التي دافعت عن الفصحى ولكن شتان بين الأسباب التي أدت الى توقف كل مجلة من المجلتين .

أما مجلة (الأزهر) التي دعت الى العامية فقد تولت الصحف الاسلامية كشف اهدافها وابطال دعوتها حتى ان صاحبها — ويلكوكس — اعترف بفشله وسجل عن نفسه في آخر عدد اصدره ان القراء « وبخاصة المهندسين أبوا الا ان يترجموا عن أفكارهم في المجلة — بلغة غير مشهورة (يقصد الفصحى) واخذوا يرسلون بها الرسائل العديدة بغية رصدتها ، فما كان يسعنى الا قبولها مؤملا أنهم يخلعون نعل الخوف ويلبسون رداء الحرية والاقدام فيعبرون عن معلوماتهم باللغة الحية (أى العامية) ، وحيث أنهم استمروا على الطريقة الاولى ، ولم يهتدوا الى الطريقة المفيدة العامة ، فلا حاجة للاستمرار في اصدار الجريدة ، وقد آن الأوان أن تركد ربح « الأزهر » وتغرب شمسها ويحجب عن الظهور بعد هذا

(١) أسهمت جريدة المؤيد في شرح هذه الفكرة في بحث نشرته لامين بك فكرى العائى بحكمة الاستئناف — نشر مسلسلا في اعدادها الصادرة في ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٨ يناير سنة ١٨٩٢ ، وأمين فكرى كاتب هذا البحث هو ابن عبد الله باشا فكرى الذى كان وزيرا للمعارف في وزارة العربيين تحت رئاسة محمود سامى البارودى ومن كتاب « روضة المدارس » انظر كتاب « روضة المدارس » لحمد عبد الغنى حسن ود. عبد العزيز الدسوقي — مرجع سابق ص ٣٢٤

فجالات

عنا الصحف والمجلات

إعداد: الدكتور أحمد عبد الرحيم السراج

طالعنا مجلة الدعوة التي تصدر بالرياض بافتتاحية تحت عنوان « الصحافة كلمة » وذلك بالعدد رقم ١١٢٥ الصادر في التاسع والعشرين من جمادى الأولى ١٤٠٨ هـ جاء فيها :

تشكل الصحافة في عالم اليوم جزءا أساسيا من ثقافة الجماهير وربما تتفوق في هذا المضمار على الإذاعة والتلفزيون باعتبارها كلمة تستنهض همة الملتقى للقراءة والتحليل ، وقد تبقى في حوزته زبنا للرجوع إليها مرة أو مرات . وذلك ما يجعل تأثيرها أكثر رسوخا من وسائل التبليغ الأخرى أعنى تلك التي لا تحتاج متابعتها لغير التلقى السلبي .

وفي ضوء هذه الحقيقة نستطيع القول ان على الصحافة بوجه عام مسئوليات ضخمة وثقيلة وهامة جدا ولا سيما الصحافة في البلاد الاسلامية

خاصة وان وسائل الحصول على المعلومة الخبرية لاتزال حكرا على وكالات انباء ذات امكانات هائلة « ليس من بينها للأسف وكالة انباء اسلامية » حيث تتم صياغة الخير او المعلومة على عينيها وتخرجها محملة بتوجيهاتها او بأيدلوجيتها .

ومن هنا كان على صحافتنا المسلمة ان تكون اكثر وعيا بما يدور حولها وبما يتفاعل في العالم الارحب وان تكون ايضا اعرق ادراكا وتمثيلا للأسس والمنطلقات الحضارية التي قام عليها المجتمع وارساها ديننا العظيم في كل المجالات حيث تتجلى الحضارة الانسانية الاصيله :

« يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم » .

الأحزاب ٧٠ ، ٧١

ان الصحافة كما أومأنا أننا منبر عام وما يطرح من خلالها مسئولية كبرى ، يجب أن تتعدى أو يتعدى بها عن الأغراض الذاتية قصيرة النظر ، والا تكون ميدانا مستباحا لترويج الأفكار والمبادئ المغايرة ، أو لهواة تحقيق المجد الشخصي وأصحاب المعاجم اللفظية الفاضة ومن يجهلون أو يتجاهلون مسلمات المجتمع الذى يعيشون ويعملون فيه والرسالة العظمى التى يضطلع بها ويؤديها .

فبالصحافة مدرسة بل جامعة .. تلتقى فى ساحاتها كل الأعمار وتتفاعل فى جنباتها جميع الأذواق ، ولذلك كان النهوض بها ورعايتها والاحساس بأهميتها جزءا من الاحساس بالمسئولية العامة (كلكم راع ومسئول عن رعيته) .

ونشرت مجلة الهداية بالعدد الصادر فى ذى الحجة ١٤٠٨ هـ افتتاحية جاء فيها :

احتفلت الولايات المتحدة الأمريكية منذ أيام بعيد الاستقلال . وقد رفعت فى هذا العيد شعاعا يقول « الحرية .. هى محو الأمية » .. أقوى دول العالم وأكثرها تطورا ترفع فى أواخر القرن العشرين هذا الشعاع الذى رفعه الاسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرنا فكانت أول كلمة فى دستور الاسلام العظيم هى « اقرأ » وتوالت بعد ذلك الآيات لتنص أكثر من واحدة منها على أهمية العلم « انما يخشى الله من عباده العلماء » « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وغيرها وغيرها . والرسول صلوات الله وسلامه عليه عندما جعل غداء بعض الأسرى أن يعلم كل منهم عشرة من المسلمين الكتابة والقراءة ثم الرعيل الأول الذى أدرك أهمية

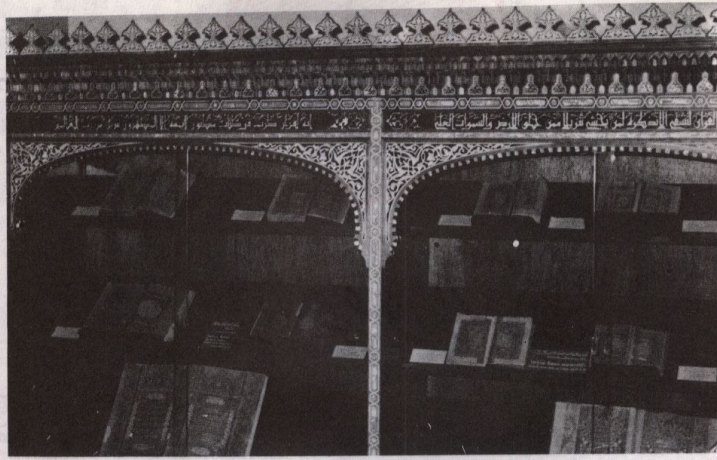
ان هذا التوجيه الالهى الكريم يوجب على كل العاملين فى الاعلام ، والصحافة أحد أركانه الأساسية ان يضعوا تقوى الله نصب أعينهم فى كل ما ينشرونه ، وأن يلتزموا بقول الحق والعدل فى كل ما يقدمون متجاوزين منخني المصلحة الخاصة ، الى رحاب انسانية أكثر مصداقية كى تكون الصحافة — كما هو المأمول منها — عنصرا ايجابيا يستهدف نشر الفضيلة وترسيخ القيم وتعميق الانتماء وفصح دسائس الأعداء وتسليح الفرد — العنصر الأول فى المسيرة الحياتية — بالوعى المتوهج .

وهنا يتجاوز دور رجال الصحافة مجرد تسيير العمل اليومى ، ومحاولة استقطاب مزيد من الكتاب والمحررين النابهين والركض وراء السبق الصحفى والخبر المدوى واغراء المعلن .. لتحقيق نسب عالية من التوزيع .. يتجاوز دور رجال الصحافة هذه الامور المعروفة كلها الى صنع شخصية واضحة وتمييزة للمطبوعة تستهدف اداء رسالتها الاعلامية ، والقيام بواجباتها الاصلاحية .

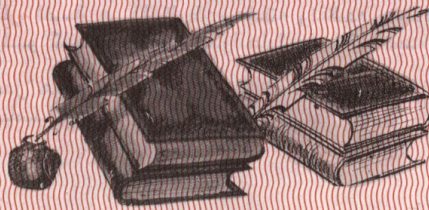
ولكن قد تنقلب الصورة فتصبح الصحافة مجرد وعاء أو بوق لوكالات الأنباء العالمية وتفقد قدرتها على التمييز ، بل قد يتحول هم بعض القائمين عليها الى البروز المهنى ، والطموح الاجتماعى الفردى ، وقد تستويهم الاثارة أو تهوى بهم الخيالات الواهمة ، فيقومون بتصنيف المجتمع الأمن وبطريقة استفزازية — الى فئات وطوائف يفترضونها متناحرة ، ولا ينسبون فى الوقت ذاته الايحاء بأنهم وحدهم الغيبيون على المصلحة العامة ، وذلك لعمر الحق قاع الارتكاس !!

هذه الدعوة التي ركز عليها واهتم بها اعظم وآخر اديان السماء فاكبوا على العلم والدرس حتى اصبحوا اساتذة الأمم في مختلف نواحي العلم وشادوا بفضل ذلك ازهى وأروع الحضارات التي شهدها التاريخ والتي شاد الغرب نفسه حضارته المعاصرة على أسسها ودعائهما وابتكاراتها . وكل ذلك عندما كانت أمريكا مجهولا في علم الغيب وعندما كانت أوروبا غارقة في ظلمات الجهل والخرافة والوحشية . وكل ذلك أيضا في الوقت الذي أصبح فيه العالم الاسلامى اليوم في عداد دول العالم الثالث وفي عداد الدول التي تنتشر فيها الأمية ويفتك الجهل فيها بنسب متزايدة تتضاعف عاما بعد عام . لقد حدد الاسلام وبوضوح شديد الحكمة من خلق الانسان وهى ان يعبد الله ويعمر الكون وعمارة الكون لا تكون الا بالعلم لذلك اهتم به الاسلام ودعا اليه ولكن عصور الابتلاء التي مر بها العالم الاسلامى صرفت الانسان المسلم عن هذا المظهر من مظاهر التعبد وكانت النتيجة هى التخلف الذى يصمنا به الغرب اليوم والذي يكبل انطلاقة العالم الاسلامى ويعقده عن اللحاق بركب العصر ويجعله عالة على شعوب بنت نهضتها على موائد العلماء المسلمين . العلم اذن شئ جوهري وأساسى في هذا الدين وهو اذا كان يندرج عند الأوروبيين والأمريكان ضمن علوم الاجتماع والنهوض بمستوى الشعب فهو عند المسلمين أساس من أسس الدين فبالعلم تعرف الله حق معرفته ونقدره حق قدره وبالعلم يقوى المسلمون على مواجهة مطالب العصر وبالعلم يعمر المسلمون الأرض التي يدمرها أو سوف يدمرها علم الغرب . العلم في الاسلام طريق للسعادة وتوفير الهناء لكل شعوب الأرض والعلم عند الأمريكان والأوروبيين قنابل من كل شكل ولون تفتك بالأخضر واليابس

وتمزق اشلء البشرية وتفتح الطريق للطفان واستغلال الشعوب . العلم في الاسلام نور يضيء الدروب للمسلمين ولغير المسلمين والعلم عند غير المسلمين عالم مجهول مخيف ترتعد منه الفرائص اسمه « الرعب النووى » واذا كانت أمريكا قد أهدت العالم في عيد استقلالها شعار « الحرية هى محو الأمية » فقد أهدى الاسلام البشرية كلها العلم والحرية والتقدم ومنذ قرون طويلة خلت واذا كانت أجهزة الاعلام الأمريكية اليوم بصدد التخطيط لحملة تحمل هذا الشعار الساذج لكل الأرض فيجب على أجهزة الاعلام في العالم الاسلامى أن تشرح للعالم موقف الاسلام من العلم وتاريخ العلم في الاسلام والجهود التي قدمها علماء المسلمين لكل الانسانية كما يجب عليها أن تنهض باعداد البرامج المناسبة لشرح هذه الحقيقة لجوع المسلمين انفسهم لتثير فيهم حماسا خبد وتبعث فيهم همة وهنت وتبث فيهم روحا أضعفه البعد عن الاسلام الحق وترسخ في اعماقهم اهمية العلم بالنسبة للدين وثواب من علم حرفا أو تعلمه ذلك هو الطريق الأمثل لانجاح برامج محو الأمية في العالم الاسلامى كله فان الحوافز التي تمنح للدارسين والمدرسين من العاملين في هذا الحقل لا يمكن أن تحقق لنا ما يمكن أن يحققه معرفة الأمى أن التعلم شئ يطلبه الاسلام وأن التقوى بالعلم أخذ بأسباب القوة التي يدعو اليها الاسلام وأن التعلم نوع من العبادة لله الواحد الأحد . كما أن هذه الحوافز أو الأجور الإضافية التي تمنح للمدرسين لا يمكن أن تثمر ما يثمره إيمان العاملين في هذا الحقل بأن تعليم المسلمين لون من ألوان العبادة والقربى الى الله وأن التطوع في هذا السبيل له من الثواب أضعاف أضعاف المكافآت الهزيلة التي يحصلون عليها أو يسعون اليها .



كتاب الشهر



والصحة الإسلامية

الحلقة الأخيرة

عرض وتقديم الدكتور محمد بن الدين سالم

●● انه لا يمكن لعقل ان يعارض الديمقراطية .. ولا خلاف بين ديمقراطيتنا الاسلامية والديمقراطية الغربية في الجوهر .. فنحن نعارض السيادة المطلقة للفرد او الطبقة ، ونحارب كبت حريات التعبير والتجمع والعمل ، والتمييز على اساس الجنس او الطبقة او النسب ، وندعو الى تأليف الحكومة ومؤسساتها وتغييرها بواسطة الراى العام .

والخلاف بين ديمقراطيتنا والديمقراطية الغربية ان ديمقراطيتهم مطلقة العنان، بينما ديمقراطيتنا مقيدة بمبادئ الشريعة ومقاصدها .

●● ان القومية التى نعارضها هى قومية : « اويل للمفلوب » و « الفاية تبرر الوسيلة » و « لا مكان للضعيف تحت الشمس » .

اما اذا اريد بالقومية : الجنسية ، فهى امر فطرى لا نعارضه او : انتصار الفرد لشعبه ، فنحن لا نعارضها كذلك .. او : الاستقلال القومى ، فهو هدف عظيم .

والعالمية لا تنافى القومية ، بمعنى حنين الانسان الى قومه ، وحب لوطنه ، وعمله فى سبيل اسعاده ورفقيه .. والتمايز القومى للبشر ، هو من مستلزمات الفطرة الباقية الخالدة ، التى يهدف الاسلام الى الحفاظ عليها .

●● ان حب الوطن امر فطرى يولد مع الانسان .. وعلى كل انسان فرض تجاه البلد الذى ولد فيه .. فوطن الانسان هو مجال عمله ، وهذه فطرة وطبيعة ، حيث يعرف الانسان لفة هذا الوطن وعاداته وتقاليده .. فلنعمل فى ارض هذا الوطن - حتى ولو كانت صخرية - ولنحاول معها كى تنبت البذور والشجيرات .

●● ان العدل هو هدف الاسلام .. وهو لا يعنى المساواة الاقتصادية ، وانما يعنى التوازن والتناسب .

ولقد قرر الإسلام مبادئ للنظام الاقتصادي ، وترك لنا تقرير الأحكام وفق الزمان والمكان والحاجات والظروف وما نريده ، هو اقتصاد حر ، ضمن طائفة من الحدود والقيود .

● ● ان الرجل والمرأة — من حيث إنسانيتهم — على حد سواء .. لكن دائرة عملهما ليست واحدة لأنهما مختلفان في قوتهم الجسدية .. ونظامهما الجسدي .. وخصائصهما النفسية .. وعلم الأحياء يثبت اختلافهما في الصورة والسمت والأعضاء .

ميدان عمل المرأة هو تربية الأولاد وواجبات البيت ، والرجل قوام على المرأة في المنزل .. وفي المجتمع .. فليس لها من حرية الإرادة والاختيار مثل ما للرجل .

● ● ان بيننا وبين « الأقوام غير المسلمين » وحدة الانسانية ، ولهم أن يشتركوا مع المسلمين في « المجالس البلدية والمحلية » ويخضع الجميع للقوانين الجنائية والمدنية والإدارية الواحدة ، ولغير المسلمين تعليمهم الديني الخاص ، ولهم من حرية الفكر والرأي ما للمسلمين حتى انتقاد الدين الإسلامي ، كما ينتقد المسلمون دياناتهم .

● ● ان أحداث الانقلاب الفكري والعقلي نوع من أنواع الجهاد . والجهاد الإسلامي : هجومي .. ودفاعي .. سلمى .. وحربي .

ولو شئنا أن يكون للأمة الإسلامية تنظيم سليم فليكن على نفس النهج المحمدي . ان مزاج الإسلام يختلف عن أمزجة الحركات الثورية المعاصرة ، فعندما يحكم الإسلام ينبع سياسة العفو ، لا الانتقام ، ويسلك سبيل الإصلاح بالليونة والهدوء والتدرج .

● المودودي ●

عزيزي القارئ :

حول الديمقراطية والقومية والوطنية والفكر الاجتماعي والمرأة ، وأهل الذمة ، ثم طريق البعث الإسلامي .. يدور بقية البحث الهام « أبو الأعلى المودودي والصحة الإسلامية » الذي قدمه للمكتبة الإسلامية الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور / محمد عمارة .

الديمقراطية : يرفض المودودي مفهوم الديمقراطية الذي تحدد لها في الحضارة الغربية .. لأن هذا المفهوم يجعل السلطة كل السلطة ، والحاكمة ، كل الحاكمة للجماهير ، حتى ليصبح من حقها أن تحل الحرام وتحرم الحلال ، وتسبب القوانين التي تهدر القيم والأخلاق .. ومع ذلك فلا غبار عند المودودي على نشأة هذه الديمقراطية وإنجازاتها في البيئة والحضارة الغربية .. بل هو يزكها ويشيد بثمراتها الإيجابية .. لكنه يتحفظ كل التحفظ مع مرحلة انحرافها ، عندما تحولت الحاكمة المطلقة التي قررتها لجماهيرها من مجرد علمانية تزكي عدوان الجماهير على الشريعة الدينية إلى إطلاق حرية الشعوب الأوروبية — في مرحلة الاستعمار —

للعنوان على غيرها من الشعوب .. فهذه الديمقراطية الغربية « قد انحرفت وتحولت فيما بعد عن مفهومها الصحيح ، وأصبحت تعني إطلاق العنان لتصرعات كل أمة لتحقيق رغباتها كيف تشاء » .

ثم تأتي « خصوصية الواقع الهندي » التي كتب المودودي لها وفي ظلها ما كتب عن الديمقراطية لتعطي القضية بعدا جديدا .. وهذا البعد ، رغم أهميته العظمى قد أغفله الذين أساءوا إلى المودودي باجتزاء بعض نصوصه عن الديمقراطية ، وتجريد كتاباته عنها من الملابسات التي أفرزت هذه الكتابات .

فالمودودي يرفض مؤسسة الدولة الديمقراطية القائمة على حكم الأغلبية ، لا رفضا منه للديمقراطية لذاتها ، وإنما لأن هذه المؤسسة — في ظروف الهند — حيث تتعدد القوميات — والقومية الإسلامية أقلية في العدد — ستؤدي إلى دوام الحكم والحاكمة بيد الأغلبية الهندوكية واستبعاد الأقلية المسلمة عنه دائما ، وذلك لدوام ارتباط الأغلبية بالأمول الحضارية القومية ، وما بينها وبين الأقلية المسلمة من

« ونحن نقدم مبدأ : التسليم لله وطاعته
بديلا عن العلمانية . »

ونقدم مبدأ : الانسانية العالمية بديلا عن
القومية المحدودة الضيقة .

ونقدم مبدأ : سيادة الله ، وخلافة المؤمنين ،
بديلا عن مبدأ سيادة الشعب أو حاكمية الجماهير .

ان القومية التي يرفضها — والتي عرّفها
الغرب — هي المحدودة الضيقة .

ولقد أسفقتهم — أى أصحاب القراءة
المنقوصة والمتورة — نصوص كثيرة للمودودي
لسفه القومية مثل قوله :

« ان مبادئ القومية تتناقض تماما مع مبادئ
الاسلام .. وهى فى حد ذاتها تخالف الشرائع
الالهية .. انها ينبوع للفساد والذعر والشر فى
هذه الدنيا ، انها لعنة الله الكبرى .. ان القومية
حين تدخل الى عقول وقلوب المسلمين من طريق
فان الاسلام يخرجهم من طريق آخر .. ان المسلم
الذى يريد البقاء مسلما عليه ان يؤمن ببطان كل
القوميات الاخرى .. ان الاسلام والقومية
يتعارضان معا من حيث روحيهما وهدفيهما ..
فالمسلمون « حزب » لا « قوم » والقرآن يرى
البشرية كلها حزبين اثنين فقط .

اولهما : « حزب الله » .

وثانيهما : « حزب الشيطان » .

نعم ... لقد كتب المودودي هذه العبارات
الصادة والعنيفة والاشارية ، والتي يخيل
لقارئها ان الرجل قد رأى فى مبحث القومية
وموضوعها ما يراه المسلم فى اصول العقائد
واركان الدين ، فاستخدم فى نقضها والهجوم
عليها ووصفها بمصطلحات الكفر والشرك والخروج
من الاسلام .. ونسى او تناسى ان مبحث القومية
« سياسى — اجتماعى » فهو — مهما اختلفت فيه
المذاهب والآراء — من مباحث الفروع ، التي
تقاس وتوزن بمعايير « الضرر » و « النفع »
و « الخطأ » و « الصواب » وليس بمعايير
« الكفر » و « الايمان » .

والاستاذ المؤلف يعقب على عدااء المودودي
للقومية « فيقول : ان عدااء المودودي للقومية
لم يكن عدااء مبدأ ، فضلا عن ان يكون مبدأ
اسلاميا ، وانما كان رفضا لفكر سياسى رآه فى
ذلك الظرف التاريخى ، ضارا بالمسلمين الهنود
وباسلامهم .

عداوات وصراعات وثارات ولانعدام المعايير
الواحدة التي تحكم قيم « الخير » و « الشر »
و « الحلال » و « الحرام » عند كل منهما ..
فموقف المودودي فى حقيقته هو رفض لتوظيف
المؤسسات الديمقراطية فى غير موضعها ، وليس
رفضا للديمقراطية فى ذاتها فهو نفسه يقول :
« انه لا يمكن لعامل ان يعارض الديمقراطية »
كما استبان ان الرجل لم يزعم ان الخلاف بين
الشورى الاسلامية وبين الديمقراطية بمفهومها
الغربى هو خلاف كلى ، فلقد بنى الوسائل
والمؤسسات التي استقرت كسبل لتحقيق
الديمقراطية فى الحضارة الغربية .. ونبه على
ان الخلاف بين « ديمقراطيتنا الاسلامية » وبين
الديمقراطية الغربية لا يعدو جزئية محددة هي
ان حاكمية الشعب وسلطانه فى الاسلام محكومة
بمقاصد الشريعة وحدودها ، وهى التي تتمثل فيها
حاكمية الله سبحانه وتعالى .. اما فى الديمقراطية
الغربية فان الحاكمية الشعبية مطلقة العنان
لتحررها — بالعلمانية — من شريعة السماء .

القومية :

يظن كثيرون ان الاستاذ المودودي قد رفض
« القومية » رفضا مطلقا ، ورأى فيها باطلاق
فكرا غربيا وافدا غرضه ووجه اليه ما وجه الى
الحضارة الغربية من انتقادات .

والذين يظنون هذا الظن ، ويشيعونه فى
صفوف المسلمين تسعفهم نصوص للرجل
يجتزئونها ، وهم وأخطر من اجتزائها فانهم
يعزلونها عن الملاحظات الواقعية التي كتبت فيها
ولها .. وذلك فضلا عن انهم لا يعرضونها مقرونة
ومقارنة بنصوصه الاخرى التي كتبها فى نفس
الموضوع لتكتمل نظريته ونظريته فى هذا المقام .

لقد وقف هذا البعض — من اصحاب هذه
القراءة المنقوصة والمتورة — عند قول المودودي :
« ان قواعد المدنية الغربية هي :

١ — العلمانية او اللادينية .

٢ — القومية .

٣ — الديمقراطية .

وعند رفضه لهذه القواعد الثلاث — ومنها
القومية — واعلانه البدائل الاسلامية لها فى
قوله :

الوطنية :

يقول الأستاذ الكاتب : لقد كان المودودي وطنيا حتى النخاع ، ومناضلا في سبيل تحرير وطنه — الهند — من الاستعمار .. لكن خلافه المبدئي مع « حزب المؤتمر » الذي جابه الفكرة الإسلامية والقومية الإسلامية بالفكرة الوطنية والقومية الوطنية — أي المؤسسة على عامل وحدة الوطن وحده — قد تصاعد بحماسة الى الحد الذي جعله يفصل بين الوطنية وبين الاسلام .. ولو برئت صياغاته من هذا العيب لقال لنا ان هناك وطنية اسلامية ووطنية هندوكية ، تناضلان ضد عدو واحد هو الاستعمار الانجليزي ، لحساب يتميز عند كل فريق .. فالوطنية الاسلامية غايتها وطن اسلامي للقومية الاسلامية ، والوطنية الهندوكية يجب ان تكون غايتها وطنا هندية للقومية الهندوكية وليس — كما يريد حزب المؤتمر — وطنا هندية تتهر فيه القومية الهندوكية وغيرها من القوميات .. تلك هي الصياغة المتلى في التعبير عن الفكرة الحقيقية للأستاذ المودودي .

ولقد ذهب الأستاذ المودودي — في المرحلة التي سبقت تحرير الهند وتقسيمها — على درب « الفصل » و « التعارض » بين « الاسلام » و « الوطنية » شوطا بعيدا ففتناثرت في كتاباته نفس الافكار ، وأخذ يجمع للتدليل على صحتها الوقائع والاسانيد .

فهو يجرد الدعوة الاسلامية ، والمجتمع الاسلامي الاول ، والدولة الاسلامية الاولى من « المحتوى الوطني » فهي — عنده — دعوة عقيدة .. ومجتمع عقيدة .. ودولة عقيدة — مبراة من فكرة الوطنية .. ونداء الوطنية ودعوة الوطنية .. لكنه يستدرك فيقول : ان هذه العقيدة حققت لاهلها ودولتها ومجتمعها أقصى ما يمكن ان تحققه الوطنية .

ولقد كان الأوفق لو ان الرجل قال ان هذه العقيدة — في ذلك المجتمع — قد تجسدت في دولة تحكم وطنا ، رعيته مواطنون .. وان الدفاع عن « المدنية » كان دفاعا عن وطن العقيدة واهلها ، فليس هناك تناقض بين الاسلام وبين الوطنية الاسلامية ، بل ولا فصل وانما التناقض بين « الوطنية الاسلامية » المسلمة و « الوطنية المشتركة » الوثنية .. فما دام الاسلام « ديننا » قد اقام « دولة » فهو شامل للوطنية التي تجعل وراء هذا المسلم لوطن هذه العقيدة جزءا من شعائر الاسلام .

تلك كانت ملاسبات الصياغات « الاثرية » التي صاغها المودودي عن « الوطنية » وعينه مركزة فقط على « وطنية حزب المؤتمر » فجاءت حاملة لقدر من اللبس الذي يتيح لقليل العلم وسيء النية ان يصوروا الرجل بها هو منه براء . ويؤكد المؤلف على حقيقة أهمية قراءة المودودي في ضوء « خصوصية الواقع القومي » الذي أفرزه فكره السياسي .. واهبيه الحذر من توظيف رؤاه السياسية هذه في مناخ مغاير .. وفي المناخ العربي على وجه التحديد .. حيث القومية العربية واحدة والأغلبية الساحقة من تعدادها مسلمون .. فالوطنية تعني الحرية .. ومهمة الحرية هي الحفاظ على النبط القومي للأمة .. فليست هناك مخاطر ولا تحفظات على الوطنية في ذاتها اذا كان الانتهاء القومي واحدا وجامعا لكل أبناء الأمة الساعية الى التحرر من الاستعمار .

الفكر الاجتماعي :

بادئ ذي بدء فان المودودي — المفكر الاسلامي — يتفق مع كل الاسلاميين على أن العدل هو أعظم مقاصد الشريعة وجوهر أهداف الاسلام .. بل هو — على تنوع ميادينه — هدف الاسلام الوحيد .. « ان العدل وحده هو هدف الاسلام وبيت قصيده ، وان الاسلام نزل فقط لأقامة العدل يقول سبحانه وتعالى في سورة الحديد :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

الحديد — ٢٥

فالعدل ليس شيئا منفصلا عن الاسلام ، والاسلام نفسه هو العدل ، واقامته واقامة العدل شيء واحد .

وللمودودي في تحديد معنى العدل — الذي هو جوهر الاسلام — مفهوم اسلامي متميز ، فالعدل ليس المساواة ، وليست المساواة الاقتصادية على وجه التخصيص والتحديد .. وانما هو :

وهذه الرؤية الاجتماعية للمودودي لا يمكن النظر إليها باعتبارها « الإسلام : الدين » في الفكر الاجتماعي أنها « فكر سياسي - اجتماعي - اقتصادي » لمرحلة تاريخية محددة في بيئة اجتماعية بعينها .

المراة :

يؤكد الأستاذ المودودي في كثير من كتاباته على تسوية الإسلام بين المرأة والرجل في الإنسانية، وفي تكافؤ فرص السمو لكل منهما .. « فالمرأة المسلمة ميسور لها أن تسمو في النواحي المادية والعقلية والروحية إلى أعلى مدارج العز والرقى، التي يستطيع أن يبلغها الرجل في الدين والدنيا، وليس كونها امرأة ليحول بينها وبين تبوئها مرتبة من مراتب الشرف » .

لكن نقطة الخلاف مع الأستاذ المودودي، والتي نراها قد جعلت الكثير من كتاباته عن المرأة استمرارا « للتخلف » الذي ورثته امتنا عن الحقبة « المملوكية - العثمانية » والذي نسب زورا وبهتانا إلى الإسلام .. نقطة الخلاف هذه تتمثل في مبالغة المودودي غيبا بين المرأة والرجل من تمايز في الطبيعة والاستعداد والكفاءة والاختصاص .. حتى لقد بلغت به هذه المبالغة إلى حد تصويرهما كما لو كانا خطين متوازيين في هذه الحياة .. من الضروري وجودهما معا . لكن دون أن يحل أحدهما محل الآخر بحال من الأحوال .

وعبارات المودودي هذه التي تأسس عليها غلوه في التفرقة بين المرأة والرجل ، يقول فيها : **ان المساواة في الإنسانية بين المرأة والرجل لا تعنى « ان تكون دائرة عمل الرجل والمرأة واحدة .. ولا يصح أن يرى هذا الرأي ما لم يثبت انهما متماثلان في قوتها ومقدرتها الجسدية .. وايضا في : نظامها الجسدى ، وقد كلفتها الفطرة نوعا واحدا من الخدمات وانها متشابهان كذلك في : خصائصها النفسية ، أما التحقيق العلمى الذى قام به الانسان الى هذا اليوم فينبى ويبطل كل هذه الأمور الثلاثة .. فهذا علم الأحياء قد اثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصورة والسمت والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياه النسيجية .**

١ - مساواة في الحقوق والواجبات « القانونية » و « السياسية » .

٢ - وتكافؤ في فرص الكسب الاقتصادى والاجتماعى .

٣ - و « توازن » و « تناسب » - بالوسطية الإسلامية في الحقوق الاقتصادية بين الناس .

فالعادل ليس « المساواة » في الحقوق - وانما هو « التوازن والتناسب » فيها .. واعطاء كل ما له من حقوق .. ويستوى في الظلم المساواة في الحقوق والحرمان .. فكلاهما محل بالعادل الذى هو التوازن والتناسب في هذه الحقوق .. هذا هو مفهوم العدل الاجتماعى في فكر المودودي .. امرأة عكست تصوره للقضية الاجتماعية في مرحلة تاريخية مهمتها الأساسية البعث القومى للأمة الإسلامية في الهند ، وليس الثورة الاجتماعية .. وهو في هذا التصور :

١ - رفض الرأسمالية المطلقة والاحتكارية - (اى ليبرالية الغرب الرأسمالية) .

٢ - ورفض الاشتراكية والشيوعية (اى شمولية الغرب ، بما تركز عليه من معيار طبقى يلقى التمايز الحضارى والقومى لحساب الأغلبية الهندوكية .. ومن هنا جاء تركيزه على رفض هذا النموذج أشد وأوضح في تصوره للفكر الاجتماعى المناسب لبلاده) .

٣ - وكانت دعوته الى ما يمكن أن نسميه « تنمية اجتماعية واقتصادية » تقودها الطبقة الوسطى التى هى قائدة البعث القومى الإسلامى في الهند .

٤ - وفي الأرض الزراعية كان داعية لتنظيم العلاقة بين الملاك والمستأجرين ، تخفيفا للمظالم وليس استئصالا لها .. مع ترك الملكيات العقارية الضخمة القديمة على حالها اذا لم نتأكد من انتفاء الشرعية والمشروعية على سبيل امتلاكها ، الا اذا اخلت بتوازن النظام الاقتصادى، فيجوز اجراء اصلاح زراعى تحدد فيه حدود قصوى للملكية .. على أن يكون ذلك مؤقتا يتم التراجع عنه اذا انتفى الاختلال في توازن النظام الاقتصادى .. فالأصل عنده : اطلاق حرية التملك مادام مشروعا .

● **ونيار من تيارات الصحة الإسلامية** يقرر في دستوره للمرأة — من بين ما يقرر : « للمرأة الحق في أن تزاول التجارة والصناعة والزراعة ، وأن تتولى العقود والمعاملات .. وبجواز للمرأة أن تعين في وظائف الدولة ، ومناصب القضاء ما عدا محاكم المظالم ، وأن تنتخب وتنتخب في مجلس الشورى ، وأن تشترك في انتخاب الخليفة ومبايعته .

● **وقبل هذا وذاك** قال أمام التجديد والاجتهاد الإسلامي الحديث الشيخ محمد عبده : « **ان الرجل والمرأة كفتان متماثلان في الحقوق والأعمال كما انهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل** » ..

وليس كما قال المودودي — مختلفين في كل شيء عدا الأدمية (الإنسانية) .

وعن « **القوامة** » — التي رآها المودودي « **تبعية تجعل حرية إرادة المرأة واختيارها أدنى منها عند الرجل** » — يقول الإمام محمد عبده — عن هذه « **القوامة** » أنها درجة من درجات القيادة والرئاسة « **يتصرف فيها المرءوس بأمره واختياره .. فالمرأة من الرجل والرجل من المرأة بمنزلة الأعضاء من بدن الشخص الواحد ، فالرجل بمنزلة الرأس والمرأة بمنزلة البدن ..** » ان القوامة التي للرجل على المرأة عندما توجب على المرأة شيئاً غانها توجب على الرجل أشياء .

وهكذا انها رؤى .. واجتهادات .. يدخل بعضها في الاجتهاد والتجديد .. ويقف بعضها عند حدود « **التخلف الموروث** » .

أهل الذمة :

صورة « **أهل الذمة** » في فكر المودودي : **أقوام آخرون مغايرون للقومية الإسلامية في السمات الحضارية التي تمايز بين القوميات ..** لا يجمعهم بالمسلمين « **أى وحدة مادية ودينية تجعلهم سويًا قوماً واحداً ..** » وهى كما نرى خصوصية تميز بها الواقع الذى فكر له المودودي وصاغ لشكلاته الطول الإسلامية المناسبة لخصائصه .. ولا وجه للشبه بين هذه الخصوصية المتميزة « **بالتعددية القومية** » وبين حال الأمة العربية التى وحدتها سمات وقسمات القومية العربية مع تمايز الاعتقاد الدينى . كما

ان الأستاذ المودودي — وهذا موطن الخطأ في فكره عن المرأة — يخطئ في فهم « **مضمون** » **قوامة الرجل على المرأة** و « **دائرة** » هذه **القوامة** و « **نطاقها** » .. فالقوامة هى « **درجة في سلم القيادة** » وليست كل هذا السلم .. فهى لا تطفى دور المرأة ، وانما تعطى الرجل درجة أعلى بين ارادات قائدته وليس في فراغ من الارادات القائدة .

وفي قضية « **الحجاب** » .. يتسم فكر الأستاذ المودودي بالغلو ايضا فهو يرى أن الأصل والحكم الإسلامى هو « **حجب** » المرأة بالمنزل الا للضرورة القصوى — ولقد رأينا ان ما أباحه الإسلام للمرأة من ضروب الأعمال الدنيوية يستحيل النهوض به وهى « **محجوبة** » بالمنزل — وهو يستدل على وجوب ملازمة المرأة المسلمة منزلها بتعميمه الأمر والحكم في الآية الكريمة من سورة الأحزاب :

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى

الأحزاب : ٣٣

وينفى الاعتراض القائل بأن هذه الآية وحكمها خاصتان بنساء النبى — صلى الله عليه وسلم — فيقول : « **وهل كان بنساء النبى عزرا دون سائر النساء لا يدعهن يقمن بالأمور خارج البيت** » .

تلك هى نظرة الأستاذ المودودي للمرأة المسلمة ومكانها ومكانتها في المجتمع الإسلامى .. وهى نظرة في جملتها من بقايا « **التخلف الموروث** » والذى نسب — زورا وبهتانا — الى الإسلام .. وليست التعبير بأى حال من الأحوال عن جوهر فكر الإسلام في هذا الموضوع ويشهد على ذلك أن هناك رؤى مغايرة لهذه الرؤية قدمها اعلام كثيرون في حركة الاجتهاد والتجديد والصحة الإسلامية المعاصرة .

● **فداعية إسلامى** يتحدث عن موقف المودودي هذا فيتعجب قائلاً : وما لا يكاد يصدق أن يذهب مفكر إسلامى معاصر كالمودودي الى التمسك بالحجاب (بمعنى نقاب الوجه) كأصل من الأصول الإسلامية أو حتى كأدب أو عرف من آداب وأعراف الإسلام .

أحيائه خالصا محضا على قدر الامكان .
تجديدا يحى ويعيث العقلية الإسلامية كنشاط
في التفكير والنظر للكون والمجتمع من جديد .

● تجديدا يتجاوز علوم الدين الى شئون
الدنيا وعلومها وفنونها ، وذلك باستخلاص كليات
الدين ، والنظر الى مستحدثات العصر في اطارها
وضوئها واعادة النظر في ملامح التبدل الإسلامي
القديم — لتكتحل للمجتمع المسلم ادوات الرقي
بالشريعة المتطورة الراقية ... « فالاجتهاد في
الدين يعني : ان يفهم المجدد كليات الدين —
ويتبين اتجاه الأوضاع المدنية والرقى العمراني
في عصره ويرسم طريقا لادخال التغيير والتعديل
على صورة التهدن القديم المتوارثة ، يضمن
للشريعة روحها وتحقيق مقاصدها ويمكن
الإسلام من الامامة العالمية في رقى المدنية
الصحيح » .

● ثم الانطلاق بهذه « الثورة الثقافية
الإسلامية » بواسطة « الجهاد الإسلامي » من
« القطر الواحد » الى « الافكار الإسلامية » ثم
الى « العالم » كله .. « ليتولى الاسلام امامة
العالم ورئاسته في الأخلاق والأفكار والسياسة » .
وتلك مهام لا يستطيع النهوض بها والوفاء
بمتطلباتها مجتهد تقف جهوده عند حلقة علمية ..
او كاتب يقف اجتهاده عند التأليف والنشر
لاجتهاداته على الناس .

فالطوب هو : تجديد يخلص الإسلام من
الجاهلية القديمة .. واجتهاد يدع للحاضر
والمستقبل على هدى من الكتاب والسنة « دون
تقيد بمآثر أحد بعينه من المجتهدين الماضين ، او
انحصار في طريقه ومنهجه دون غيره » ودون
رفض لكل مآثر الماضين ومنهجهم .. ثم تجسيد
هذا الاسلام الخالص في « تنظيم » ليتحول
« بنضال » هذا « التنظيم » الى مجتمع إسلامي
جديد نبنيه على انقاض المجتمعات « الجاهلية —
المرتدة » المعاصرة .. ثم نحمل هذا النموذج
في « الحاكمية الإسلامية » بـ « الجهاد
الإسلامي » الذي يقوض كل النظم والحكومات
على امتداد ارض الله فنقيم هذه الحاكمية الالهية
مكان حاكمية الانسان .

عزيزي القارئ :

هكذا فكر وقدر .. وحلم وتخيل العلامة
الأستاذ المودودي .. عليه رحمة الله .
والى لقاء مع كتاب جديد من ذخائر المكتبة
الإسلامية باذن الله .

ربطت وشائج الاسلام اغلبيتها المسلمة بالأقليات
القومية غير العربية .. من مثل البربر والاكراذ ..
فنحن هنا بازاء قومية واحدة .. تمثل الحضارة
الإسلامية رباطها الجامع والقانون الإسلامي
شريعته المدنية ولا اثر للتعديدية في العقائد
الروحية لدى المسيحيين العرب على وحدة الأمة
الكاملة في شئون الدنيا والدولة والعمران .
ومرة أخرى يؤكد الأستاذ الكاتب ونحن معه أنه
تجب قراءة فكر المودودي عن « اهل الذمة » في
ضوء خصوصية القومية ، وتميز واقعهم عن
الواقع القوي للأمة العربية .. فلقد كان غياب
هذه البديهة مصدرا لكثير من الخط والبلبلة ،
زرعها الذين ينتزعون النصوص دون دراية ،
ويتعبدون بها — وهى فكر سياسى لا قداسة له
ولا عموم — في واقع عربى مخالف للواقع الهندى
في هذه القضية تمام الاختلاف .

طريق البعث الإسلامي :

والآن .. وبعد ان طوفنا مع الأستاذ المودودي
فعرضنا لفكره ونضاله — بعد ان كثفنا مسيرة
حياته — قد وضحت لنا معالم الاضافة الفكرية
التي صنعها الرجل وأضافها الى معالم طريق
البعث الإسلامي الحديث .. وراينا ان السبيل
الوحيد لفهم حقيقة المودودي وفكره مراميه هو
قراءته وتفسيره وتقييمه ، وأيضا نعهده في ضوء
خصوصية الواقع الذي فكر وكتب وخطب وناضل
فيه .. ففى هذا الاطار وحده يمكن اكتشاف
عظمة المودودي كمجدد ومجتهد .. اما انتزاع
نصوصه من اطار خصوصيتها فهو الذى الحق
الظلم العظيم بهذا المناضل الصلب والفكر
العظيم .. فكثير من نصوصه وصياغاته تلعب
دورا سلبيا عندما توظف في مناخ مغاير ،
وتزكى روح الفلو في صفوف الجماعات الإسلامية
التي تتخذها منهجا في واقع غير الذى افرزها ،
وازاء مشكلات مغايرة لتلك التي صيغت كحلول
لها .. لكنها في اطار خصوصيتها تنم عن قدرات
صاحبها حتى لو اختلف معه آخرون .

لقد اراد المودودي بما ابدع على درب الصحوة
الإسلامية المعاصرة :

● تجديد يتجاوز « الفكر » الى « النضال »
لوضع هذا « الفكر » في « التطبيق » .

● تجديد لايهادن « الجاهلية » ولا يسألها ..
ولا يأتى بخلط جديد من الاسلام والجاهلية الغربية
الحديثة .. بل يسعى الى « تنقية الاسلام من
كل جزء من اجزاء الجاهلية .. والى العمل على

أخبار لقاءات

✽ الحفل الختامي لمؤتمر أبي بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامي
بالاسكندرية .

✽ برقية شكر وتقدير يبعث بها أبناء العالم الاسلامي الى الرئيس مبارك

✽ عزاء وزارة الاوقاف في وفاة الرئيس الباكستاني الراحل
ضياء الحق .

✽ علماء الاسلام والطب والقانون في ندوة حول المخدرات .

إعداد
الدكتور محمد بن عبد الله بن سالم
مدير إيسومي

• الحفل الختامي •

لمؤتمر أبي بكر الصديق لأبناء العالم الإسلامي بالإسكندرية

• الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء :

• مصر ستظل تؤدي دورها في سانة كل قضايا الإسلام والمسلمين في العالم

• الدكتور محمد علي محبوب وزير الأوقاف :

• الإسلام دينه المحرق والحرية يرفض التعصب والمقد والإرهاب.

• الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية :

• الشباب يأتي إلى مصر لتعلم الثقافة الإسلامية الصحيحة
الخالية من الاخراف .

أكد الدكتور عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية في الحفل الختامي لمعسكر أبي بكر الصديق لأبناء العالم الإسلامي بالإسكندرية أن مصر قاعدة إسلامية وستظل تعمل من أجل مساندة قضايا الإسلام والمسلمين في كل بلدان العالم دون النظر إلى الجنسيات . كما أن مصر تعمل جاهدة من أجل القيام بدورها تجاه العالم الإسلامي من خلال وزارة الخارجية بالتعاون مع الأزهر والأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

وأضاف سيادته أنني لسعيد حقاً أن التقى بشباب العالم الإسلامي من جميع الدول الذين حضروا مصر ليتسلحوا بسلاح العلم ، والثقافة الإسلامية وهو أقوى سلاح وخير أمان وسلام للإسلام والمسلمين .

وأضاف سيادته أن تجمع أبناء العالم الإسلامي في معسكر أبي بكر الصديق على أرض مصر يمثل الوحدة الإسلامية في أبي صورها .

وفي ختام كلمة الدكتور عصمت عبد المجيد قال أنه سينقل إلى الرئيس محمد حسني مبارك تحيات أبناء العالم الإسلامي وشكرهم وتقديرهم لسيادته لما يقوم به من دور رائد لنصرة قضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان .

• عظمة الإسلام في الحب والتسامح والمساواة بين أبنائه :

— وأعلن الدكتور محمد علي محبوب وزير الأوقاف أن مصر تستقبل أبناء العالم الإسلامي على أرضها كي تفرس في نفوسهم عظمة الإسلام وأسمى معانيه ، وأن مصر تفتح ذراعيها وقلوبها لتحضنهم رمزا للوحدة والاخوة الإسلامية .



نائب رئيس الوزراء ووزير
الأوقاف ومفتى الجمهورية وأمين
عام المجلس الأعلى للتسنون
الإسلامية أثناء الحفل الختامي
لمؤتمر أبى بكر الصديق لابتداء
العالم الإسلامى .

— وقال وزير الأوقاف ان الإسلام دين الحقوق والحريات أرسى قواعد حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً من الزمان ، صان فيها كل الحريات الشخصية والاجتماعية والانسانية ، وسطر على مسمع من الزمان هذا المبدأ العام « كلكم لآدم وآدم من تراب ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، فالإسلام حب وبسلام وتسامح لا يعرف الارهاب ، صان لكل ذى حق حقه واحتضن كل الأديان وحافظ عليها .

— وطالب الوزير ابتداء العالم الإسلامى ان ينشروا بين المسلمين عظمة الإسلام فى الحب والتسامح وقال : ان ارادة الله شاعت ان تكون مصر حاملة لواء الإسلام مدافعة عن قضايا مع اشقائها من أمة العروبة والإسلام، الإسلام الذى جاء فوحد بين القلوب جميعا ، واختفت كل الجنسيات ولم تبقى الا جنسية واحدة هى جنسية الإسلام التى عبر عنها سلمان الفارسى حين سئل ذات يوم انت ابن من ؟ لم يقل انا ابن آسيا ولا افريقيا وانما قال انا ابن الإسلام ، اشرف نسب وأعظم انتساب .

وقال وزير الأوقاف لقد شاء القدر ان يكون لقاء آخر اعمال مؤتمر شباب العالم الإسلامى بالاسكندرية على ارض مصر ، مع مطلع العام الهجرى الجديد ، ومع انعقاد المؤتمر الإسلامى العالمى الكبير فى موسم الحج هذا العام ، حيث التقت القلوب والجوارح واختفى كل شيء وتلاشى ، ولم يبق الا شيء واحد وهو العبودية لله الواحد القهار ، فالجميع انتظم عقده تحت لواء الأمة الإسلامية وعلم الأخوة الإسلامية .

● نشر الثقافة الإسلامية بعيداً عن التطرف والانحرافات ..

وأعلن فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ان شباب العالم الإسلامى جاء الى مصر ويجتمع فى معسكر أبى بكر الصديق لى ينهلوا من العلم النافع ويعودوا الى بلادهم ليكونوا رسلاً يلقون دعوة الإسلام وينشرونها فى بلادهم .

واضاف ان المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ووزارة الأوقاف تحتضنان شباب العالم الإسلامي ليتعلموا الثقافة الإسلامية الصحيحة الخالية من التطرف والانحرافات وفي ذلك خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . وقال ان من يتلقون العلم لكي ينشروه بين الناس لن يقلوا منزلة عند الله عز وجل عن الذين يضحون بأهوالهم وانفسهم في سبيل اعداء كلمة الله ، والقرآن الكريم يشير الى هذا المعنى في قوله عز وجل « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

وهنا يعمل المؤمنون في قسمين ، قسم يقاتل الأعداء اذا كان في هذا القسم الكفاية لدرج الأعداء ، وقسم آخر ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها لكي يعلم الناس ويفقههم ويرشداهم الى دين الله . وهذا ما جاء في الحديث الشريف : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ، والله معطي وماتزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي وعد الله) .

وقال الدكتور محمد سيد طنطاوي انه من بين الطالع ان يسمى معسكر شباب العالم الإسلامي بمعسكر ابي بكر الصديق ، وهذا يذكرنا بماثر فضائل سيدنا ابي بكر وعلى رأس هذه المآثر والمناقب انه كان سباقا الى كل مكرمة .

د . جمال الدين محمود :

● المعسكر يهدف الى توحيد الفكر والثقافة وتحقيق رسالة الاسلام ..

واعان الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ان معسكر ابي بكر الصديق يهدف الى توحيد الفكر والثقافة والشعور والوجدان بين أبناء العالم الإسلامي . وقال ان الله اعطى لمصر مكانتها وحافظ عليها شعب مصر طوال التاريخ فكانت فجرا للحضارة الإنسانية ، وكانت الشمس المشرقة في سماء الاسلام ، وتقاسمت مع العالم الإسلامي منذ مئات السنين كل رخائه وشدهته ، وكان لها دور في الثقافة ، وظل هذا الدور حيا بفضل الأزهر والجامعات المصرية والسياسة المستقرة الثابتة لمصر رئيسا وحكومة

وشعبا ، و اضاف الدكتور جمال الدين محمود ان مصر تستطيع ان تمد العالم الإسلامي في افريقيا وآسيا بمفاخر الاسلام ، وان ترد كيد المعتدين عن العالم الإسلامي كله ، فقد ساهمت وتساهم الى حد كبير في مساندة قضايا التحرر والاستقلال وأهداف الاسلام .

وقال : ان اجتماع شباب العالم الإسلامي كله في مدينة ابي بكر الصديق يعبر عن رغبة مصر في ان تكون دائما على صلة بابناء آسيا وافريقيا وابناء العالم الإسلامي ويؤكد ان مصر لن ترد تحت كل الظروف في القيام بدورها الثقافي ولن تبخل مطلقا بما تستطيع ان تقدمه لابناء العالم الإسلامي وهو ما نعتبره رامة واحدة ، قلبها مصر وجناحها في افريقيا وآسيا .

وطالب ابناء العالم الإسلامي ان يكونوا سفراء لبلادهم ، وان ينشروا مبادئ الاسلام وقيمه التي تعلوها في مصر كما ان الاسلام يدعو الى التكافؤ الاجتماعي ، والعمل من اجل الوطن ونشر كل القيم والأهداف النبيلة في الحياة .

● مصر ترحب دائما بابناء العالم الإسلامي ..

ورحب المستشار السيد اسماعيل الجوسقي محافظ الاسكندرية بشباب العالم الإسلامي على ارض الاسكندرية في معسكر ابي بكر الصديق الذي يحمل اسما من أشرف الأسماء والذي قدم الدليل على أن الإيمان بالعقيدة يدفع الإنسان دائما الى تقديم المزيد من العطاء .

وقال اننا نفخر دائما بان تكون مصر العربية الإسلامية ملتقى للاسلام والمسلمين ، ترحب بابناء الاسلام دائما على أرضها تحقيقا للاخوة بينهم .

• شباب أفريقيا •

المحور الخامس واحد .

وقدم الطالب محمد حاج محمد من جزر القمر باسم شباب أفريقيا عظيم شكرهم وتقديرهم للرئيس محمد حسنى مبارك الذى يعمل لخدمة القضايا الافريقية وعلى اهتمام سيادته بالشعوب الاسلامية وحسن رعايته وعنايته ببناء العالم الاسلامى وقال :

اننا فى مصر نشعر باننا فى وطننا وعلى ارضنا وبين اهلنا لانه لا جنسية بين المسلمين غير جنسية الاسلام ، ومن فضل الله علينا أننا نعيش على ارض مصر العلم والثقافة وبلد الأزهر الشريف والحضارة من آلاف السنين ، وان تاريخ السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لحافل بالمواقف المشرفة فى الدفاع عن افريقيا .

ونحن ابناء العالم الاسلامى نؤمن ان مصر هى قلب الامة الاسلامية وان مصر هى صانعة الحضارة من قديم الزمان وانها كعبة العلم ففيها الأزهر الشريف والجامعات المصرية والمعاهد العليا ودور التعليم المختلفة التى تقوم بتربية الشباب المسلم وثقافته . ومصر هى أمل الشعوب الاسلامية بعلمائها ورجالها وحضارتها وانجازاتها المعاصرة .

ونحن اذا عدنا الى بلادنا بعد تخرجنا من الجامعات المصرية سنتل قلوبنا معلقة بمصر التى تعلمنا فيها ، ونعاهدكم ان نعمل بعد عودتنا الى نعلم ابناء وطننا وندفع بمجتمعنا الى ركب الحضارة الاسلامية .

• شباب آسيا •

المحور مدسة اسلامية لتربية الشباب

والقى الطالب احمد تقى الدين من اندونيسيا كلمة نيابة عن شباب آسيا رحب فيها بكل القائمين على خدمة ورعاية الشباب فى المعسكر وقال :

انه لمن دواعى سرورى وفخرى ان اشارك واساهم فى هذا الجمع الكريم ويحق لكل شاب ان يفرح ويفخر بوجوده فى هذا المعسكر الذى هو مفخرة لمصر العربية الاسلامية ، حيث يجد الشباب كل الرعاية والعطف والحب من كل العاملين والقائمين على المعسكر ، الذين يقدمون لنا كل ما نحتاجه من علم ومعرفة بكل قضايا المعاصرة ولا غرابه فى هذا فمصر هى مهد الحضارة ، وبلد المعرفة والثقافة ، وكفاحها من اجل الحرية انار الطريق امام شعوب آسيا وافريقيا وستظل مصر الاسلامية بعلمائها ورجالها تحت قيادة الرئيس محمد حسنى مبارك نبعا يفيض بالثقافة والمبادئ السامية على العالم الاسلامى شرقه وغربه شماله وجنوبه .

ان هذا المعسكر يعد مدرسة اسلامية كبرى لتربية الشباب فعلى نحن الشباب ان نهتم بما نحصله من علوم وآداب اسلامية ليكون ذلك دافعا نحو التقدم والرقى عندما نعود الى اوطاننا لنبدأ نشر وتعليم ما تعلمناه هنا فى مصر الحبيبة التى ستظل المنبع والامل لكل طالب للحرية والمعرفة .

• شباب أوروبا •

المعسكر يوفر الرعاية الاجتماعية والثقافية والعلوم النافعة لأبناء اليسلم

واعرب الطالب خليل حسين اشكودر ، من تركيا نيابة عن شباب أوروبا المسلم عن شكرهم لمصر على اتاحتها لهم الفرصة في التعليم بجامعة مصر والأزهر الشريف ، واقامة معسكر ابي بكر الصديق لشباب العالم الاسلامي وقال :

نشكر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية على حسن ضيافته ورعايته لأبناء العالم الاسلامي الذين يدرسون في الأزهر الشريف والجامعات المصرية والمعاهد العليا .

واضاف : اننا في هذا المعسكر نشعر باننا بين اهلينا وذوينا على ارضنا لأن مصر تقدم هذا العمل الرائع العظيم لتوفير الرعاية الاجتماعية لشباب العالم الاسلامي بقضاء وقت فراغه فيما ينفعه بما هو مفيد حيث تلقى المحاضرات والدروس في الندوات من كبار رجال الفكر والعلم والأدب والمعرفة .

اننا ندعو الله تعالى أن يوفق السيد الرئيس محمد حسني مبارك ويبارك له في كل خطواته ، نصيرا للإسلام والحرية والديمقراطية ، عاشت مصر حصنا منيعا للإسلام والمسلمين في شتى بقاع الأرض .

• فتيات المعسكر •

الفتيات يبذلن قصارى جهدهن ليكنن مثلاً أعلى للفتاة المسلمة

وطالبت الطالبة مزيه معتصم حسن من اندونيسيا والتي تحدثت نيابة عن فتيات المعسكر ، فقالت ان الفتيات ينهلن من العلم والثقافة الإسلامية حتى اذا رجعن الى بلادهن كن خير رسل ودعاة لقومهن وحصنا ضد التيارات الهدامة . وقالت :

لقد اجتمعنا في معسكر ابي بكر الصديق كمادتنا كل عام، لكي ننهل من بحور العلم والمعرفة الإسلامية حتى اذا رجعنا الى بلادنا كن خير رسل ودعاة لقومنا تحقيقا لقوله تعالى : « خلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

انني باسم فتيات المعسكر اشكر القائمين على هذا المعسكر الذين اتاحوا لنا فرصة اللقاء في هذا المؤتمر الكبير وما قدموه من خدمات جليلة ومحافظة علينا ومعاملة تشعرنا باننا بين اهلينا .

ولقد كان المعسكر فرصة طيبة للتعارف والتآلف وتبادل المعرفة ولذا يجب علينا بذل قصارى جهدنا طوال وجودنا في مصر للتزود بالثقافة الإسلامية والمعرفة لتكون بحق خير فتيات الأمة الإسلامية ونكون جميعا حصنا ودرعا ضد التيارات الهدامة للأمة والشعوب ، ومثلا أعلى للفتاة المسلمة .



يبحث بها أبناء
العالم
الإسلامي
لك

الرئيس
محمد حسني مبارك

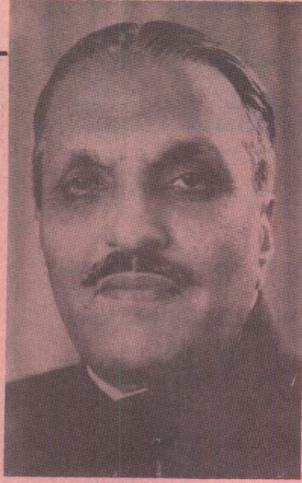
بعث أبناء العالم الإسلامي في معسكر أبي بكر الصديق الذي يضم ١٥٠٠ شاب
وفتاة من ٧٥ دولة بريقة شكر وتقدير إلى السيد الرئيس محمد حسني مبارك رئيس
جمهورية مصر العربية هذا نصها :

السيد الرئيس محمد حسني مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

مؤتمر شباب العالم الإسلامي بمعسكر أبي بكر الصديق الذي يقبّه
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالاسكندرية يبعثون لسيادتكم باخلص آيات الشكر
والتقدير لكبر رعايتكم لأبناء العالم الإسلامي والتي لها أبلغ الأثر في نفوسهم وهم يعبرون
عن حبهم وتقديرهم لسيادتكم ولدور مصر القيادي والريادي في نشر الدعوة والثقافة
الإسلامية في ربوع العالم الإسلامي وفقكم الله لخدمة الأمة الإسلامية وسدد في طريق
الحق والخير خطاكم .

انه نعم المولى ونعم النصير .

شباب العالم الإسلامي
بمعسكر أبي بكر الصديق



وزير الأوقاف

• نحن لا ننسى للرئيس الراحل ضياء الحق
دوره الرائد والبارز في الحركة الإسلامية
وعودة مصر الى منظمة المؤتمر الإسلامي

• مصرع الرئيس الباكستاني
أرمي قلوبا في مصر .. والعالم
الإسلامي .

• نحن لا ننسى للرئيس الراحل ضياء الحق دوره الرائد والبارز في الحركة الإسلامية وعودة
مصر الى منظمة المؤتمر الإسلامي ..

• مصرع الرئيس الباكستاني أدمي قلوب المسلمين في مصر والعالم الإسلامي ..
أعلن الدكتور محمد علي محبوب وزير الأوقاف أن حادث مصرع الرئيس الباكستاني
محمد ضياء الحق أدمي قلوب المسلمين في كل بقاع الأرض بصفة عامة وفي مصر بصفة
خاصة ، وقال : اننا نكن له كل الأعزاز والتقدير ، وكنا نعلق عليه الآمال الكبار في دوره
الرائد والبارز في الحركة الإسلامية .

• جاء هذا في لقاء الدكتور محبوب بشباب العالم الإسلامي في معسكر أبي بكر الصديق
بالإسكندرية والذي يضم ١٥٠٠ شاب وفتاة من ٧٥ دولة ، والذي يقيمه المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية صيف كل عام .

• وأضاف وزير الأوقاف : أن الفقد الراحل كانت له وقفاته المشرفة لمصر ومع ابنائها في
عودتها الى منظمة المؤتمر الإسلامي ، ولقد شاء القدر أن يذهب هذا الرجل شهيدا ،
وخسرت بذلك الحركة الإسلامية وفقدت قائدا من ابرع قوادها وزعيما من خيرة زعمائها .

• وقال وزير الأوقاف اننا لا ننسى ولا ينسى العالم الإسلامي يوم أن زاره فضيلة شيخ الأزهر
وأمر المغفور له الرئيس ضياء الحق أن يذهب بنفسه لاستقبله في المطار ، ورغم ما قيل له من
أن البروتوكول يمنع ذلك ، لأن رئيس الدولة لا يستقبل في المطار إلا رؤساء الدول ، فكان
رده الإسلامي الحاسم أن العالم به مئات من رؤساء الدول وليس فيه إلا شيخ واحد للأزهر ،
واستقبل شيخ الأزهر تكريما للإسلام والمسلمين .

• وأضاف الدكتور محبوب : لقد قابلت هذا الرجل في عام ١٩٨٠ ، حين كنت ضمن وفد مصر
في زيارة رسمية لباكستان ممثلا لبرلماننا . ومنذ أن وصل الوفد المصري — وكانت هناك مقاطعة
عربية من بعض الدول الأتشفاء اثر معاهدة السلام المصرية — وبمجرد أن وصل الوفد المصري
الى اسلا آباد في الساعة الرابعة بعد الظهر ، وكانت حرارة الجو في اسلا آباد لا تطاق ،
الا أن خلق الرجل وتواضعه الإسلامي أبى الا أن يقابل الوفد المصري فور وصوله بساعة وذهبنا
اليه في مسكنه المتواضع فاستقبلنا على الباب وجلسنا في حديقة منزله ودار حديث طويل حول
شئون المسلمين ومشكلاتهم وسبل دعمها .

• وكما أثر فينا ونحن نغادر منزله أن اصر على أن يقف على أمام سيارات الوفد حتى
انطلقت وهو يودعنا واقفا أمام ابواب هذه السيارات .
حقا أنه خلق كريم لحاكم مسلم كريم واننا لا نملك أمام قضاء الله تعالى الا أن نقول لله
ما أعطى والله ما أخذ وانا لله وانا اليه راجعون .

علماء الإسلام والطب والقانون في ندوة حول المخدرات وأثرها الضار على الفرد والمجتمع

• الأمة الإسلامية تتعرض لمؤامرات وفتن تريد النيل من الشباب وتحطيمه.

• الإعدام لتجار المخدرات حكم عادل وراعي لحماية المجتمع من الإدمان

• كتب منير بيومي

على مدى ثلاث ساعات شهد معسكر ابي بكر الصديق لأبناء العالم الاسلامي بالاسكندرية حوارا مع الشباب حول المخدرات والمسكرات وحكم تناولها في الاسلام . أكد الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف ان الأمة الاسلامية من اقصاها الى اقصاها تتعرض هذه الأيام لمؤامرات وفتن توجه اليها في اغلى واعز ما تملك وهم الشباب ، تريد تدميره وتحطيمه في صحته ونفسه وعقله .

واضاف وزير الاوقاف انه اذا كان بناء الامم لا يقوم الا على عائق الشباب فمستحيل ان تبني امة على عائق شباب محطم أو ممزق ومنهار وانما الامم القوية بينها الشباب القوى في عقيدته ومبادئه وذاته وصحته .

وطالب الدكتور محمد سيد طنطاوي مفتي الجمهورية بتنفيذ حكم الاعدام لمن يتاجر بالمخدرات ، وقال : ان هذا الحكم يجب ان ينفذ وتسأل ؟ اى فساد في الأرض أشد من ان نرى شبابا ذبلت صحتهم ، وان نرى آباء تحطبت بيوتهم وان نرى أمهات يرون اولادهم وبناتهم وهم ضحايا تلك السموم ، اى فساد في الأرض من ان نرى ملايين الجنيهات تنفق وتضيع في شراء تلك السموم التي يعود ثمنها علينا بالقنابل والمدافع وتوجيه الضربات .

وأكد الدكتور جمال ماضى أبو العزائم استاذ الصحة النفسية على ضرورة تواجد الدعاة في ميدان الصحة النفسية ومراكز علاج الادمان ، وان هذا يعد تطورا جديدا في هذا المجال لأن تواجد رجل الدين وسط الفريق المعالج ليس للادمان فقط وانما لعلاج كثير مما يعاني منه المجتمع من القلق والاكتئاب بأنواعه المختلفة ، ذلك لأن المريض يحتاج الى الطبيب وهو الحكيم الذى يستطيع ان يتحدث بلفه تصل الى النفوس .

• على العلماء التحرك السريع ليوضحوا للشباب ان المخدرات والسموم البيضاء لا تقل جميعا عن الخمر .

أكد الدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف في كلمته ان الشباب يتعرض اليوم لحمالات تستهدف النيل منه والقضاء عليه ، ولذلك فان وزارة الاوقاف ودار الافتاء تتحركان بخطى سريعة واسعة في داخل البلاد بطولها وعرضها لتوجه الشباب وتبصرهم وتنير لهم الطريق وتحذرهم من خطر الادمان الذى أصبح مستشرياً ليس في مصر وحدها وانما في شباب العالم الاسلامي كله ، يحطم الشباب ويمزقه ولا يتركه الا جثة هامدة .

وقال : ان لقاء العلماء وهم يتوجهون الى الشباب هدفه انقاذهم من هذا الخطر وطالب الدعاة والعلماء والأطباء في كل بقاع العالم الاسلامي ان يوضحوا للشباب هذا الخطر الذى دبره الأعداء ووجهوه الى الشباب ، تارة في القضايا الدينية الخلاقية لشغل الشباب وتمزيقه وتارة لازكاء النعرة القبلية والعصبية ليفتسوا الشباب أبناء المجتمع الواحد . وتارة أخرى بتحطيم الشباب نفسياً وفكرياً وصحياً بهذه الكميات الضخمة من المخدرات والسموم البيضاء التي لم تحدث في تاريخ مصر بهذه الكثافة وبهذه الخطورة ، وناشد وزير الاوقاف الدعاة ان يتحركوا بين الشباب ليوضحوا له ان المخدرات والسموم البيضاء لا تقل جرماً وضراً عن الخمر .

• شريعة الاسلام تحافظ على الضرورات الخمس



واضاف وزير الأوقاف ان شريعة الاسلام جاءت لتحافظ على الضرورات الخمس ، على العقل والنفس والمال والنسل والعرض وكل هذه هي مبادئ ومقاصد الاسلام فمن حاول تخريبها أو الاعتداء عليها فقد كفر بنعمة الله .

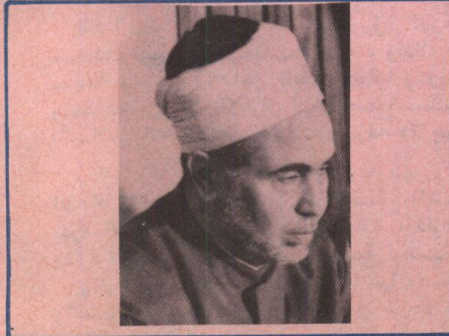
واعلن وزير الأوقاف ان الوزارة قد آثرت أن تتجه اتجاها جديدا في قوافلها إلى الشباب لتنبههم وتحذره من كائنة المخدرات والسموم البيضاء من خلال رأى الدين وعلم النفس والاجتماع .

• لا فرق بين حكم تناول الخمر والمخدرات والسموم البيضاء في الاسلام

حول زعم البعض بعدم تحريم الحشيش والأفيون أو ما شابهه مستندا إلى أنه لم يرد نص في القرآن يذكر ذلك صراحة ولا بالاسم . ويقولون : اننا عندما نقرأ القرآن الكريم فنجد تحريم الخمر تحريما قاطعا كما جاء في الآيات : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ويتساءلون اين الحديث عن الحشيش أو الأفيون أو الهيروين ؟ !

قال فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي ان هذا سؤال وجه الى ونقول لصاحبه ان الخمر التي نزل تحريمها في القرآن الكريم كانت موجودة في زمن الجاهلية ، في زمن النبي — صلى الله عليه وسلم — وكان الناس يستعملونها كما نستعمل نحن الماء الآن ، وأراد الله أن يحرمها ، وحرمها على مراحل . أما تلك السموم من حشيش أو أفيون أو هيروين وغيرها فقد جاءت شريعة الاسلام بأحكام عامة تجعل تلك السموم تندرج تحت تلك الحرمة ومن ذلك قول النبي — صلى الله عليه وسلم — « ما أسكر كثيره فقليله حرام » . إلى غير ذلك من الآثار والأحاديث التي نعرفها .

لماذا يرى الامام ابن تيمية ان المخدرات اشد حرمة من الخمر ؟ !



واضاف مفتي الجمهورية : عندما نقرأ الفتاوى التي قالها العلماء في شأن الحشيش والأفيون نجد ان اشد العلماء حكما على تلك المخدرات هو الامام ابن تيمية ، الذي يرى ان حرمة الحشيش اشد حرمة من الخمر ، ويرى ان حرمة الأفيون اشد حرمة من الخمر ، ذلك لأنه اشترك في الجيش الذي حارب التتار واكتوى بنار تلك الحروب ورأى أفراد أمته وهم يتساقطون نتيجة انتشار تلك المواد الخبيثة بين أفراد الجيش فاصدر هذا الحكم الرادع ، وهو ان الحشيش والأفيون حرمتها اشد من حرمة الخمر وأمر الحكام في زمانه أن ينزلوا اشد العقوبات بمن يشربون هذه السموم ، لأنه وجد ضرورها أمام عينيه . ورأى كيف ان التتار استطاعوا أن يبنوا تلك السموم بين أفراد الجيش وترتب عليه ان انتصروا على الجيوش في بلاد الشام .

• التآمر أدخلوا المخدرات إلى بصرنا واستخدموها في الحرب النفسية.

وعن ظهور المخدرات في البلاد العربية الإسلامية واستخدام الأعداء لها كسلاح ضد من يريدون محاربته وتدميره قال فضيلة المفتي : هل نعلم متى ظهر الحشيش والأفيون في بلادنا ؟ ! عندما نقرا التاريخ الإسلامي نجد أن هذه المخدرات لم تكن موجودة إطلاقا في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ولا في عهد الصحابة ولا في عهد الدولة الأموية ، ولم تظهر إلا مع ظهور التتار الذين جاءوا من أقصى الشرق مارين في طريقهم ببغداد واتجهوا بعد ذلك إلى بلاد الشام ، عندما نقرا تاريخهم نجد أنهم كانوا بارعين في الحرب النفسية بشتى صورها وألوانها ، ومن هذه الحروب النفسية التي استعملوها في قتال أعدائهم ، أنهم كانوا يبعثون الرسائل الطويلة ، ويقولون فيها لمن يريدون محاربته :

اننا قوم من الجن ولنا قوة ونستطيع أن نفعل الكثير عليك ايها العدو ان تستسلم قبل ان ناتي اليك ، وكانوا يرسلون هذه الخطابات الشديدة اللهجة المخيفة ، وهي موجودة في كتب التاريخ ذكر جانبها منها الامام ابن كثير في كتابه « البداية والنهاية » .

ولم يكتف التتار بتخويف أعدائهم بالخطابات بل راوا ان يرسلوا تلك المواد المخدرة من حشيش وأفيون عن طريق الجواسيس إلى من يريدون محاربته ، ويعملون على نشر هذه المخدرات في الجيش الذي يحاربونه ، وذلك قبل أن يحاربوه بفترة يختارونها ، فإذا ما انتشرت تلك المواد المخدرة في تلك الجيوش الذين يريدون محاربته أصبح الجيش نائما أكثر منه مستيقظا ، وسهل عليهم أن ينتصروا عليه ، وهذا ما حدث من التتار عندما دخلوا بغداد وعندما اتجهوا إلى بلاد الشام .

كيف انتصر الجيش المصرى على التتار

واضاف فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوى : لم يستطع ان يقف في وجه التتار الا الجيش المصرى بقيادة السلطان قطز ، وكان من اسباب هذا الانتصار انه بمجرد أن علم السلطان قطز وأعوانه بان هؤلاء القوم يستعملون سلاحا معينا هو سلاح الدعاية عن طريق نشر تلك السموم ، واخذوا يحذرون واخذوا يقتلون كل من ياتي من جواسيس هؤلاء القوم .

وقال فضيلة المفتي : بل نحن نقرا في التاريخ أن هولاكو عندما أرسل خطابه المشهور إلى السلطان قطز يقول له : عما دمره جيشه وأن عليه ان يستسلم — وكانت مصر هي القلعة الوحيدة أمام التتار ، ولكن السلطان قطز قبل ان يقرأ الخطاب الذى أرسله هولاكو قتل هذا الذى أرسله ، وأمر حاشيته ألا تقرأ هذا الخطاب حتى لا يفت في نفوس الجند ، وعرف أنهم يحاربون الجيش عن طريق تلك السموم والمخدرات فأخذ يحذر ويحذر ، وينزل أشد العقوبات بمن يعرف جاسوسا ويتستر عليه ، وبذلك المقاومة ، وبهذا الوعي والاعتماد على الله سبحانه وتعالى وبمباشرة الأسباب التي شرعها الله سبحانه وتعالى للنجاح ، التقى الجيش المصرى في موقعة عين جالوت بجيش التتار ، وتلك المعركة الرهيبة قاتل المسلمون فيها قتالا شديدا ، قاتلوا عدوا مكررا شرسا استطاع بانتصاراته السابقة أن يستعمل كل ألوان الحروب النفسية .

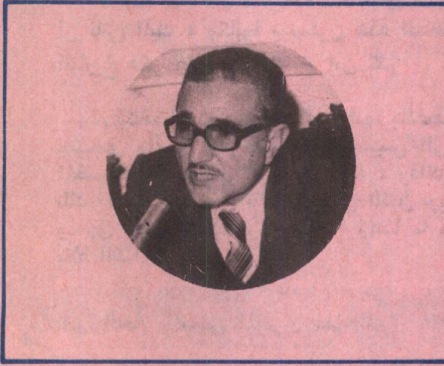
وعندما رأى قطز ان ميمنة هذا الجيش توشك ان تنكسر ما كان منه الا أن نزل عن جواده ومرغ وجهه في الأرض ونادى نداء المشهور « وا اسلاماه » وهذا النداء أعاد إلى القلوب ثباتها واستطاع بفضل الله عز وجل ان ينتصر على أعدائه .

اسلوب التكرار في النصيحة جاء به القرآن

ونائب فضيلة الدكتور محمد سيد طنطاوي العلماء الايموا من تكرار النصيح والارشاد لتوعية الافراد والجماعات من خطر هذه السموم وقال : نحن كدعاة لا نمل من التكرار في النصيحة والتحذير لأن هذا التكرار من شأنه أن يبينه الغافل وأن يوقظ النائم ، ومن شأنه أن يزيل الشبهات اذا ما التبتست في العقول ، وتلك وظيفة الدعاة خدمة للدين والأوطان والجماعات .

واضاف : ان التكرار في تذكير الناس بالحقائق اسلوب وجدناه في القرآن الكريم ، حين نقرأ آيات نجدتها تكرر القصة الواحدة مرة ومرة متعددة وهذا التكرار ليس عبثا ، وانما من اجل ان ترسخ المعاني في النفوس ، وقد فطن علماءنا بالفعل الى هذه الحقيقة .

• دور مصر والاهتمام بالقضايا التي تراجس الأمة الإسلامية.



اعلن الدكتور جمال الدين محمود الأمين العام لمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ان دور مصر لا يقتصر على تزويد الطلبة والطالبات بعلوم الدين أو الدنيا فقط لكنها ترعاهم ثقافيا واجتماعيا ، وهذه الرعاية لا تفعل ان تطرح أمامهم القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم : واطاف ان من أهم القضايا التي تواجه الأمة الإسلامية اليوم هي قضية بناء الانسان ، ومن القضايا التي تواجهها وتهتم بها الأمة الإسلامية هي قضية المخدرات والسموم البيضاء التي تطرح أمام الشباب لتدمره ، والتي تستهدف بالدرجة الأولى ان تصبح الأمة الإسلامية ضعيفة ومعطلة في اعز ما تملك وهو شبابها .

وقال الدكتور جمال الدين محمود ان التجارة المحرمة في هذه السموم التي تفك بالشباب وتعاني منها كثير من البلاد الإسلامية لا يقتصر اثرها على افراد او عشرات او مئات حين تستمر سنوات طويلة فان اثرها يهدم كيان الأمة الإسلامية كلها .

واكد ان شعب مصر يبذل كل جهد للقضاء على هذا الخطر الوافد الينا . وتتبنى وزارة الأوقاف بالتعاون مع الجهات المعنية بهذه القضية مواجهة هذا الخطر من خلال صفوف من العلماء والمتخصصين لانقاذ الشباب في العالم الإسلامي كله .

• المخدرات تؤثر على جهاز الجسم وتولد نسلا ضعيفا

وحول الآثار الضارة من الناحية الصحية على مدمني المخدرات قال الدكتور جمال ماضي ابو العزائم - لقد أجرى بحث في نيويورك - حيث تم اعطاء بعض الأسوياء - الحشيش - واخذوا منهم بعض الخلايا الجنسية ووضعت تحت الميكروسكوب يكبر حوالي ٧٠ ألف مرة فوجدوا ان هناك تأثيرا ضارا على هذه الخلايا نتيجة تناول الحشيش ، ووجدوا أنه ينتج نسلا ضعيفا في مستقبل حياة الانسان .

● التركيز على تواجد الرعاية في مراكز الصحة النفسية ومعالجة الإدمان.

ولذلك اذا قرأنا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ما أسكر كثيره فقليله حرام » يتبين لنا أن القليل ضار ويؤثر على الجسد السليم ، الجسد الذي يحس به الانسان ليتحرك ويسمع ويندوق ويشم به .

تليف الكبد بسبب السموم والمخدرات :

وأضاف الدكتور أبو العزائم أنه من الأضرار الناتجة عن تناول السموم البيضاء والمخدرات حدوث تليف في الكبد وقال أن الكبد يعتبر مركزا كيمياويا كبيرا فحين تدخل اليه السموم الناتجة عن الحشيش والأفيون يحولها الى ثاني أكسيد الكربون وماء لتحترق ، ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بنا أن السموم اذا دخلت عن طريق الفم تصل الى المعدة ثم الأمعاء ثم الدورة الدموية الصغرى بعيدا عن القلب ، ثم تدخل الى الكبد فتتكسد وتحترق ، ولكن لا ينبغي لنا ان نتناول هذه السموم بصورة مستمرة ، ويجب ان نعلم ان كل ما هو ضار فهو محرم .

ونجد أنه اذا كثرت هذه السموم التي تصل الى الكبد فإنه يتليف ويتلف فتنتشر السموم في الجسم وتصل الى المخ فيفقد الانسان توازنه وشعوره بذاته .

● العقاقير المخدرة كانت خطأ يستعمل في مجال الطب النفسي :

وحول علاج الأمراض النفسية والعصبية بالعقاقير المخدرة قال الدكتور جمال ماضي أبو العزائم . . لقد كان هناك خطأ شائع يستخدم في مجال علاج الأمراض النفسية والعصبية حيث بدأ الطب النفسي بعلاج كثير من الحالات بالمسكنات والمهدئات المخدرة التي كانت تأتي لنا من الخارج وهذا كان خطأ كبيرا في مجال الطب النفسي ، ولكن بدأت صحة التخدير من هذه العقاقير المخدرة ، ومن هنا بدأ الطب النفسي يمر مرورا سريعا الى تغيير جميع أوصافه وأوضاعه وبدأ الطبيب النفسي المسلم والداعية الديني الذي يعلم الكثير عن الصحة النفسية بدأ يعالج بأسلوب الحكمة وبدأ الأخصائي الاجتماعي المسلم الذي يستطيع ان ينفذ بكلماته الى قلوب الناس .

وهنا نجد أن الاسلام نعمة كبرى حظينا بها ممثلة في قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

● تطور مراكز علاج ومكافحة المخدرات :

حول تطور مراكز علاج الإدمان والصحة النفسية في مصر قال الدكتور جمال ماضي أبو العزائم ان أول عيادة أنشئت في مصر سنة ١٩٦٨ لعلاج ومكافحة تعاطي المخدرات وتم وضع نموذج لهذه العيادة . من خلال فريق علاجي مكون من الطبيب النفسي والمرشد الديني والمرشد الاجتماعي ، وأخذ عدد المترددين من المرضى يتزايد وكان لتواجد رجل الدين أثر كبير في العلاج ونجاحه حيث كانت الصلاة تقام مع المرضى والفريق المعالج . وكان المرضى يتحدثون عن الكلمات الجيدة الطيبة التي نكرها رجل الدين . وبدأ هذا الأسلوب العلاجي يجذب جموعا كبيرة من المرضى كانوا في غفلة عن العلاج ، وفي خلال ستة أشهر كان عدد المترددين على العيادة ستمائة شخص وفي السنة الثانية وصل الى حوالي ١٧٠٠ شخص جديد .

● قوة الإرادة والمزمنة والمناعة الربانية أقوى وسيلة لعلاج الإدمان.

وتم تطبيق العلاج على أربع مجموعات في عيادة بالعتبة وعيادة أخرى بمسجد - أبو العزايم - وأعطينا ثلاثة مجموعات عقاقير بالفعل أما المجموعة الرابعة فقد تم إعطاؤها دواء ليس بعقاقير وإنما عبارة عن حقنة ماء وقرص نشا ، وكان العلاج تحت إشراف السيد وزير الصحة وبدأنا نرى النتائج واكتشفنا حقيقة علمية نتيجة هذا البحث ووجدنا أن الذين أخذوا العلاج الطبي تساووا في نسبة النجاح مع المجموعة التي لم تأخذ علاجاً حيث كانوا يأخذون علاجاً من مواد عادية مثل الماء والنشأ وهم لا يعلمون بحقيقة هذا العلاج ورغم هذا كانوا يلحون على طلبه وقالوا أنهم حين يتناولونه يشعرون بالقوة والراحة النفسية . وفي بداية العلاج كانوا يشكون من الآلام ، وكنا نطلب منهم التمسك بالصبر ، ومع هذا الصبر الذي جعل جسم الإنسان يفرز مادة يخلقها الحق من على سطح مخ الإنسان لتعين هذا الإنسان الصابر المتالم ، وهنا نكتشف المناعة الربانية تتحقق في قوله تعالى : « وإذا مرضت فهو يشفين » نجد قوة وعظمة المناعة في جسم الإنسان الذي يسجد لله ويقول حقاً هذا هو الخالق العظيم .

وأضاف الدكتور أبو العزايم : في الواقع أن مسألة الثقة في العلاج هي علاج في حد ذاتها . فإذا وثق الإنسان في الحق عز وجل فإنه يغير هرموناته ، ويغير كرات دمه في جسده ويمنحه طاقة عظيمة وقوة هائلة .

وأشار إلى ضرورة التعاون بين أفراد الشعب والحكومة في محاربة المخدرات وقال : لابد من استعمال أسلوب الاقتناع ، فإذا اقتنع الإنسان فإنه سيتخلى عن كل ما هو ضار باصرار وقوة وعزيمة ، وإذا صبر الإنسان فإن الله سيعينه ويستطيع أن يعالج نفسه بالإرادة القوية دون اللجوء إلى الطبيب .

● المخدرات حقائق وأرقام :

حول معدل ضبط الكميات التي تم ضبطها على مراحل مختلفة على المستوى العالمي من المخدرات على اختلاف أنواعها أشار اللواء الدكتور فتحي عيد وكيل الإدارة العامة لمكافحة المخدرات ، إلى أن السنوات الأخيرة شهدت تضخماً كبيراً في مشكلة المخدرات وقال : إن وثائق هيئة الأمم المتحدة التي بدأت في تسجيل البيانات الإحصائية عن مضبوطات العالم من المخدرات اعتباراً من ١٩٤٧ تشير إلى زيادة رهيبية ، وعلى سبيل المثال نجد أن مجموعة الحشيش الناتج عن نبات القنب الهندي تم ضبط حوالي ٣٤٢ طناً منها سنوياً في الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٦٦ .

أما في الثمانينات فقد قفز هذا المعدل إلى ٩٥٠٠ طن سنوياً في الفترة الأخيرة . أما في سنة ١٩٨٤ فقد تم ضبط ٢٦٠٠٠ طن وهذا يوضح مدى خطورة المشكلة عالمياً ومحلياً .

أما الأفيون فقد كان معدل الضبط في الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٦٦ م ٤٢ طناً سنوياً ، وأعلى كمية تم ضبطها في سنة ١٩٨٣ كانت ٨٤ طناً .

● الهيروين طامة كبرى :

أما الهيروين فقد وصل معدل الضبط في الفترات الأولى ١٨٧ كيلو جراماً سنوياً وأعلى معدل لضبط الهيروين كان سنة ١٩٨٦ حيث تم ضبط ١٥ ونصف طن من الهيروين .

• مناطق انتاج المخدرات :

وعن مناطق انتاج المخدرات في العالم قال اللواء فتحى عيد — ان الحشيش يكثر انتاجه في لبنان وباكستان والهند والمغرب وأفغانستان وكولومبيا • أما الأفيون فيكثر انتاجه في منطقة الهلال الذهبى وهى منطقة أفغانستان وايران وباكستان ، ومنطقة الهلال الذهبى الأخرى في بورما ولاوس وتايلاند ، بالإضافة الى الهندولبنان والمكسيك • ومناطق انتاج الهيروين هى نفس مناطق انتاج الأفيون حيث يستخلص الهيروين من الأفيون في معامل خاصة •

مصر اول دولة اصدرت تشريع مكافحة المخدرات:

وحول دور مصر في مكافحة المخدرات قال اللواء فتحى عيد ان مصر اول دولة اصدرت تشريعا لمحاربة المخدرات • ففي مارس ١٨٧٩ صدر الأمر العالى يحرم زراعة الحشيش وحرم استيراده • كذلك انشأت مصر اول جهاز متخصص لمكافحة المخدرات في العالم • وقد انشئت الادارة العامة لمكافحة المخدرات في مصر سنة ١٩٢٠ ، وبعدها بسنة واحدة انشأت ألمانيا والولايات المتحدة جهازا متخصصا في مكافحة المخدرات •

واضاف : ان مصر من اول الدول التى دعت الى ادراج الحشيش تحت الرقابة الدولية ، وتؤكد ذلك وثائق المؤتمر الثانى للأفيون في عام ١٩٢٥ •

وقد امتازت الجهد التطوعى بالجهد الحكومى في مصر كاول دولة في مجال مكافحة المخدرات ، في الفترة بين الحربين الاولى والثانية •

ونجد ان مصر من اوائل الدول التى انشأت اماكن لعلاج المدمنين سنة ١٩٢٠ حيث أنشئ جناح خاص بذلك في مستشفى الأمراض العقلية • كما ان مصر من اول الدول التى دعت الى انشاء جهاز اقليمى للتنسيق بين اجهزة مكافحة المخدرات في الدول العربية سنة ١٩٥٠ ، وقد أنشئ المكتب العربى لشئون المخدرات التابع لجامعة الدول العربية •

• كميات ضبط المخدرات تمثل ١٠ في المائة من الكميات المتداولة :

واضاف اللواء فتحى عيد : ان الكميات التى يتم ضبطها من المخدرات تعطينا مؤشرا للكميات المطروحة في الأسواق • ونجد ان المعدل العالمى يشير الى ان كمية الضبط تمثل حوالى ١٠ في المائة من قيمة المخدرات المطروحة للتداول وهذا يوضح مدى خطورة المشكلة •

وقال : ان معدل ضبط الكوكايين محدود في مصر • ونجد ان معدل ضبط الكوكايين سنويا كان حوالى ٤١ كيلو جراما وصل الى ١٢٨ طنا في عام ١٩٨٦ •

• المخدرات بين العرض والطلب :

واشار اللواء فتحى عيد الى ان هناك علاقة بين العرض والطلب في تداول المخدرات كاي سلعة — وقال انه طالما ان هناك طلب للسلعة بالتالى يكون هناك عرض ولكي نتحكم في المشكلة فلا بد ان يكون لنا تأثير على مسألة العرض والطلب • لأن المشكلة ليست قاصرة على نوع واحد من المخدرات بل انواع عديدة خطيرة منها ما يؤثر على الحالة النفسية مثل المشتقات والبريتيورات او المهيطات بالإضافة الى عقاقير الهلوسة •

● الإبداع وتقديم المعلومات عن عصابات المخدرات واجب ديني وقومي .

● ماليزيا من اول الدول التي طبقت عقوبة الاعدام على تجار المخدرات

وحول العقوبة التي اتخذتها الدول لحماية شعبيها وكيانها قال اللواء فتحي عيد : اننا نجد ان معظم الدول حاليا تميل الى توقيع عقوبات شديدة على مهربي المخدرات ومروجيها . وقد نصت تشريعات دول كثيرة بتطبيق عقوبة الاعدام للمهربين والمروجين وتم تنفيذ العقوبة فعلا ففى ماليزيا اذا تم ضبط شخص بحوزته اى كمية تزيد على مائة جرام من الحشيش والأفيون فان عقوبتها الاعدام ، واذا ضبط الشخص ومعه اى كمية هيروين او كوكايين تزيد على ١٥ جراما فان عقوبتها الاعدام .

● تجربة رائدة فى حى بولاق فى مصر لمكافحة المخدرات :

● الجهد الطوعى يقف الى جانب الجهد الحكومى للقضاء على المشكلة.

وحول واجب افراد الشعب فى حماية انفسهم ووطنهم من خطر المخدرات قال اللواء فتحي عيد اننا نعيش تجربة رائدة فى حى بولاق فقد احس الاهالى ان تجار الماكستون فورث الذين يحققون الشباب بالماكس والهيروين قريبين منهم وان الضرر والخطر قريب منهم وسيضرهم ويضر ابناءهم ، ومن هنا تكاتف اهل الحى ويحاولون منع تجارة المخدرات ، ويساعدون جهاز الشرطة فى ذلك ، وقدم لهم كافة المساعدات لوقف هذه التجارة التى تدمر كيان الافراد والجماعات .

واشار الى واجب الشباب ودوره فى منع انتشار المخدرات وقال : ان الشباب يمكنه ان يوجه صديقه ويحذره ويعرفه اذا كان مدمن ان هذا الادمان خطا وخطر عليه وعلى صحته وعلى ماله ، وان يرشده الى المستشفيات واماكن العلاج ، وانه لن ييرا من الادمان الا بالعلاج ، واذا لم يسمع النصيح علينا ان ننصح اقاربه وولى امره فى عائلته وهذا ليس عيبا لاننا ننقذ الشخص من برائن الادمان .

كما ان على الشباب واجبات كثيرة فى تقديم المعلومات المتوافرة لديه التى تساعد فى الكشف عن هذه العصابات وهذا واجب ديني وقومي . ولنعلم كل فرد ان الإبلاغ عن تجار المخدرات لن يعرضه للخطر او انتقام العصابات لأن بلاغه يؤخذ بمنتهى السرية ، ولا بد لنا أن نواجه الشر دون خوف .

واعلن اللواء فتحي عيد أن أقسام مكافحة المخدرات فى مديريات الأمن على مستوى الجمهورية مستعدة ان توصل الشباب وتأخذ بيدهم الى أماكن العلاج ، وفى نفس الوقت تتلقى المعلومات التى تعين فى الكشف عن أوكار تجارة المخدرات .

الإعداد الفنى

محمود عبد العاطى — أحمد حسن

قُطُوفٌ

إعداد: حامد المرسي

شرف العقل :

• يوصي رسول الله صلى الله عليه وسلم
أبا الدرداء رضي الله عنه بقوله : (ازدد عقلا
تردد من ربك قربا) ، فقال بأبي أنت وأمي
يا رسول الله وكيف لي بذلك ؟ فقال صلى الله
عليه وسلم (اجتنب محارم الله تعالى ، وأد
فرائض الله سبحانه تكن عاقلا ، وأعمل
بالصالحات من الأعمال تردد في عاجل الدنيا رفعة
وكرامة وتتل في آجل العقبى بها من ربك عز وجل
القرب والعز) .

• وعن سعيد بن المسيب : أن عمر وأبي بن
كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا :
يا رسول الله من أعلم الناس ؟ فقال صلى الله
عليه وسلم العاقل ، قالوا : فمن أعبد الناس ؟

قال : العاقل ، قالوا : فمن أفضل
الناس ؟ قال العاقل ، قالوا : ليس العاقل من
تمت مروءته ، وظهرت فصاحته ، وجادت كفه ،
وعظمت منزلته ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :
وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة
عند ربك للمتقين ، أن العاقل هو المتقي وإن
كان في الدنيا خسيسا ذليلا .

• وفي حديث طويل — عن عبد الله بن سلام
أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم — في
وصف العرش ، وأن الملائكة قالت « يا ربنا هل
خلقت شيئا أعظم من العرش قال نعم ، العقل ،
قالوا وما بلغ من قدره ؟ قال هيهات لا يحاط
بعلمه ، هل لكم علم بعدد الرمل ؟ قالوا لا » قال
الله عز وجل : فأنى خلقت العقل أصنافا شتى
كعدد الرمل ، فمن الناس من أعطى حبه ، ومنهم
من أعطى حبتين ومنهم من أعطى الثلاث والأربع
ومنهم من أعطى مرقا ومنهم من أعطى وسقا ومنهم
من أعطى أكثر من ذلك » .

عبقريّة الإمام :

تزوج رجل امرأتين في زمانه في وقت واحد ، فولدتا في ليلة مظلمة فأتت واحدة بصبي ، والأخرى بأنثى ، فاختصمتا في الصبي إلى الإمام كل واحدة تدعى أن الصبي لها وللأخرى الأنثى فأمر الإمام على كرم الله وجهه كل واحدة أن تحلب من لبنها شيئا ، ثم وزن اللبنين فخرج أحدهما ، فحكم لصاحبة اللبن الراجح بالصبي ؟ . فقيل له : من أين أخذت هذا ؟ فقال من قوله تعالى « **لذكر مثل حظ الأنثيين** » بأن الله تعالى قد فضل الذكر في كل شيء حتى في غذائه ! .

فطنة أبي بكر رضي الله عنه :

عن محمد بن عبد الله المخزومي أن قريشا قالت : قبيضوا لأبي بكر رجلا يأخذه فقبضوا له طلحة بن عبيد الله (ومعنى قبضوا انتخبوا) . . فجاء طلحة وأبو بكر في القوم فقال : قم إلى ، فقال أبو بكر الأم تدعوني ؟ قال : ادعوك إلى عبادة اللات والعزى ! .

فقال أبو بكر : من اللات والعزى ؟ ، قال طلحة : بنات الله !

قال أبو بكر : فمن أهمها ؟ فسكت وقال لأصحابه اجيبوا صاحبكم فسكتوا ! .

فقال طلحة : قم يا أبا بكر فاني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ! . فأخذه أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم .

تعريف بطلحة :

طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه من بنى تميم وكنيته محمد ، ولقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد « **طلحة الخير** » ، ويوم حنين « **طلحة الجود** » وفي غزوة العشيرة « **طلحة الفياض** » .

ودعاه النبي صلى الله عليه وسلم « **الفصح** » . **الملح** .. **الصبيح** » .

وهو أحد العشرة الكرام الذين مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الستة الذين حصر عمر فيهم الخلافة .. وكان يقال له ولأبي بكر « **القرينان** » لأنهما لم أسلما ربطهما نوفل بن خويلد في حبل واحد .. ونجاها الله تعالى .

ويحدث عن نفسه فيقول :

حضرت سوق (بصرى) غرايت راهبا ، فقال هل ظهر أحمد ؟ قلت : ومن أحمد ؟

قال : ابن عبد المطلب ، هذا شهره الذي سيظهر فيه ، وهو آخر الأنبياء ، مخرجه من الحرم ، ويهاجر إلى نخيل وسبخ ، فإياك أن تسبق إليه ! .

قال طلحة : فوقع في قلبي ما قال .. فرجعت مسرعا إلى مكة ، فأخبروني أن محمدا بن عبد الله ادعى النبوة وقد تبعه ابن أبي تحافة .

وتقول زوجته كان لطلحة أربعمائة ألف درهم فدخل على وهو مهموم فسأله فقال كثر مالي وكربتي .. فقلت قسمه ، فقسمه حتى ما بقي منه درهم واحد ! .

فضل الأمة المحمدية :

ان الله تعالى كرم الأمة المحمدية فأضافها إلى نفسه فقال سبحانه « **عبادي** » .

وأضافها إلى آدم فقال : « **يا بني آدم** » . وأضافها إلى نوح فقال : « **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا** » .

وأضافها إلى إبراهيم فقال : « **ملة إبيكم إبراهيم** » .

وأضافها إلى محمد فقال : « **كنتم خير أمة أخرجت للناس** » .

فاذا كان يوم القيامة يقول آدم : اولادى .. ويقول نوح : أهل شريعتى .. ويقول إبراهيم : أهل ملتي .. ويقول محمد : أمتى .. والله يقول سبحانه وتعالى : عبادي انطلقوا بهم إلى جنتي ! .

نداء روى :

قال الأصمعي : بينما أنا أطوف بالبيت المحرم ذات ليلة ، إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو ينشد :

ألا ايها المقصود في كل حاجتي
شكوت اليك الضر فارحم شكايتي

ألا بارجائي أنت كاشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي

أتيت بأعمال قباح رديئة
وما في الوري من جنى جنايتي

أحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين مخافتني



الشعر

الإسلام

الكتاب والسنة

الأستاذ كامل أمين

به رسول الله خير معلم
تحلى بها من دينه كل مسلم
يحل مع المنحل كل محرم
كما في كتاب الله واحكم وحكم
لنا كل عام في شروق (محرم)
وتهريج دجال وارهاب مجرم
ملاكا كريما بينما هو آدمي
كليل رهيب اسود الوجه مظلم
عدت واستحلت فيه كل محرم
بكل اباحى وكل مهوم
ويا طول ما عاناه باسم التقدم
تسلق متن الدين فينا بسلم
(صحيح البخارى) في الحديث و (مسلم)
يثور على الرجعى فيها التقدمى
ومن بعد (موسى) و (عيسى ابن مريم)
راينا المدي في قبضة المتعلم
عائنا كاشمير بريح جهنم

كفانا كتاب الله حصنا لنحتمى
سمو واخلاق ودين وحكمة
وان كره الموتور هديهما لكى
خذ الامر شورى والحدود بحدها
وفي هجرة المختار لله عبادة
فما انتشر الاسلام عن فوضوية
ولكن باخلاق وحب تجسدا
تذكرت تاريخ الخوارج دامعا
بكل يد سلت على الدين مدية
وكم ذا استباح للمساجد حرمة
فيا طول ما الاسلام حورب باسمه
اكل دعى خاض في الدين والتقى
وافقى كما لو كان من بعد (مالك)
لقد كان في الشرق التسامح شرعة
دعا الناس فيه للسلام (محمد)
فمن اين هذى الجاهلية بعد ما
ومن اين هذى الباطنية اقبلت

الخنافية

ليس أعجب من كائن خلقه الله جل فاني

الدكتور حسن جاد

من مجيرى من الذين اللواتى
شبهه في السمات والسمات اعيان
ايه يا زرقاء اليمامة (١) عودى
عجبا للفتى .. يبدل خلقا
ليت شعري ماذا دهاه فامسى
يتثنى جيذا ، وقدا ، وخصرا
بالشعور المجلات ، وقد طا
وبصدر مقند مستعار
والمساحيق في فم وعيون
والبنان المخضوب ، والعصم
لم يدع من مفاتن لنعذارى
حرت فيهم بين الفتى والفتاة ؟
كل طرف ، واتعب الحددات
اسقفينا بحدة النظرات
صاغه الله بارى النظرات
في الفوانى مؤنث القسمات
كتثنى الكواعب الفانيات
ل عنان الذوائب المسبلات
من صدور النواهد الفاتنات
وخدود مصبوغة الوجنات
ووشى الملابس اللامعات
او يفادر لهن من مفريات
.. .. .

يا بنى الخنفساء كيف رضيتم
ومسختم ما اودع الله فيكم
ليس يابى سميت الرجولة الا
بانتساب لاحقر الحشرات ؟
من سجايا رجولة وسمات ؟
خنث يشتهى اشتها الفتاة
.. .. .

كيف يرجى غد البلاد بجيل
لا رعى الله صنعمكم من شباب
تسرعون الخطا لكل وباء
وتتهمون بالجديد من الفر
نرجسى (٢) الميول والنزعات ؟
مفرم بالتقليد في الترهات
مستطار باخبت الآفات
ب ، ولو كان أقبح العادات
.. .. .

كدت - والله - حين صرتم بنات
اتمنى لو عاد واد البنات
.. .. .

(١) كانت ترى على مسيرة ثلاثة أيام لحددة بصرها .

(٢) النرجسية نظرية معناها اعجاب المرء بنفسه واشتغاله لجسمه .

شمس الوجود

١ لاسمنا ذمحم عبدالمعطي عبدربه

عرفت انهوى والقلب بالحب زاخـر
واخلصت ساعات الحياه لحيه
يجوب بقاع الارض شوقا الى الهوى
قضيت سنين العمر اشدو بمدحه
وهل فى الورى مثل الحبيب محمد
ويخرج فى الليل البهيم لانه
فلم يره الاعداء من فرط نومهم
وامالهم خابت وقد ضل سعيهم
لقد سلك (المختار) بالذكر دربه
فيا فرحة (الصديق) قد جاءه السنا
لقد خط (المختار) للهجرة التى
وقد سلك (الخلان) دريا مثلا
ولكنه صان الامانة وقتها
يسانداهم رب العباد بلطفه
ويحييهم مما يدبره العباد
وفى (غار ثور) قد اقام ثلاثة
وصاحبه (الصديق) يخشى دخولهم
وخير عباد الله هذا روعه
على الفار ارسى العنكبوت نسيجه
على الفار قد باض الحمام لنصره
لقد صرف الاعداء عن اشرف الورى
وتابع (ماحى الظلم) والصحب ظعنهم
بمهد درب النور كى ينقذ الهدى
واذكر (جنـد الله) (فرد من العدا)
ولكن يخيب المشركون بظنهم
تلوح المني ثم انطقت ببريقها
اراد (ملك الكون) ان يهدى (الفتى)
وسار (حبيب الله) فى الدرب آمنا
وسارع انصار (الشفيع) بفرحة
تلقيوه بالترحاب والبشر والهناء
لقد طلعت (شمس الوجود) بدارهم
لقد حق شكر الله يا قوم اننا
فيا ايها (المبعوث) اهلا ومرحبا
اتيت بأمر الله فالكل طائع
بنبك يا (يس) خلدت جنبا
بنيت لنا مجدا كبيرا ومسجدا
واحييت اموات القلوب لغورهم
وانقذتنا من كل حرب شنيعة
فقبلك كنا فى ضياع وفرقة
فناديت بالتوحيد فى خير امة

ونقت لهيب الشوق والحب آمر
وعشق الهوى زادى وقبلى طائر
لعل حبيب القلب بالعين ناظر
وحب رسول الله فى القلب عامر
لنصرة دين الحق دوما يخطر
الى مهبط النور العظيم مهاجر
لقد عميت ابصارهم والبصائر
اذا مكروا بالحق فالله ماهر
يروم (ابا بكر) وتم الشياور
وهل ضياء الحق والبيت زاهر
تبر ربوع الكون فالكل حائر
يساونهم فى ذلك الدرب (كافر)
وسار مع (المصباح) والليل ساحر
وبحرسهم والنجم بالأفق ساهر
وبحق أهل الكفر فالله ناصر
واخبارهم تاتيهم والزاد واقـر
الى الفار فاهتزت لذاك المشاعر
وطمأنه ان الاله يـؤازر
ليحى خير الخلق من يخاصـر
الا ان رب الناس فى الفار حاضر
(باضعف خلق الله) والله قـادر
الا ان خير الخلق جـلاد وصـابر
فهاجت جموع الحقـد والبغى غادر
فخاف (ابو بكر) وثارت خواطر
وينتـكس الاعداء فالحق ظاهـر
وفى الارض قد دبـت وغارت حوافـر
فأمن وازدانت لديه الشـمائر
سعيدا فقد زفت اليه البشائر
للقيـا رسول الله والكل شـاكر
يفنون وارتاحـت اليه الضـمائر
واشرق فجر قدسـته العشائر
نعننا بخير الله والكل ظـافر
لقد جئت فانـهلت علينا المـفاخر
ونحن رجال الحق والخير جـابر
فزالت بأمر الله عنا الديـاجـر
تصلى بساحته النجوم الزواهر
وأخيت بين الناس فالفضل غـامر
فأحسنـت وانتـقادت اليك العنـاصر
وقبلك قد دارت علينا الدوائر
وانجيتنا بالحق مما نـاذر

أين الهجوم

١٠. برج في الكويت وهو المصعد، هناك أول من ردد العرش في طاعة الإسلام في الكويت المستقلة، وبشر طاعة الإمام المسلم في الكويت، وله موطأ رافد في إفساد الصور، وتطهير المعج وتكون الصور غير مستحبة، وفي يوم تجمع الجمعة في الكويت الحضر والعلانية وإقامتها وحسن التواضع

أول سنة ١٢١١ هـ

العلامة محمد إقبال

حياته .. وآثاره

عرض وتقديم

الأستاذ السيد احمد المخزنجي

الشاعر ، الأديب ، الفيلسوف ، والمفكر الاسلامي ، محمد اقبال ، غنى عن التعريف لدى القراء والباحثين المسلمين وغير المسلمين على السواء . لما عرف عنه من تاريخ أدبي حافل وسيرة ذاتية عبقة وماض كفاحي عريق في سبيل تحقيق مبادئه وعقيدته الاسلامية وافكاره الاخلاقية الاصلاحية ، خاصة في مجال السياسة بباكستان بالهند وخارجها كذلك ، ومرد ذلك الى ما اشتهر به المفكر الاسلامي الراحل من مطالبات ، وما نادى به من حقوق لأبناء وطنه واخوانه المسلمين عبر العديد من المحافل الدولية والمؤتمرات العالمية التي ترأس العديد منها .

والكتاب الذي معنا الآن بعنوان (العلامة محمد اقبال — حياته وآثاره) للدكتور احمد معوض ، هو أحد المؤلفات التي كتبت عن (اقبال) وترجمت لحياته وآثاره الأدبية والاسلامية .

الايطالية ، والفرنسية ، ثم اخيرا الألمانية . ومن ثم فقد بلغ عدد صفحات الكتاب نحو أربعمائة وتسعة وستين صفحة من القطع المتوسط .

في المقدمة

يقول المؤلف : عرفت اقبال والتقيت به مرارا وتكرارا ، عرفت في كل اثر من آثاره القيمة ، وفي كل نبضة تجلت آثارها على صفحات أعماله ، ورايته في كتابات عديدة بلغات مختلفة ، وفي مجالات عريضة شتى . والتقيت به في أعماق كل باكستاني فضلا

هذا الكتاب يضم بين دفتيه : مقدمة وثلاثة اقسام رئيسية ، تتناول لنا حياة اقبال ، واقبال والأوضاع السياسية في شبه القارة (الهندية) ، ثم فكر اقبال وفلسفته ، بالإضافة الى « ترجمات نصية لبعض منظومات اقبال الشعرية » مثل : رسالة العبودية ، الموسيقى ، التصوير ، مذهب الفلماني ، ثم أخيرا في بناء الأحرار .

وهناك ثبنا مطولا للمراجع والمصادر المختارة التي تحدثت عن حياة اقبال وآثاره وتراثه الفكري ومنهجه الاسلامي الاصلاحى الثاقب ، وهي بلغات عدة : العربية ، الفارسية ، الأردو ، التركية ،

الأول لجامعة البنجاب في ١٨٩١ م ، وفي ١٨٩٣ نجح في الحصول على شهادة القبول في الجامعة واجتاز بنجاح Matriculation الامتحان الوسيط لجامعة البنجاب في سنة ١٨٩٥ م بدرجة ممتازة ، ومن ثم انتقل الى لاهور حيث تسجل اسمه في الكلية الحكومية المحلية التي تخرج فيها ، وحصل منها على اجازة الآداب في سنة ١٨٩٧ م . ثم على درجة الماجستير في امتحانات اللغة العربية في جامعة البنجاب . وقد تلقن اقبال دراسته الفلسفية في هذه الكلية على يد الدكتور تومانس آرنولد ، الذي اهتم باقبال ونمى فيه قدراته الأصلية .

اقبال في أوروبا :

تحدث المؤلف بعد ذلك عن الفترة التي مكثها اقبال في أوروبا ، حيث اتجه الى كمبريدج والنحق بجامعاتها يدرس الفلسفة على يد الأستاذ الدكتور تكت Mctaggart ، وحصل على درجة في فلسفة الأخلاق منها . كما عقد في إنجلترا صداقات وثيقة مع الأستاذ فيكسون والأستاذ براون وكلاهما من كبار المستشرقين الخبراء بالآداب الشرقية .

وبعد عودته من تلك الرحلة العلمية التي استغرقت ثلاث سنوات تقدم بطلب لتسجيله محاميا لدى القضاء الرئيسي وتم تسجيله في أكتوبر ١٩٠٨ م . وبدء في ممارسة المهنة التي كان يتوق اليها كما عين في مايو ١٩٠٩ استاذاً للفلسفة في كلية لاهور الحكومية ، لكنه لم يستطع مواصلة عمله فيها ..

ويبرز لنا الأسباب والدوافع الحقيقية لقرار اقبال الاشتغال بالمحاماة فيقول : « اما اشتغال اقبال بالمحاماة فكان عن رغبة في الدفاع عن المظلوم ، لا طمعا في تكوين ثروة عن طريق هذه المهنة وكل ما يهمه أن يكسب عيشه بالعمل الحر ، وكان لا يقبل القضايا الجديدة اذا ما توفر له قدر من المال يكفل قوته وعياله ، واستمر اقبال في عمله بالمحاماه حتى سنة ١٩٣٤ حيث اضطره المرض الى التوقف عنها وتركها » .

اقبال والإصلاح الشامل :

بيد أن اقبال لم يتوان عن المشاركة السياسية العملية سعيا وراء الإصلاح السياسي والاجتماعي

عن جموع المسلمين في كل مكان . ولعل المؤلف يرجع السبب في ذلك الى أن اقبال لم يكن شاعرا فيلسوفا فحسب ، بل لاعتباره — في نظر الكثيرين — معلما وقائدا من قادة الأمة الاسلامية .

القسم الأول — (حياة اقبال) :

عرض المؤلف في هذا القسم الأول من كتابه حياة (اقبال) بدءا من مولده حيث ولد محمد اقبال في سيالكوت احدى مدن البنجاب الغربية في الثالث من ذى القعدة لسنة ١٢٩٤ هـ ، الموافق التاسع من نوفمبر ١٨٧٧ م ، وانتقل الى اصوله واسلافه الذين كانوا ينتمون الى جهاة محترمة من البانديت Pandits في كشمير .

اما أبوه الشيخ « نور محمد » فقد كنى بالشيخ نتهو Natho (اى الشيخ ذى حلقة بالانف) وكان للشيخ نور محمد بما اكتسبه من معرفة وذكاء وقاد في مسائل الحكمة والفلسفة والآداب تأثير ملحوظ في ابنه اقبال .. الى الحد الذي أقر فيه اقبال عن أبيه أنه (يرجع الفضل في كل ما أنشأت من شعر أو نثر الى توجيهات أبي رحمه الله فقد عودنى تلاوة القرآن الكريم بعد صلاة الصبح من كل يوم) .

اما امه فكانت سيدة تقيّة عفة يملأ قلبها الايمان والورع ، ولكنها ما لبثت أن توفيت قبل أبيه بست عشر سنة ، حيث رحلت الى دار البقاء في التاسع من نوفمبر سنة ١٩١٤ م (١٣٣٣ هـ) .

وتحت عنوان (المعالم الرئيسية في حياة اقبال الخاصة) يحدثنا المؤلف عن بواكير حياته الخاصة ، حيث بدأ اقبال تعليمه في سن مبكرة على يد أبيه ، ثم التحق بأحد مكاتب التعليم في سيالكوت ، حيث نشأ وأمضى صباه ، وجانباً من بواكير حياته .

وهنا يشير المؤلف الى بدء تفتق قريحة اقبال الشعرية في هذه المرحلة المبكرة من حياته حيث شجعت « مير حسن » أستاذه وناصحه على نظم الشعر ، لما لسه فيه من ذكاء وأصالة وصدق في التعبير .

وقد أتم اقبال دراسته الأولية في سيالكوت ، وبدأ دراسته الجامعية باجتياز الامتحان العام

أقبال بنتيجة قال فيها « أن أقبال كان قد حدد لنفسه موقفا سياسيا في المسائل الأساسية التي تواجه مسلمي شبه القارة منذ ذلك الوقت المبكر . وخاصة بعد أن نفّض يده من العمل الحكومي ، وآثر العمل بالحماة . وقد التزم الخط الواقعي في منهجه السياسي » .

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ، أنه في الاجتماع الذي عقدته الجامعة الوطنية في لندن ، وضم العديد من الدبلوماسيين الأجانب وأعضاء مجلس اللوردات والعموم البريطانيين شرح أقبال مطالب مسلمي الهند ، ثم عرض أهم مطالب المسلمين هناك والتي كان من بينها تقرير حكم ذاتي اقلية مباشر ، والمطالبة بجعل ٣٣٪ على الأقل من مقاعد كل من المجلسين (آنذاك) في وسط شبه القارة تأمینا لمصالح المسلمين فيها .

وأكد أقبال في هذا الصدد أن الإسلام لا يعترف باختلاف الجنس (العرق) أو العقيدة وهو أعلى من الزمان والمكان وبهذا المعنى فكل البشر أخوة . الأمر الذي جعل المؤلف يصف أعمال أقبال ومواقفه السياسية بأنها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات ، يبدو فيها كبطل للحمة من ملاحم الشجاعة والبسالة في مواجهة عمالقة السياسة الذين تدعمهم الحكومة أو تؤيدهم أجهزة المؤتمر الهندي وصحافة الهند .

أقبال صانع السلام في بلاده :

ومما طالب به أقبال أيضا أنه ينبغي أن يسمح للمسلمين بالعيش بالأسلوب الذي يريدونه ، فلا تمتصهم جماعة أو جماعات أخرى ، وقد قال أقبال في ذلك : « أن المسلم يريد الضمانات لأنه يخشى الديمقراطية ، وإنما لأن لديه سببا في أن يخشى حكم الأقلية الطائفية في ثياب الديمقراطية في الهند .. » وهكذا كان أقبال يقوم بدور صانع السلام ، واستطاع بجهوده أن يوحد المسلمين في شبه القارة ، اللهم الا حفنة من المتصدين للزعامة ممن بقوا مع المؤتمر الهندي هناك .

آثار أقبال وأعماله الأدبية :

أما الشق الآخر من هذا القسم فقد تناول فيه المؤلف بيان آثار أقبال وأعماله الأدبية وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام كانت على التوالي : الكتب

والفكرى الذي حث العالم طيلة حياته على العمل من أجله خلال أعماله الشعرية ، ولقد كانت لدى أقبال بصيرة سياسية أبعد من كثير من السياسيين المحترفين إلى الحد الذي دفع القائد الأعظم محمد علي جنة إلى القول : « كان أقبال متفوقا حتى كسياسي محترف » . ومن ثم فقد شرع أقبال في انتهاج عدد من الأساليب نحو إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام ، حيث قام بالقاء عدد من المحاضرات في عام ١٩٢٨ م في العديد من « الجمعيات » والمؤتمرات العالمية ، كمؤتمر المائدة المستديرة في لندن في عامي ٣٠ و ١٩٣١ م ، والمؤتمر الإسلامي الذي عقد في القدس في ذلك الحين أيضا .

وأشار المؤلف في هذا الصدد إلى بعض ما قاله أقبال في محاضراته عن إنجلترا والإسلام حيث تحدث عن الناحيتين السياسية والاقتصادية ، وعن التخوف الإسلامي . وأكد أنه يجب أن تتوفر الثقة . وأشار - أقبال - إلى مشاكل العالم الإسلامي في الهند وكشمير ، وفلسطين ، وبلاد العرب ، وأعلن في ختام محاضراته أن الصداقة مع الإسلام أمر جدير بالسعى إليه . كما زار أقبال أيضا العديد من الدول والبلاد العربية والإسلامية كمصر وإسبانيا وأفغانستان .

القسم الثاني : أقبال والأوضاع السياسية في شبه القارة

وقد تحدث فيه المؤلف عن « المنهج العلمي في دعوة أقبال » واهتمامه بالتاريخ ومعرفة دقائقه وتسليطه الأنوار على العديد من الشخصيات الإسلامية التي حكمت الهند ، ولعل هذا ما جعل المؤلف يعرض لتاريخ شبه القارة - الإسلامي - عبر عدد كبير من صفحات هذا القسم الثاني ، تمهيدا لالقاء الضوء على الجوانب المختلفة التي شارك فيها أقبال في تحديد الملامح السياسية لشبه القارة الهندية طيلة حياته التي امتدت إلى سنة ١٩٣٨ م ، والتي تمثلت أبرز ملامحها في : اهتمام أقبال بإنشاء فرع للجامعة الإسلامية الهندية ، في لندن ، والذي اختير هو عضوا في مجلسه ، وكان هذا أول نشاط سياسي له . كما اهتم بمواصلة عمله السياسي في وطنه ، وانضم إلى الجامعة الإسلامية الإقليمية للبنجاب . وقد خرج المؤلف من هذا السرد لتلك المرحلة من حياة

طبعه غير مرة أيضا ، كما ترجم لعدد من لغات العالم .

ثم هناك ديوان (رسالة المشرق) وقد جاء هذا الديوان ردا على « الديوان الشرقي » للمؤلف الغربى West-ostliche Diwan الذى وضعه جيتة Goethe وقد كشف اقبال فى مقدمة تلك الرسالة عن الدافع الذى حدا به لكتابتها ، والهدف الرئيسى منها ، الا وهو « عرض ذلك الواقع الاخلاقى والدينى والقومى الذى يمس التلقين الداخلى للأفراد والأمم . . وان على أمم الشرق أن توقن أن الحياة لا يمكن أن تحدث ثورة فى محيطها حتى تقع أولا ثورة فى اعماقها وأنه لا يمكن لعالم جديد أن يتحقق (ويبرز) ما لم يكن قد توصل العقل البشرى الى شكل له . وهذا القانون الثابت للطبيعة الذى يشير اليه القرآن الكريم ببساطة وبلاغة بقوله تعالى :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

الرعد : ١١

ولقد حاولت — اقبال — فى أعماله أن أبرز هذه الحقيقة المؤكدة .

أما عن كتابات اقبال (المتفرقة) فقد شملت بعض احاديثه ومحاضراته بالانجليزية عن الاسلام ، فمنها (مسح اجتماعى للأمة الاسلامية) ، الخلافة الاسلامية والاسلام والاحمدية .

القسم الثالث

جولة فى فكر اقبال وفلسفته

أما هذا القسم الأخير من الكتاب فقد سُلط فيه المؤلف الضوء على فكر اقبال ومفهومه عن الصوفية و (فلسفة الذات) عنده ، حيث لاحظ أن الكثيرين قد عرضوا أعمال اقبال إلا أن فكر اقبال وفلسفته لم ينالا قدر كافيا من الدراسة حتى بين أبناء شبه القارة .

التعليمية ، والآثار الخالدة ، ثم كتابات متفرقة ، حيث خلف لنا اقبال بذلك أثارا مرموقة بثلاث لغات هى : الفارسية ، الأردو ، والانجليزية . ومن ذلك باللغة الأردية : عدد من المقررات التعليمية ، وبعض المنظومات الشعرية ، فقد كتب اقبال فى علم الاقتصاد ، وترجم كتاب التربية للمستتر « ووكر » ، وتاريخ الهند ، ودروس فى الأردو ، ومن المنظومات الشعرية « نانك درابال جبريل » ، وضرب كليم ، فضلا عن القسم الثانى من « أرمغان حجاز » ، وبالفارسية كتب اقبال : أسرار خودى رموز بيخودى ، بياض شرق ، زابور عجم ، كلشن راز جديد ، بندكى تامة ، بس جه يدكرد — أى اقوام شرق — مسافر ، فضلا عن القسم الأول من « أرمغان حجاز » .

ومن آثار اقبال بالانجليزية بحثه للدكتوراه بعنوان :

The Development of Metaphysics in Persia

تطور الغيبيات فى بلاد فارس ، ومنها محاضراته فى بناء الفكر الدينى فى الاسلام ، التى جمعها بنفسه فى كتاب له بعنوان :

Reconstruction of Religious Thoughting Islam.

هذا بالإضافة الى مقالات وآراء واحاديث صحفية ورسائل خاصة ومذكرات وخطب متفرقة نشرت فى أوقاتها ، وجمعت فى كتب أو أعيد نشرها فى كتيبات خاصة .

أما بالنسبة للآثار الخالدة : فمنها رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة مينشبن Munchen بألمانيا ، والتى كان موضوعها .

The Development of Metaphysice

وقد قدم هذا البحث باللغة الانجليزية ونشر لأول مرة فى لندن فى سنة ١٩٠٨ م ، ثم طبع ٤ طبعات بعد ذلك ، منها طبعة سنة ١٩٦٤ ، كما ترجم لعدة لغات أخرى .

وكذلك ترك لنا اقبال : أسرار خودى (ومعناها أسرار الذات) وهو أول اشعار اقبال بالفارسية من ضرب المثنوى ، نظمها فى بحر الرمل ، وقد نشر فى لاهور لأول مرة فى ١٩١٥ م ، ثم أعيد

القيد الفضي زينة للقدم . ولا تشكون من شدة الشريعة ولا تخرج على حدود المصطفى .

وهكذا يجعل اقبال التزام الشريعة الالهية والامتثال لها ، مهما بدا فيها من قيود قاسية أحيانا ، السبيل الى سعادة الانسان وحريته الكاملة .

ولما كان الهدف من حياة المسلم هو اعلاء كلمة الله ، فان اقبال يناشد الفرد المسلم أن يحقق هذا الهدف حيث يقول مخاطبا اياه « اصبغ القلب بصبغة الله ، واعط العشق الناموس والاسم والصيت . ان طبع المسلم بالمحبة قاهر » ويدوي صوت اقبال معلنا انه اذا لم تكن الحرب من أجل الحق واعلاء كلمة الله ، فهي مهانة . واذا كانت الحرب « جوعا الى الأرض » وحسب ، فهي في شرعة الاسلام حرام . والسلام شر عندما يكون المقصود هو الغير ، والحرب خيرا اذا كان الغرض منها هو الله .

ولهذا نرى اقبال يرفض قبول المفاهيم القومية الاقليمية الضيقة القائمة على العرق والجنس والعنصرية والحدود المصطنعة . ويؤكد ذلك قوله في هذا السياق « لسنا من الأفغان ولا الترك ولا التتار ، فقد ولدنا في روضة واحدة ومن غصن واحد . . حرام علينا التمييز في اللون والرائحة . وانما نشأنا في ربيع واحد » .

وعلى هذا النحو ينشد اقبال التسامي على المفاهيم القومية لاعادة بناء الأمة الاسلامية المنشودة . بل انه يهدى منظومته الشعرية « رموز اللذات » الى هذه الأمة الاسلامية ، تأكيدا منه على أهمية الملة في اعادة بناء المجتمع وتنظيمه حيث يقول :

« اننى اضع وردة في عمامتك . .

وأشعل محشرا في سبتك العميق . .

حتى تبرز من تربتك رياض الشقائق .

وتهب من أنفاسك نسيمات الربيع »

البقية ص ١٣٤

ولذا فهو يطالب الباحثين في « فكر اقبال » على ما ينبغي أن يجمعوا مادة هذا الفكر لاقبال وآثاره كلها من شعره ، ونثره ، سواء بسواء ، وأن كان ذلك قد يواجه مثل هؤلاء الباحثين بعدد من الصعاب ، ومن أبرز تلك الصعاب أن اقبال لم يكتب بلغة واحدة ، فاذا كانت غالبية أشعار اقبال قد جمعت في مايسمونه « كليات اقبال » - الا أن نثره لما يجمع بعد .

كما كشف لنا عن وجود آثار ونفحات من آراء اقبال وفلسفته عن بناء الأمة وحياة الجماعة ترجع في أصلها لتأثر اقبال برائده وأستاذة جلال الدين الرومي .

فلسفة الذات عند اقبال

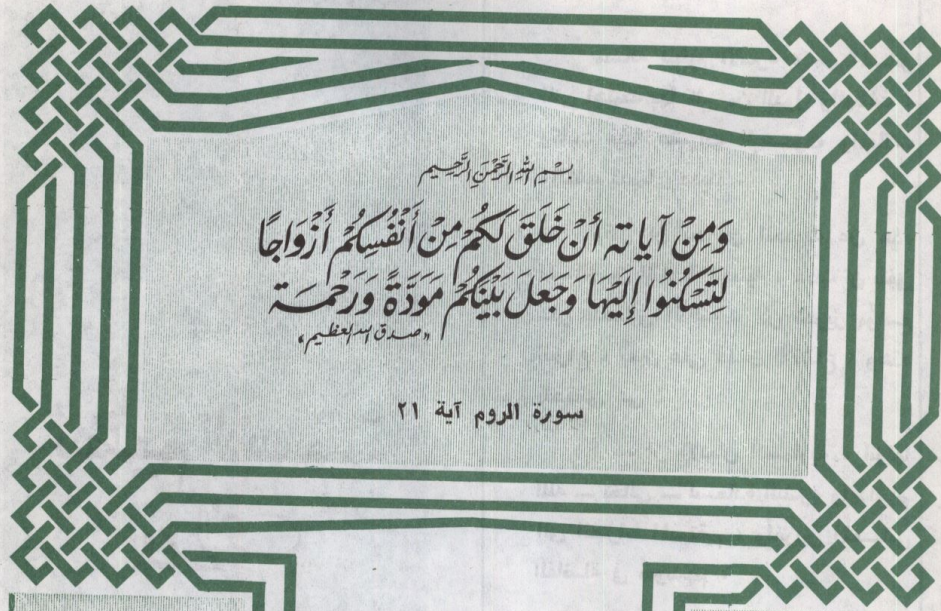
أما عن تلك الفلسفة فهي تقوم على نقطتين أساسيتين هما :

ان الشخصية هي الحقيقة المركزية للكون وتمثل في الذات العليا .

وان الشخصية هي الحقيقة المركزية في تكوين الانسان وتمثل في الذات الانسانية . وقد عالج اقبال موضوع الذات بتوسع وافاضة . فالذات لديه مفتاح كل غموض ، ومن ثم فانه راح يتأمل ذاته هو شخصيا ويرقى منها الى تأمل الذات الكونية . فيعد الحقيقة الكلية هي الذات الكاملة الشمولية ، وهي الحياة والنور ، والحقيقة والجمال والقوة وما الى ذلك من عناصر مماثلة .

ومن ثم فاقبال لا يكتفى بمجرد الدعوة الى تقويم الذات والسمو بها ، وانما يبين الوسائل الكفيلة بالوصول بالذات الى أسنى المراتب وأرفعها ويرى أن لقربية الذات ثلاث مراحل : أولها : مرحلة الطاعة . وثانيها : ضبط النفس وثالثها : النيابة الالهية ، أي الخلافة عن الله في الأرض .

ولهذا يناشد الانسان بالالتزام بالشريعة والحدود التي ابلغنا اياها المصطفى عليه الصلاة والسلام فيقول اقبال : « فارجع ايها الحر الى الدستور القديم (أي الاصيل) واجعل ذلك



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً
«صدق الله العظيم»

سورة الروم آية ٢١

الأسرة المسلمة



كلمة عن

تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه

الكتور محمد سيد طنطاوي

مسألة تنظيم الأسرة ، من المسائل
التي اهتمت بها كثير من الدول والهيئات ،
وكتبت فيها عشرات البحوث والمقالات
والكتب قديما وحديثا .

وقبل ان نبدا في الحديث عن هذه
المسألة من الناحية الدينية ، نحب ان نتفق
على الحقائق التالية ، لان تحرير موضع
النزاع ، يعين على حسن الاقتناع ، وهذه
الحقائق هي :

١ - ان الاديان السماوية ، انزلها
الله - تعالى - لسعادة البشر، ولهدايتهم
الى الصراط المستقيم ، ولفرس المعاني
الفاضلة في نفوسهم .

وان الكتب التي انزلها - سبحانه -
على انبيائه ، قد قررت هذه الحقيقة ، ومن
نلك قوله تعالى :

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿١﴾ تَزَلَّ
عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٢﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ
الْفُرْقَانَ ﴿٣﴾

آل عمران : ٢ - ٤
وقوله سبحانه :

كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠٠﴾

ابراهيم : ١

ومادام — أيضا — هذا الخلاف مصحوبا بالنية الحسنة ، وبالكلمة الطيبة ، وبالمناقشة الرصينة التي يزينها الأدب ومكارم الأخلاق .

ولقد سما النبي — صلى الله عليه وسلم — بهذا الاجتهاد ، فيشر أصحابه بانهم ماجورون سواء اصابوا أم اخطأوا، فقال في حديثه الصحيح: (اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله اجران ، واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله اجر واحد) .

ومن شأن الأمم السعيدة الرشيدة ، انها يكثر بين أفرادها التعاون على البر والتقوى ، لا على الأثم والعدوان .

أما الأمم الشقية الجاهلة ، فهي التي يشيع بين أفرادها سوء الظن ، والتراشق بالنهم الباطلة ، والتنازع الذي مبعثه الأهواء والأحقاد .

٤ — ان الأولاد هم ثمرة القلب ، واحدى زينتى الحياة الدنيا ، وقد تمنى الزرية جميع الناس حتى الأنبياء ، فهذا سيدنا ابراهيم يدعو الله فيقول : « رب هب لى من الصالحين » .

ولكن الأولاد فى الوقت نفسه ، امانة فى ايدى آبائهم ، ويجب على الآباء ان يراعوا هذه الأمانة حق رعايتها ، بان يحسنوا تربيتهم دينيا ، وجسميا ، وعليا ، وخلقيا ، وبان يقدموا لهم ما هم فى حاجة اليه من عناية مادية ومعنوية .

قال تعالى :

« يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا .. » .

التحريم : ٦

وقال سبحانه :

« وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ... »

طه : ١٣٢

وفى الحديث الصحيح : (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) .

٥ — ان هذا الكون قد اقباه الله تعالى — على نظام دقيق . بديع محكم ، فكل شئ فيه يسير وفق تدبير متقن وتنظيم بديع .

٢ — ان الكلام فى الامور الدينية بصفة خاصة ، وفى غيرها بصفة عامة ، يجب ان يكون مبينا على العلم الصحيح ، والفهم السليم ، والدراية الواسعة الواعية لاصول الدين وفروعه ، ولقاصده واهدافه واحكامه .

وان يكون كذلك لحبته وسداه : الأمانة والصدق ، وخدمة الحق والعدل ، والتنزه عن الاحتاد والأطباع ، والبعد عن المآرب والأهواء ، والرفع عن النفاق وكتمان الحق .

قال تعالى :

وَلَا تَقُولُوا لِمَا

يَصِفُ أَلْسِنُكَ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَتَّبِعُوا

عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾

النحل : ١١٦

وقال سبحانه :

وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ

المائدة : ٨

وقال عز وجل :

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ

الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

الأنبياء : ٧

وفى الحديث الصحيح الذى أخرجه الشيخان عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : (ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا — اى : فى انفسهم — واضلوا — اى : غيرهم .

٣ — ان الخلاف فى الامور التى تقبل الاجتهاد لا غبار عليه ، ولا ضرر منه ، مادام القصد الوصول الى الحق ، والى ما تتحقق معه المصالح النافعة للأفراد والجماعات .

نصا قاطعا ، لا مجال معه للاجتهاد والنظر ،
كتحليل البيع وتحريم الربا .

أما الأمور التي تخضع فيها المصلحة للظروف والأحوال ، فإن شريعة الاسلام تكل الحكم فيها الى أرباب النظر والاجتهاد والخبرة ، في اطار قواعدها العامة ، ومن هذه الأمور مسألة تنظيم الأسرة أو النسل ، فإنها من المسائل التي تختلف فيها الأحكام باختلاف ظروف كل أسرة ، وكل دولة ، وباختلاف أمكانياتها .

فهنا هناك دول هي في حاجة الى الكثرة البشرية ، لأن وسائل الإنتاج والرفق فيها ، تحتاج الى هذه الكثرة القوية المنتجة الرشيدة وأمثال هذه الدول يقال لها : مرحبا بهذه الكثرة القوية المؤمنة العاقلة .

وهناك دول لا تحتاج الى الكثرة في عدد أفرادها ، لأن هذه الكثرة موجودة فيها ، ولأن أمكانياتها لا تتحملها ، ولأن السواد الأعظم من أفرادها يعيش على جهود القلة فيها ، ولأنها مع كثرتها تستورد من غيرها معظم ضروريات حياتها .

وأمثال هذه الدول يكون تنظيم الأسرة فيها ، أمرا مرغوبا فيه ، ومطلوبا منها مع غيره من الوسائل الأخرى التي تؤدي الى تقدمها ، كمضاعفة الإنتاج ، ومواصلة تطوير الزراعة والصناعة وغيرها ، وحرص أفرادها على أداء واجباتهم بأمانة ، ونشاط ، وقوة .

إننا مرة أخرى نقول : ان الكثرة الصالحة المنتجة القوية مرحبا بها ، أما الكثرة الهزيلة ، الضعيفة الشاردة عن الطريق القويم ، المعتمدة في كثير من ضروريات حياتها على غيرها ... فالقلة خير منها .

بعد هذه الحقائق التي أرجو ان تكون محل اتفاق ، نحسب أن ندخل الى موضوع تنظيم الأسرة أو النسل بأسلوب السؤال والجواب فنقول :

أولا : ما معنى تنظيم الأسرة ؟ وهل هناك فرق بينه وبين التحديد والتعقيم والإجهاض ؟

والجواب ببساطة : تنظيم الأسرة معناه : أن يتخذ الزوجان باختيارهما واقتناعهما ، الوسائل التي يريانها كفيلة بتباعد فترات الحمل ، أو إيقافه لمدة معينة من الزمان ، يتفقان عليها فيما بينهما .

فالشمس تشرق وتغرب في وقت معلوم ، ومثلها القمر والليل والنهار ، كما قال سبحانه :

لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

يس : ٤٠

وكما قال تعالى :

« انا كل شيء خلقناه بقدر »

القمر : ٤٩

وكما قال عز وجل :

« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت »

الملك : ٣

واذا فالإنسان العاقل ، هو الذي يتخذ النظام شعارا له في سائر تصرفاته ؛ لأنه يوفر الجهود ويضاعف الثمرة ، وما وجد النظام في شيء إلا زانه ، وما فقد من شيء إلا أسانه .

وصدق الله اذ يقول :

وَلَمِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾

الحجر : ٢١

٦ - اننا نعيش في عصر لا تتنافس فيه الأمم بكثرة أفرادها ، ولا باتساع أراضيها ، وانما نحن نعيش في عصر تتنافس فيه الأمم بالاختراع والابتكار ووفرة الإنتاج ، والتقدم العلمي بشتى صوره وأوانه ، هذا التقدم الذي يجعل احتياج الغير اليك ، أكثر من احتياجك اليه .

ونحن نشاهد امما اقل عددا من غيرها ، ولكنها اقوى ، واغنى ، من ذلك الغير .

والأمثلة على ذلك يعرفها عامة الناس ، فضلا عن علمائهم .

٧ - أن من مزايا شريعة الاسلام ، أن الأمور التي لا تختلف المصلحة فيها باختلاف الأوقات والبيئات والاعتبارات ، تنص على الحكم فيها

وأما الفقهاء المحدثون فمنهم فضيلة الشيخ السيد سابق ، فقد قال في كتابه المشهور « فقه السنة » ج ٧ ص ١٤٥ ، تحت عنوان : « العزل وتنظيم النسل » : « تقدم أن الإسلام يرغب في كثرة النسل إذ أن ذلك مظهر من مظاهر القوة والمنعة بالنسبة للأمة والشعوب ... إلا أن الإسلام مع ذلك لا يمنع في الظروف الخاصة من تنظيم النسل ، باتخاذ دواء يمنع من الحمل ، أو بأي وسيلة أخرى من وسائل الحمل . »

فبياح التنظيم في حالة ما إذا كان الرجل معيلاً - أي كثير المعيل - ، ولا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة .

وكذلك إذا كانت المرأة ضعيفة ، أو كانت موصولة الحمل ، أو كان الرجل فقيراً ، أو كان هناك مرض معد في الزوجين أو في أحدهما .

نفى مثل هذه الحالات بباح تنظيم النسل ، بل إن بعض العلماء يرى أن التحديد في هذه الحالات لا يكون مباحاً فقط بل مندوباً إليه .

وبذلك نرى أن تنظيم الأسرة ، أجازها الفقهاء القدامى والمحدثون ، متى كان هناك داع إليه .

ثالثاً : هل تنظيم النسل أو الأسرة هو الوسيلة الوحيدة لحل مشكلة تزايد السكان ، ورفع مستوى المعيشة وحصول كل فرد على مطالب حياته بصورة مقبولة ؟

والجواب : ما قال عاقل بأن تنظيم النسل أو الأسرة ، هو الوسيلة الوحيدة لحل هذه المشكلات ، وإنما هو وسيلة من بين كثير من الوسائل التي من أهمها : أداء كل فرد من أفرادها لواجبه قبل مطالبته بحقوقه ، وحرص هذا الفرد على أن تكون لبنته نافعة في بناء كيان مجتمعه .

لبنة تقوى كيان المجتمع ولا تضعفه ، وتعطيه من إنتاجها أكثر مما تأخذ منه .

وآفة الآفات في كل أمة تنقلها الديون والمتاعب المتشابكة ، تتمثل - في تقديري - في تمزق أبنائها ، وتفرقهم ، وسلبيتهم ، وشيوع سوء الظن بينهم بدون موجب ، واهتمام معظمهم بالحصول - بكل طريق - على مصالحهم الخاصة ، ومنافعهم الذاتية .

والمقصود من ذلك : تقليل عدد أفراد الأسرة بصورة تجعل الأبوين يستطيعان القيام برعاية أبنائهما رعاية متكاملة ، بدون عسر ، أو حرج ، أو احتياج غير كريم .

وهناك فرق شاسع بينه وبين التحديد والتعقيم والإجهاض ، إذ تحديد النسل بمعنى منعه منها مطلقاً ودائماً ، حرام شرعاً ، ومثله التعقيم الذي هو بمعنى القضاء على أسباب النسل نهائياً .

وأما الإجهاض وهو قتل الجنين في بطن أمه ، أو انزاله ، فقد أجمع الفقهاء - أيضاً - على حرمة وأنه لا يجوز إلا إذا حكم الطبيب الثقة بأن في بقاء هذا الجنين هلاكاً للأم ، أو ضرراً بليفاً سيصيبها بسبب بقاءه في بطنها .

ثانياً : هل تنظيم الأسرة بتلك الصورة التي سبق بيانها جائز من الناحية الدينية ؟

الجواب : إن تنظيم الأسرة أو النسل ، بتلك الصورة التي سبق بيانها جائز شرعاً وعقلاً متى كانت هناك أسباب تدعو إليه ، وهذه الأسباب يقدرها الزوجان حسب ظروفهما ... فقد تنشأ أسباب تدفع الإنسان إلى تنظيم أسرته أو نسله ، وقد ذكر الفقهاء قديماً وحديثاً جملة من الأسباب التي تبين للزوجين تنظيم نسلهما . ومن الفقهاء القدامى الذين فصلوا الحديث عن هذه المسألة ، الإمام الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥ هـ ، فقد قال في كتابه « أحياء علوم الدين » ج ٢ ص ٥١ : (وأما العزل وهو أن يقذف الرجل مائه خارج الرحم منعاً للحمل - فقد اختلف العلماء في إباحته وكراهته .. والصحيح عندنا أن ذلك مباح) .

وقد لخص فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت في كتابه « تنظيم النسل » أخذ جانباً من كلام الإمام الغزالي في هذه المسألة فقال : « يرى الإمام الغزالي أن منع الولد مباح ولا كراهة فيه ، قال : لأن النهي إنما يكون بنص أو قياس منصوص ، ولا نص في الموضوع ولا أصل يقاس عليه ، بل عندنا في الإباحة أصل يقاس عليه ، وهو ترك الزواج أصلاً ، أو ترك المخالطة الجنسية بعد الزواج ، أو ترك التلقيح بعد المخالطة ، فإن كل ذلك مباح وليس فيه إلا مخالفة الأفضل ، فليكن منع الحمل بالعزل أو ما يشبهه مباحاً ... » .

مؤقتا ، لا يحرم على رأى عند الشافعية ، وبه
تفتى اللجنة ، لما فيه من التيسير على الناس ،
ودفع الحرج ، ولا سيما اذا خيف من كثرة الحمل ،
او ضعف المرأة من الحمل المتتابع ، بدون ان
يكون بين الحمل فترة تستريح فيها المرأة ،
وتسترد صحتها ، والله — تعالى — يقول :
« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .
واما استعمال دواء لمنع الحمل . . ابدأ فحرام .

٣ — ومن الأسئلة التى وجهت لى شخصيا
حول هذا الموضوع ما يأتى :

(أ) زوجان معهما طفل واحد ، ويسكنان فى
شقة من حجرتين ، ودخلهما الشهرى فى حدود
مائة جنيه فى ايامنا هذه سنة ١٩٨٨ ، ويريدان
باختيارهما واتفاقهما ، ان يوقفا الحمل لفترة من
الوقت ، ليتفرغا لتربية هذا الطفل تربية كريمة ،
فهل يجوز لهما شرعا ذلك ، مع انهما يؤمنان
ايماننا عميقا بأن كل شىء بقضاء الله وقدره ؟

وكان جوابى : لا مانع شرعا من ايقاف الحمل
لفترة من الزمان مادام يقصدان من وراء ذلك
حسن التربية لطفلهما ، وماداما يؤمنان هذا
الايمان العميق بقدرة الله تعالى على كل شىء .

ومسلكما هذا ، انما هو لون من مباشرة
الاسباب الشريفة ، التى احلها الله تعالى .

(ب) زوجان يسكنان فى شقة من ثلاث غرف ،
ومعهما ولد وبنت ، ودخلهما الشهرى فى ايامنا
هذه سنة ١٩٨٨ مائتى جنيه ، ويشعران بأن
هذا المبلغ يكفيهما لمطالب الحياة الشهرية التى
لا غنى عنها ، ويريدان باختيارهما ان يوقفا الحمل
لفترة من الزمان ، وقصدهما من ذلك ان يكون
للولد حجرة خاصة ينام فيها ، وللبنت حجرة
أخرى تنام فيها ، فهل يجوز ذلك شرعا ، مع
انهما يحافظان على أداء فرائض الله تعالى ،
ويحرصان على التقيد بأحكام دينه ؟

وكان جوابى : انه لا مانع شرعا من ذلك ،
لأنهما بفعلهما هذا يباشران الوسائل السليمة
لتربية ولديهما تربية قوية ، دعا اليها النبى —
صلى الله عليه وسلم — فى قوله : (علموا أولادكم
الصلاة وهم فى سن السابعة ، واضربوهم على
تركها وهم فى سن العاشرة ، وفرقوا بينهم فى
المضاجع) أى : عند النوم .

اما ما يعود على امتهم بالخير ، فلا يحظى
بجانب كبير من تفكيرهم او اهتمامهم . . .
والله تعالى يقول : « ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا ما بانفسهم » .

الرعد : ١١

رابعا : هناك فتاوى رسمية صدرت فى
موضوع تنظيم النسل او الأسرة ؟

والجواب : نعم هناك فتاوى متعددة صدرت
فى هذا الموضوع ، نكتفى بايراد نماذج منها :

١ — فى ٢٥ من يناير سنة ١٩٣٧ — أى :
منذ أكثر من خمسين سنة — ورد الى دار الافتاء ،
سؤال نصه : رجل رزق بولد واحد ، ويخشى
ان هو رزق اولادا كثيرين ، ان يقع فى حرج من
عدم قدرته على تربية الاولاد والعناية بهم ،
او تسوء صحته ، فتضعف اعصابه عن تحمل
واجباتهم ومتاعبيهم ، او أن تسوء صحة زوجته
لكثرة ما تحمل وتضع ، دون أن يهضى بين الحمل
والحمل فترة تستريح فيها ، وتسترد قوتها ،
فهل له او لزوجته ان يتخذا بعض الوسائل التى
يشير بها الأطباء ، لتجنب كثرة النسل ، بحيث
تطول الفترة بين الحمل ، فستريح الأم ،
ولا يرهق الوالد ؟

وقد اجاب فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم —
مفتى الديار المصرية فى ذلك الوقت — بقوله :
اطلنا على هذا السؤال ، ونفيد بأن الذى
يؤخذ من نصوص الفقهاء الأحناف ، أنه يجوز
أن تتخذ بعض الوسائل لمنع الحمل ، على الوجه
المبين بالسؤال . . . والفتوى بكاملها منشورة
بمجموعة « الفتاوى الاسلامية » ج ٢ ص ٤٥

٢ — وشبهه بهذا السؤال ، سؤال آخر ورد
الى لجنة الفتوى بالأزهر فى ١٠ مارس ١٩٥٣
ونصه : « رجل متزوج رزق بولد واحد ، ويخشى
ان هو رزق اولادا كثيرين ، ان يقع فى حرج
من عدم قدرته على تربية الاولاد والعناية بهم .
فهل له او لزوجته ان يتخذا بعض الوسائل التى
يشير بها الأطباء ، لتجنب كثرة النسل ، بحيث
تطول الفترة بين الحمل والحمل ، فستريح الأم ،
وتسترد صحتها ، ولا يرهق الوالد صحيا ،
او ماديا ، او اجتماعيا ؟

وكان الجواب : اطلعت اللجنة على هذا
السؤال ، وتفيد بان استعمال دواء لمنع الحمل

والجواب : لا تتعارض الدعوة الى تنظيم النسل متى سبقت بأسلوب حكيم ، مع قوله تعالى : « **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** .. » ومع ما يشبهها من آيات كريمة وذلك لأنه لم ينكر أحد من العقلاء أن المال الحلال ، والزينة الصالحة ، هما زينة الحياة الدنيا .

ولكن هناك ما هو أسمى منهما وأبقى ، وهو ما وضحته بقية الآية في قوله سبحانه : « **وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا** » (الكهف : ٤٦) ، أي : المال والبَنُونَ زينة يتزين بها كثير من الناس في هذه الحياة ، وإذا كان الأمر كذلك في عرف كثير منهم ، فإن الأقوال الطيبة ، والأعمال الصالحة هي الباقيات الصالحات ، التي تبقى ثمارها للإنسان ، وتكون عند الله تعالى : **خير من الأموال والأولاد** ، لأن المال والبَنِينَ كثيرا ما يكونان فتنه ، كما في قوله سبحانه « **أَمَّا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ** .. » (التغابن : ١٥)

أي أن أموالكم وأولادكم على رأس الأسباب التي تؤدي المبالغة في الاشتغال بها ، إلى التقتير في طاعة الله تعالى ، وإلى مخالفة أمره ، فكونوا مؤثرين لرضا الله ، على كل شيء سواه .

وقال سبحانه في آية أخرى قبل هذه الآية :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ

التغابن : ١٤

فالأولاد قد يكونون زينة ، وقد يكونون فتنه ، وقد يكونون أعداء ، وتنظيم النسل متى صاحبه النية الطيبة والمقاصد الشريفة ، كان عوناً للإنسان على أن يكون الأولاد قرعة عين له .

ولا تتعارض الدعوة الى تنظيم الأسرة مع قوله سبحانه :

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً ءَلَمْ يَكُنْ مِنْ زَرْعِهِمْ وَإِيَّكُمْ

الاسراء : ٣١

(ج) زوجان معهما ثلاثة اولاد ، وحالتهما المادية والصحية ممتازة ، ويردان أن يوقفا المادية والصحية ممتازة ، ويريدان أن يوقفا وليس ذلك لأسباب خاصة بهما وإنما لأنهما يعتقدان بأن الدولة التي يعيشان فيها ، هي بحاجة الى تنظيم النسل ، فهل هذا جائز شرعاً ، مع حرصهما التام على أداء أحكام دينهما ؟

وكان جوابي : أن هذا الشعور بطروف الدولة التي يعيشان فيها ، شعور طيب وحيد ، يدل على حسن الظن ، وعلى الثقة فيما تصدره الدولة من بيانات حول هذا الموضوع . كما يدل على الاهتمام المشكور بأحوال المجتمع الذي يعيشان فيه ، استجابة لقول النبي صلى الله عليه وسلم : **(من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)** .

ومادام شعوركما كذلك ، فما تريدان عمله من تأجيل الحمل لفترة من الزمان تتفقان عليها ، لا مانع منه شرعاً ، فإن الأمور بمقاصدها ، والأعمال بالنيات .

خامساً : أمن المصلحة أن تصدر الدولة قانوناً لتنظيم الأسرة أو النسل ؟

والجواب : ليس من المصلحة ذلك في تقديري ، لأن مسألة تنظيم الأسرة ، من المسائل الشخصية التي تتعلق بالزوجين وحدهما ، والتي تختلف من أسرة الى أسرة على حسب ظروفهما وأحوالهما ، وما يتعلق بالزوجين لا تعالجه القوانين ، وإنما خير وسيلة لتنظيم الأسرة : فهم الدين فهما سليماً ، وإشاعة هذا الفهم بين جميع أفراد الأمة . وأني أرجح أن على رأس الأسباب التي جعلت بعض الناس يتهاون في مسألة تنظيم الأسرة هو فقدان الوعي ، وعدم الفهم السليم لأحكام الدين ، ولشئون الدنيا ، والاستخفاف بالمسؤولية نحو الأبناء .

سادساً : هل تتعارض الدعوة الى تنظيم الأسرة مع قوله تعالى : « **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » أو مع قوله سبحانه : « **وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً ءَلَمْ يَكُنْ مِنْ زَرْعِهِمْ وَإِيَّكُمْ** .. » أو مع قوله تعالى : « **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا** .. » أو مع الحديث الشريف (**تَنَاسَلُوا تَنَاسَلُوا تَكْتَرُوا فَانِي مَبَاهَ بِكُمْ أَمَّامٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ؟**

والفقير ، وللصغير والكبير ولكن ذلك لا ينافي الأخذ بالأسباب ، والسعى في سبيل الحصول على الرزق ، إذ أن هذا الرزق قد جعل الله - تعالى - له وسائل ، من سلكها نجح ، ومن أهملها خسر ، وكيف لا وهو القائل في آية أخرى :

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكَ

الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

وَالِيهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾

الملك : ١٥

ولذا فتنظيم الأسرة لا يتعارض إطلاقاً مع الاعتقاد بأن الله - تعالى - هو الرازق لمخلوقاته ، لأننا مع هذا الاعتقاد مطلوب منا أن نسعى لطلب الرزق من وجوهه المشروعة ، حتى نقدم لمن هم أمانة في أعناقنا ما يفيهم ويستريحهم .

وفي الحديث الصحيح : (أنك إن تذر ورتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكفون وجوه الناس) ثم إنى بعد ذلك اتساع في حسرة : هل الناس - في مجموعهم - يؤمنون بهذه الآية إيماناً عملياً كما ينطقون بها لفظياً ؟

والجواب : إن واقعهم العملي الذي نحسبه ونشاهده ، يخالف أقوالهم .

بدليل أنهم لو كانوا يؤمنون بهذه الآية إيماناً عملياً عميقاً ، لما رايت الوساطات من فلان إلى فلان ، من أجل الحصول على أشياء معينة .

ولما رايت من يريق ماء وجهه ، ويذل نفسه لمخلوق مثله ، من أجل أن يمين بعض أولاده في وظيفة معينة ، أو في عمل معين ، أو أن يدخلهم له كلية معينة ... الخ .

ولما رايت أولئك الذين لا يعرفون معنى التعفف ، وهم يمدون أيديهم بالسؤال إلى مخلوق مثلهم !! فهل هذا المسلك الذي يتنافى مع الكرامة الإنسانية ، يتفق مع معنى قوله تعالى : « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ... » ؟

مما لا شك فيه أن الذي يتفق مع معنى هذه الآية الكريمة ، هو العفاف النفسي ، والسمو القلبي ، والتعالي على سؤال المخلوقين في أمر يتنافى مع مكارم الأخلاق .

ولكن آفة الناس الكبرى ، أن كثيراً منهم أقوالهم في واد ، وأفعالهم في واد آخر ، وهذا شر ما تبلى به الأمم .

لأنه ما قال أحد بان تنظيم الأسرة قتل للأولاد، وانما هو حماية لهم من النواحي الدينية ، والصحية والاجتماعية .

والآية الكريمة وما يشبهها من آيات ، تنهى عن قتل الأولاد قبل ولادتهم ، وبعد ولادتهم ، وتتوعد الذين كانوا يفعلون ذلك من أهل الجاهلية - ولا سيما مع البنات - بأشد أنواع العذاب ، ومن ذلك قوله تعالى :

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا

أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً

عَلَىٰ آلِهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

الأنعام : ١٤٠

وقوله سبحانه : « وإذا الموعودة سئلت . بأى ذنب قتلت » التكوين ٨ ، ٩

ولقد حرمت شريعة الاسلام الاجهاض - وهو قتل الجنين في بطن أمه - تحريماً قاطعاً ، ولم تحجبه - كما سيق أن نشيرنا - الا اذا حكم الطبيب الثقة ، بأن بقاء هذا الجنين ، سيؤدى الى هلاك الأم ، أو الحاق ضرر محقق بها . قال فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت ما ملخصه : (اتفق الفقهاء على أن إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه - وهو كما يقولون لا يكون الا بعد أربعة أشهر - حرام وجريمة ، لا يحل لمسلم أن يفعله ، لأنه جنابة على حي متكامل موثوق به وإن بقاءه بعد تحقيق الحياة هكذا يؤدى لا محالة الى موت الأم ، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين ، وهو إسقاط هذا الحمل .

أما إسقاطه قبل نفخ الروح فيه - أى قبل انتمام أربعة أشهر كما يقولون ، فقد اختلفوا فيه فرأى فريق أنه جائز ولا حرمة فيه ، ورأى آخرون أنه حرام أو مكروه ...) .

ولا يتعارض تنظيم الأسرة كذلك مع قوله تعالى : « وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها » هود : ٦

لأن كل انسان لا يكون مؤمناً حقاً ، الا اذا اعتقد اعتقاداً جازماً ، أن كل دابة في الأرض من انسان أو حيوان أو غيرها ، على الله وحده رزقها ، فهو - سبحانه - الرازق للفنى .

في حاجة الى كثرة الأفراد ، لخروجها من حروب مدمرة ، أو لوجود امكانيات ضخمة فيها .. لا تطالب بتنظيم النسل .

والخلاصة ان هذه المسألة تختلف من أسرة الى أسرة ، ومن قطر الى قطر ، على حسب الظروف والأحوال والامكانيات .

سأبينا : هل الدين يدعو الى اتخاذ وسائل معينة لتنظيم الأسرة ؟

الجواب : ان الدين يدعو الى الحياة السعيدة بين الزوجين ، ويرسم لهما طريقها ، ويحدد لهما ما هو حلال وما هو حرام ، ثم بعد ذلك يعطيها الحرية الكافية لتصريف حياتها في اطار شريعة الله تعالى ومكارم الأخلاق .

وطرق تنظيم النسل أو الأسرة ، كانت في القديم مقصورة على (العزل) — وهو قذف النطفة بعيدا عن الرحم عند الاحساس بنزولها .

وقد ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال : (كنا نعمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل) .

وفي رواية للامام مسلم عن جابر — أيضا — قال : (كنا نعمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله ذلك فلم ينهنا) .

ثم تطورت طريقة تنظيم النسل بمرور الأيام وابتكر الأطباء أنواعا كثيرة لهذا الغرض ، منها ما يؤخذ عن طريق الفم ، ومنها ما يؤخذ عن طريق الحقن ، ومنها اللوالب المعدنية الى غير ذلك من الوسائل ... وكل هذه الوسائل لا يعارضها الدين ، مادامت لا تتناقى مع آدابه ، ومادام قد حكم الأطباء الثقة بصلاحياتها ، وعدم حدوث ضرر من استعمالها .

وبعد : فهذه كلمة عن مسألة (تنظيم النسل) من الناحية الدينية ، قصدت بها بيان الحقيقة في هذه المسألة التي كثرت فيها الأقوال .

واسأل الله — تعالى — أن يجعلها خالصة لوجهه ، ونافعة لعباده ، كما أسأله — عز وجل — أن يوفقني لكتابة بحث عنها بصورة أكثر تفصيلا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وايضا لا تتعارض الدعوة الى تنظيم النسل مع قوله صلى الله عليه وسلم : (تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الالم يوم القيامة) .

لان هذا الحديث — مع كونه مرسلًا وليس مرفوعًا — نرجح أن المقصود به — والله أعلم — الكثرة المؤمنة الصالحة ، القوية المنتجة .

اذ من المعلوم ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — لا يباهى بكثرة فاسقة عاصية ، ضعيفة جائئة ، متخلفة جاهلة ، تستورد معظم ضروريات حياتها من غيرها .

وانما يباهى بالكثرة المستقيمة القوية ، العزيزة الغنية ، التي دائما يدها هي العليا ، ويد غيرها هي السفلى .

ولقد ذم النبي — صلى الله عليه وسلم — الكثرة التي لا فائدة من ورائها في حديثه المشهور الذي يقول فيه : (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة الى قصعتها . قالوا ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل انتم حينئذ كثر ، ولكنكم غناء كغناء السيل ، ولينزعن الله من قابوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

واذا فالكثرة الصالحة القوية المنتجة مرحبا بها ، وهي محل البهاة في كل زمان ومكان .

اما الكثرة المنحرفة الطائشة الضعيفة التي تهد يدها بالسؤال الى غيرها ، فان القلة الرشيدة خير منها .

ونحن نكرر ان مسألة تنظيم الأسرة ليست من المسائل التي لا تقبل التغيير أو النظر لأنها تنزّل من حكيم حميد .

وانما هي من المسائل التي تقبل المراجعة والنظر ، والتي هي من الأمور النسبية التي تخضع لظروف كل أسرة وأحوالها ، ولامكانيات كل دولة وتقديرها ، فقد يكون تنظيم النسل مطلوبًا في أسرة دون أسرة وفي دولة دون دولة .

فالآقطار التي تشكو من تضخم السكان ، في حاجة الى تنظيم الأسرة أو النسل ، والآقطار التي

الانسان في مفهوم اقبال :

أما الانسان برغم ما فيه من نقائص وعيوب ، فهو في مفهوم اقبال أسمى من تلك الطبيعية (الجامدة) ، لأنه قبل أن يحمل الأمانة العظمى التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها ، لقوله تعالى :

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ، انه كان ظلوما جهولا » .

الأحزاب : ٧٢

ولقد تحقق اقبال من أن بعث الانسان يواطن فرد ، وكعضو في المجتمع لا يتأتى الا من خلال الانسان ذاته ، ومن ثم كانت نظرية « الذات » أو « خودي » التي تقوم على أن كل نشاط وحركة نظرية كانت أو عملية إنما تنبثق من النفس وتتولد فيها ، وهي مبدأ شامل للحياة والكون . ويرى اقبال صورة الانسان الكامل متمثلة في ذلك الذي يرفع راسه عزة وأن المسلم المتلزم هو الوحدة التي يقوم عليها رقى الجماعة الاسلامية ، وإن الجماعة لا ترتقى الا بترابط أفرادها المتلتزمين ، فإنه يعلن في مقولاته « أن وجود الفرد قائم بارتباطه بالملة ، أما وهو منفرد لو منسلخ منها ، فليس هو بشيء نمثله كمثل الموج يكون في البحر أما في خارج البحر فلا وجود له » .

ولهذا كله يدعو اقبال في اصرار أمة الاسلام ويناشدها أن تلتزم الشريعة والخشوع — لله — حتى تعود لسيرتها المجيدة الاولى . وفي ذلك يقول مخاطبا الأخ المسلم المتلزم :

« اجعل ثوبك ثياب الاحرام ..

واجعل الصبح ينفلق من غبار الليل ..

وكن مثل الآباء غارقا في السجود ..

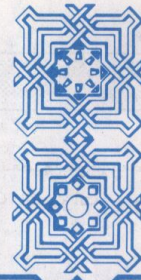
مصدر نظرية الذات عند اقبال :

هنا نجد المؤلف الدكتور أحمد معوض يقول

لنا « أدت المحاولات التي بذلت لتأصيل نظرية الذات عند اقبال الى نقاش طويل وبحوث معقدة ، والأمر في حقيقته لا يتطلب كل هذا النقاش والبحث » . ويعمل ذلك بقوله : « ان مصدر نظرية اقبال الرئيسى هو القرآن المجيد وما اثر عن النبي الكريم .. ومن هنا كانت دعوة اقبال الى اصلاح الذات وفقا للقيم الحقيقية في الحياة الروحية والفكرية والطبيعية ، كما أبرزها أساسا رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام فالدين لدى اقبال مجمع متكامل لإدارة من الحياة .. وهو .. ليس مجرد فكر ولا مجرد شعور أو مجرد عمل ، وإنما هو تعبير عن الحياة ككل » .

ومن ثم فقد نفى المؤلف بشدة ما ادعاه البعض من أمثال صديق اقبال وادوارد .ح. براون مؤلف التاريخ الأدبي الفارسي بالانجليزية (١٩٢٤) من وجود محاكاة في نظرة اقبال تلك بينها وبين نظريتي كل من نيتشه وامرسون عن « الرجل المتفوق » أو الرجل الأعلى وعلل ذلك للمفارقة الواضحة بين مصدر كلتا الفكرتين عن « الانسان الكامل » عند اقبال ونيتشه حيث أن هذا الأخير قد أسس نظريته تلك وفلسفته الأخلاقية على نظرية دارون في النشوء والارتقاء .. كما أن نيتشه — بمادته وجدليته الفكرية المعروفة — لا يعترف بأى هدف روحى في الكون ، ولا يرى مبدأ أخلاقيا قائما في قوى التاريخ ، ويرى أن الفضيلة والعدالة والواجب والحب كلها الفاظ لا معنى لها (!!) .

ومن ثم ، وكما يقرر المؤلف بحق ، « لا يمكن القول بأن آراء نيتشه عن « الرجل المتفوق » تطابق نظرة اقبال الروحية الى الانسان الكامل القائمة على أن « كل انسان هو مركز القوة الكامنة » وهذا ما أوشك أن ينهى به المؤلف القسم الأخير من كتابه ، وإن كان قد ختمه — كما أشرنا من قبل — ببعض ترجحات نصية لعدد من منظومات اقبال الشعرية .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَأَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
«صدق الله العظيم»



أَنْتَ تَسْأَلُ
وَالْمَفْتَى يَجِيبُ

فضيلة الشيخ حليّة هادي



السؤال :

١ - هل الاحتلام ليلاً أو نهاراً يبطل الصيام ؟

٢ - هل توجد سبع أرضين كما توجد سبع سموات وما الدليل على ذلك ؟

٣ - ما معنى قوله تعالى « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الفی .. » ؟

خالد محمود سيد أحمد
بیر العبد - شمال سینا

الجواب :

١ - الاحتلام الطبيعي الذي ليس متعمداً لا يبطل الصيام ليلاً ولا نهاراً ، ويجب الغسل وإتمام الصيام دون قضاء ، وإن كان عن تعمد وبالنهار بطل الصوم ، وعليه القضاء ، وقال بعض الأئمة يجب مع القضاء كفارة عظيمة وهي صيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً .

٢ - قال تعالى : « الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن » .

الطلاق - ١٢

وجاء في الأحاديث : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أظللن . » كما جاءت أحاديث أخرى تذكر أن الأرض سبع أرضين .

وللفسيرين في ذلك أقوال أهمها ثلاثة :

(١) أن الأرض سبع طبقات بعضها فوق بعض ، وبين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء ، وفي كل أرض سكان من خلق الله ، وهذا هو قول الجمهور كما ذكره القرطبي « ج ١٨ ص ١٧٤ » .

(ب) أنها سبع طبقات بعضها فوق بعض من غير فتوق ومسافات بخلاف السموات ، وهو قول الضحاک .

(ج) أنها سبع أرضين منبسطة ، يعنى ليس بعضها فوق بعض ، وإنما تفرق بينها البحار وتظلها سماء واحدة ، وقد تكون هي الأرض التي نعيش عليها مقسمة إلى قارات ، أي كتل منفصلة بالبحار والمحيطات ، يعرف منها أو رأسياً ، وهي آسيا وأوروبا ، وإفريقيا ، وأمريكا الشمالية ، وأمريكا الجنوبية ، وأستراليا ، والقارة القطبية الشمالية ، أو شبه جزيرة جرينلاند والقارة القطبية الجنوبية .

وتلك اجتهادات في التفسير ليس على أحدها دليل قاطع ، وذلك إذا أردنا بالرقم ٧ هو حقيقته ، بخلاف ما لو أردنا به التعبير عن الكثرة بصرف النظر عن حدودها . ولعلماء اليوم اجتهادات قائمة على ظنون وافتراضات ، والقدر الواجب علينا معرفته هو أن الأرض سبع لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه ، وقد ذكر القرآن عددها كما ذكر عدد السموات لبيان قدرة الله وسعة كونه ، وإحاطة علمه بكل شيء ، وهذا القدر كاف في صحة الإيمان بما في القرآن :

٣ - معنى قوله تعالى « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الفی .. » .

أن العقيدة لا يمكن أن تغرس بالاكراه ، فهي تصديق قلبي واطمئنان نفسي ، يترك لاختيار الإنسان ، أما القول الظاهري الذي يدعى الإيمان فلا عبرة به عند الله ، وإن كان الناس يتعاملون فيما بينهم على أساسه ، فهناك منافقون آمنوا ظاهراً بالسنتهم وكفروا باطناً بقلوبهم ، وشهد الله أنهم كاذبون ولهم الدرك الأسفل من النار ، ومبدأ النهي عن الإكراه على الإيمان مبدأ قديم ، وقد حكى الله عن سيدنا نوح قوله لقومه « أنزلكموها وأنتم لها كارهون » .

هود - ٢٨

فضل العلم

السؤال : ما المقصود بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضى الله عنه « لأن تفقدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة » .

بهاء الدين ابراهيم سيد

النحال — ابو قرقاص — المنيا

الجواب : روى ابن ماجه باسناد حسن عن ابي ذر رضى الله عنه قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يا ابا ذر لان تفقدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من ان تصلى مائة ركعة ، ولان تفقدو فتعلم بابا من العلم ، عمل به او لم يعمل ، خير لك من ان تصلى الف ركعة » .

كلمة « فتعلم » في الحديث يمكن ان تكون من العلم او من التعليم ، والمراد به الحث على طلب العلم ، والحث على تعليمه للغير ، والنصوص في فضل ذلك كثيرة ، ومن اقواها قول النبي صلى الله عليه وسلم « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ومسلم وقوله « لا حسد الا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلطه علىهلكه في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها » رواه البخارى ومسلم .

واذا كان الله يرغب في تحصيل العلم ويجزل الثواب عليه ، فهو يأمر المتعلم بالعمل بما علم ، ويحذر من مخالفة قوله لفعله ، وبخاصة اذا تصدى لتعليم الناس ما تعلمه هو ، والنصوص في ذلك كثيرة ، وهو اذا رغب في التعليم شجع المعلم على مواصلة التعليم ولا يدخل اليأس

وحكى عن سيدنا شعيب قوله لقومه في هذه الآية :

* قَالَ أَلَمْ لَّا الَّذِينَ آسَأُكِبْرًا مِنْ قَوْمِهِ لَخَرَجْنَاكَ يَشْعِبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾

الاعراف — ٨٨

وقال لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ

لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾

يونس — ٩٩

الى غير ذلك من الآيات التى تدل على أن العقائد لا تغرس بالاكراه .

« فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

الكهف — ٢٩

والكلام طويل في الآية موضوع السؤال ، هل هى خاصة بأهل الكتاب من اليهود والنصارى لا يجبرون على الايمان ، ويكتفى منهم بالجزية ، او هى عامة ولكن نسخت فمقد اكره النبي صلى الله عليه وسلم العرب على دين الاسلام وقتلهم ولم يرض منهم الا بالاسلام ، والناسخ لها قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ

التحريم — ٩

وفي الحديث : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله » .

ويمكن الرجوع في ذلك الى كتب التفسير .

ردود قصيرة

١ - السيد / عادل فتحي من رويته كفر الشيخ : صلاة الجمعة تصح ما دامت الخطبة قد القيت ، بصرف النظر عن رضا المستمعين عن الخطيب أو عدم رضائهم ، وهي تصح بأقل عدد ممكن عند بعض الأئمة .

٢ - السيد / عادل البسكاوي من قرية ٢٨ بصر ، خفير شهاب الدين بلقاس :

سبق في عدد شعبان الماضي من هذه المجلة بيان الفرق بين الرشوة والهدية ، فارجع اليه ، مع العلم بأن الرشوة يترتب عليها ظلم ، والهدية غير المشروطة قولاً أو عرفاً ولا يترتب عليها ظلم يرجع فيها الى النية ، وعلى من بيده قضاء مصالح الناس أن يتقى الله في عمله ، والتربية الصالحة مع الرقابة الشديدة تنضى على كثير من المفساد وتدفع العجلة الى الامام .

٣ - السيد / سراج عثمان عبد المعطى ، من نجع سعيد - دشنا - قنا :

يجوز للمؤذن أن يؤم الناس في صلاة الجماعة ، وليس هناك دليل يحرم ذلك أو يكرهه .

٤ - السيد / ج. م. م. من النويرة بنى سويف :

عليك أن تتوضأ في الوقت الذي لا يخرج منك فيه ريح ، فاذا استمر ذلك واستغرق الوقت كنت معذوراً ، وعليك أن تتوضأ لكل صلاة أو لكل وقت ، والله يعفو عما يخرج منك اثناء الصلاة .

٥ - السيد / توفيق جودة من الكرية - الاسماعيلية :

قال تعالى : « واما ينزغك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم » . الأعراف : ٢٠٠

عندما يأتيك الوسواس استعذ بالله ، والاستعاذة بالله وأنت في الصلاة لا تبطلها ، ولا تسلم نفسك لهذه الهواجس ، وأكثر من قراءة القرآن حتى يكشف الله عنك .

والقنوت قلبه اذا رأى أن من يتعلم منه لا يعمل بما علم ، فما على الرسول الا البلاغ ، والله سبحانه سرى عن نفس النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يأسف ويحزن لعدم استجابة الكفار لدعوته ، وكان يتمنى أن يستجيبوا ويهتدوا ، فقال له :

« انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء » .

القصص - ٥٦

ولذلك نص الحديث موضوع السؤال على أن الله يعطى الثواب لمن يعلم باباً من العلم سواء عمل به أو لم يعمل .

والذى احب أن ينتبه الناس اليه في هذا الحديث بالذات ، أن العلم أو التعليم ، ولو آية واحدة أو باب واحد من العلم ، لا يغنى عن الصلوات المفروضة ما دام أقل شيء من الجهد يبذل في سبيل العلم خيراً من صلاة مائة ركعة أو الف ركعة . لأن الثواب العظيم على عمل لا يغنى عن أداء المفروض على الانسان ، مثل ذلك مثل ما جاء عن ثواب الصلاة في المسجد الحرام بمكة بأنه خير من مائة ألف صلاة فيها سواء ، وفي المسجد النبوى بألف صلاة ، وفي المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة ، ومثل ما جاء في ثواب الفريضة في رمضان بأنه يعدل ثواب سبعين فريضة فيما سواه .

فلنفهم ذلك جيداً ولا يغرينا الثواب على عمل بالاهمال في عمل آخر هو مفروض على الانسان ، فان التقصير فيه قد يذهب بالثواب الذى حصله من عمله الآخر .



السلام

ما أجل أن يعيش الإنسان في سلام دائم مع نفسه أولاً ، ومع أهله وعشيرته وأقاربه وجيرانه وكل الناس بعد ذلك لأن السلام هو مبعث الطمأنينة والراحة والخلق والابتكار ، ودون سلام تصبح الحياة قاسية مريرة ملؤها الرعب والفرع والخوف والهلع والشرد والضيق ، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش في جو تخنقه العداوة والتربص والقتل والفتك والديساتس والمؤامرات وخير شاهد على هذا ما نلمسه ونحسه في الظروف المحيطة بنا من كل جانب ، والحروب الطاحنة التي تدور رحاها في الشرق والغرب فتاكل الأخضر واليابس وتصيب الشعوب والجماعات بالنزيف الروحي والمادى ، وتخلف وراءها الأشلاء المبعثرة والنماى والتكالى والأرامل ، وهذا لا يقره الإسلام ، ولا يرضاه العقل السليم ، وتاباه كل الشرائع والقوانين ، وقد وضع الإسلام أساساً قوياً للحياة الحرة الكريمة حيث قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » فلماذا يتعالى المسلمون على بعضهم البعض ويتغالى البعض منهم فيسرف في خصامه حتى يصل بهذا إلى السباب والقتل وغير ذلك من مستقيح الأمور ؟ والله — سبحانه وتعالى — يخاطبنا قائلاً : « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » .

الأنفال : ٦١

الا يعلم المسلم أن الجنة التي نعمل لها جميعاً ونحاول جاهدين أن نكون من أهلها هي (دار السلام) ؟ ! .. مصداقاً لقول الله تعالى : « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون » .

الأنعام : ١٢٧

اعتقد أن الناس قد غلب عليهم حب الدنيا وجرفهم ذلك التيار البراق فاعمى أبصارهم وأصم آذانهم وجعلهم بعيدين عن حقيقة الإيمان وفي هذا يقول العليم القدير — جلت قدرته — « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » .

آل عمران : ١٤

فهل يثوبون ويرجعون .. والله قابل التوب شديد العقاب .

الكلمة وتوحيد الصف ونبذ الفرقة والتمسك بتعاليم الدين الحنيف لاسعاد المجتمع الاسلامي تحقيقا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» .

الأستاذ / سيد حسن القيومي - شركة النصر للتليفزيون والالكترونيات سابقا بالمعاش حاليا - ٣٢ ش نصار بين السرايات .

« وقالت هيت لك » :

تحت هذا العنوان كتب الينا القارئ الفاضل يقول : عرض الرغبة امتهان واذلال ، والامر الواقع نفس وهم للبطان عرفا وقانونا ، وقد صدر الحكم عليها فيما بعد من القيادات النسائية بوطنها يعبرن عن الراى العام بوطنهن بعد تقصى الحقائق « انا لنراها في ضلال مبين » حينما علمن بما حدث « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا » حيث انها بعملها الاحق أصبحت ندا لمن تملكه بسبب عرض الامر الاجرامى بل واقل منزلة من العبيد عندما رفض فتاها ما تطلبه منه ، لان ما تطلبه لا يقبله اى مجتمع ، ويتنافى مع القيم والمثل والأخلاق ، ومع هذا لم ترتدع ولم تفتى الى رشددها ، فاستخدمت حقها فى اصدار الامر اليه ، واصدار الامر ملزم للتنفيذ الفورى دون تردد او نقاش ، وفي حالة عدم التنفيذ يعتبر متبردا وعاصيا للأوامر الصادرة اليه ، ويكون جزاؤه القتل العاجل حسب العرف بمعاملة العبيد دون سابق انذار ليكون عبرة لغيره من العبيد الآخرين بالدولة حتى لا يفكرون فى التمرد والعصيان فى اى وقت .. واذا كان من حقها عرفا اصدار الاوامر للتنفيذ الفورى فليس من حقها اصدار الاوامر الباطلة عرفا وقانونا وقد قالت فيما بعد باعترافها : « وان الله لا يهْدِي كيد الخائنين » . ولما كانت ظالمة ومتعسفة فى اوامرها فقد استحققت قول الله - تعالى - « انه لا يفلح الظالمون » ومن هم الظالمون ؟ :

- ١ - الذين يعتدون على حرمان الله .
- ٢ - الذين ياكلون اموال الناس بالباطل .
- ٣ - الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما .
- ٤ - الخائنون لأوطانهم .
- ٥ - الذين يعبرون عن آرائهم بالنسف والتدمير والقتل والارهاب .
- ٦ - الذين يعبثون فى الأرض فسادا ويدعون كذبا بأنهم يحسنون صنعا .

الاديب السيد / ابراهيم خليل ابراهيم - رئيس تحرير مجلة العروبة الاذاعية بالقاهرة - شبرا الخيمة - مساكن عثمان - عمارة ٩

الاخوة الاسلامية :

يقول صديق المجلة تحت هذا العنوان : ان للاخوة الاسلامية واجبات تقتضى من المسلم ان ينصر أخاه اذا استنصره ، ويخف لنجدته اذا استنصره ، ويؤازره فى البأساء ويعاونه فى الضراء وانها لجريمة اذا وقف منه فى محنته موقفا سلبيا او انزعاليا لأن فى ذلك ظلما له وخيانة واضعافا له وخذلانا .. عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره ولا يخذله ولا يكذبه » ولقد سجل تاريخنا الاسلامى الدعوة الى وحدة عربية شاملة ثم وحدة اسلامية كاملة ثم وحدة انسانية فاضلة قوامها المحبة والوئام وهدفها تحقيق الاين والسلام وعدتها العلم والقوة .. ولتعلم المسلمون ان عزهم فى وحدتهم ، وذلمهم فى فرقتهم .. وليتدبروا قول الله تعالى :

« وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون » وعن ائى الرداء - رضى الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « عليكم بالجماعة فانما ياكل الذئب من الغنم القاصية » ويقول - جل جلاله - « انما المؤمنون اخوة » ودعوة الاسلام هى دعوة اخوة ووئام ومحبة وسلام وامن ، ورسول الله - صلوات الله عليه وسلامه - أخى بين الاوس والخزرج بعد عداوة وحزبية وفرقة دامت سنين ثم أخى بين الانصار والمهاجرين ، وقد دعم هذه الاخوة بروح الايمان ، وعلى أساس متين من الاخلاق الفاضلة تكونت امة واحدة ، وانا ادعو الدول العربية الى اتحاد الكلمة وجمع الشمل ، ولتكن على يقين انه لا تقدم ولا رغبة اقتصادية ولا سعادة الا اذا تمسكنا بتعاليم الاسلام ووجدنا الصف امثالا لأوامر الله - عز وجل - ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - فالؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا .

فى الحقيقة اجدنى هنا مدفوعا للاشادة بك فى كل ما تكتبه ، لأنك تتناول موضوعات حية لها اثرها الفعال فى نفوس الفرد والجماعة ، والمجلة تعتز بصداقتك وتحبى فيك هذه الروح الوثابة للخلق والابداع .. لهذا فانا اضم صوتى الى صوتك فى كل ما تنادى به من لم الشمل وجمع

وثمرة الايمان ونور وضياء .. والتواصي بالحق ضمان وامان من الخسران .. الحق في العقائد توحيد ينبذ الشرك .. والحق في اللسان صدق يابى الكذب ، والحق في السلوك استقامة لا تقر الانحراف .. والحق في البصر والمشاعر والفرائض والعلاقات سراج وهاج .. وكل لوم على كلمة الحق عقبة لابد من تذليلها وعائق لابد من تحطيمه .. وما أروع قول الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم « من أَرْضَى الله بسخط الناس رَضِيَ الله عنه ، وأَرْضَى عنه الناس ، ومن أسخط الله برضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » .

نعم : الكلمة هي اصل الوجود وسر الحياة ونبع الحنان ومصدر الإشعاع والالهام .. وقد قامت الرسالات والديانات واهتزت العروش والقصور ، وخفقت الرايات وارتفعت الأعلام وأنشئت الحضارات وامتدت الأمجاد بالكلمة .. والله - سبحانه وتعالى - عندما أرسل محمدا - صلى الله عليه وسلم - أرسله بكلمة الحق . « يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر ، ولا تمنن تستكثر » .

وشكرا لك على المعاييدة الرقيقة التي أرسلت بها وكل عام ونحن جميعا والأمة الإسلامية في خير

السيد / محمد السيد إبراهيم بشار - كفر الشنهاب - مركز المنصورة - نقهية .

دنيا زائلة :

يخاطبنا القارئ تحت هذا العنوان قائلا : خطب الإمام على - كرم الله وجهه - خطبة فقال فيها .. « اعلّموا أنكم ميتون ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على أعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فانها بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالعذر موصوفة ، وكل ما فيها الى زوال ، وهي بين أهلها دول وسجال ، لا تدوم أحوالها ولا يسلم من شرها ، نزالها فبينما أهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في بلاء وغرور ، أحوالها مختلفة ، وتاراتها منسرفة ، العيش فيها مضموم ، والرخاء فيها لا يدوم وإنما أهلها فيها أغراض مستهدفة ، ترميهم بسهامها وتقضيهم بحماها ، وكل حتفه فيها مقدور ، وحظه فيها موفور ، وأعلموا عباد الله أنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل

كل هؤلاء ظالمون لأنفسهم ولجتمهم يخربون بيوتهم بأيديهم وبسيادة القانون .. وهو في الواقع أمام امرين .. الأول صادر منها اليه للتنفيذ وعدم التنفيذ يعرضه للقتل .. الثاني صادر من الله بعدم التنفيذ ومخالفة عذاب الله في يوم عظيم ، وبكل حزم وعزم رفض الأمر الأول وهو الأدنى وأطاع الأمر الثاني وهو أمر الله لأنه الأعلى حتى لا يكون ضمن مجموعة الظالمين ، وقد حدث شيء لم يكن في الحسبان فبدلا من تنفيذ الحكم بالاعدام كان التحكيم في صالحه مع أنه مخالف للعرف السائد آنذاك بمعاملة العبيد ، ولكن الله تعالى - أضلهم جميعا لتصبح مرة أخرى ندا لمن تملكه وصدر ضدها الحكم من أحد أفراد حاشيتها والمقربين اليها « أنك كنت من الخاطئين » ..

انه عرض رخيص من امرأة خائنة نسبت سلطانها وزوجها وعرشها وانساقا وراء النزوة المعارضة والرغبة المحمومة العارمة ، واعتقدت انها بما تملك من انوثة طاغية وتيه وجمال وجبروت وسلطان ودلال تستطيع أن تصل الى ما تريد ، فسخرت منها الأقدار وأضحكت عليها نسوة المدينة ، فعابوها المكر والدهاء وحب الانتقام من النسوة حينما علمت باستهزائهن وسخريتهن .. « فلما سمعت بمكرهن أرسلت اليهن واعتدت لهن منكبا وآتت كل واحدة منهن سكنا وقالت أخرج عليهن فلما رأيتهن أكبرنه وقطنن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم » ولعل في هذا شفاء لما يوغر صدرها ، ولعله أيضا درس قاس لمن تمنن نفسها وتفرط في كرامتها وعرضها وتمشي خلف عواطفها ونزواتها ..

الأستاذ عادل جمعة سيد أحمد - محرر صحفي - الزقازيق - ص.ب ٦٩

كلمة :

أرسل الينا الكاتب بهذه الكلمة التي جاء فيها .. الصحافة كلمة ، والاذاعة كلمة ، والتلفاز كلمة ، المنابر كلمة ، والراي كلمة .. وهل يعرف الراي الا بالكلمة ؟ ! فاذا التزم الناس الحق في الكلمة فقد هدوا الى الصراط المستقيم ، ولا يستقيم أمر المجتمعات الا بكلمة الحق .. ولقد ارتفع الاسلام بكلمة الحق حتى جعلها افضل الجهاد « افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .. ان الحق رسالة العقل ..

ومعدومة الإرادة الى ان جاء الاسلام بمآثره الفياضة فحررها من أيام الجاهلية ، وحافظ على كرامتها ورعاها ، وجعل لها حقوقا على زوجها ان ينفق عليها ويكسوها ويعاملها معاملة طيبة لقوله تعالى : « **وعاشروهن بالمعروف** » ولقد كانت المرأة في عهد النبوة نورا يتلألأ لها بدامتها من قوة إيمانها وصلابة عقيدتها ووفائها بعهد ربها فكانت مبايعتها لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — على أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن ترعى حرمان الله ، وأن تظل محافظة على عفتها ، ولا تأتي شيئا مما حرمه الله عليها امثالا لقوله تعالى :

« **يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبائعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم** » .

سورة المتحنة — ١٣

فالمرأة في ظل الاسلام مسئولة امام الله — تبارك وتعالى — عن طاعتها لربها وطاعتها لزوجها ، وعن تربيتها لأولادها تربية سليمة لأنها راعية في بيت زوجها ، وكل راع مسئول عن رعيته مصداقا لقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « **الا كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته** » فكل واحد منا في الأسرة والمجتمع والدولة مسئول عن رعيته .

لا ينكر انسان ان الاسلام رفع قدر المرأة وأعلى شأنها وحفظ لها كرامتها بعد ان كانت مهينة الجناح في الجاهلية لا يعرف أحد قدرها ولا ينظر اليها نظرة احترام .. ومن هذا المنطلق شاركت المرأة الرجل في شؤون الحياة وفي امور الدعوة واصبحت تتحمل الأعباء والمسؤوليات وتسهم بدور ايجابي فعال في تربية النشء وبناء الجبل وتقدم ما لديها من خبرات لها اثرها في تاريخ البشرية الى جانب حفاظها على زوجها وأولادها ومجتمعها ما دامت تخاف الله وترعى شؤون الدين والاسلام .

من قد مضى ممن كان أطول منكم أعمارا وأشد منكم بطشا ، وأعمر ديارا ، وأبعد آثارا ، فأصبحت أصواتهم هامة خادمة من بعد طول تقلبها ، وأجسادهم بالية ، وديارهم على عروشها خاوية ، وآثارهم عافية ، واستبدلوا بالتصور المثيدة ، والسرر والنفارق المهدة ، الصخور والأحجار المسندة في القبور اللاطية الملحدة ، فحملها مقتررب ، وساكنتها مقتررب بين أهل عماره موحشين ، وأهل محله متشاغلين ، لا يستأنسون بالعمران ، ولا يتواصلون تواصل الجيران والأخوان على ما بينهم من قرب المكان والجوار ودنو الدار ، وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكلة البلا ، وأكلتهم الجنادل والثرى » .

فمن هذه الخطبة المتناسقة الرفيعة نستخلص عدة أشياء .. أن الدنيا مهما طال عمر الانسان فيها فلا بد من الموت والفناء ، وأن الانسان مهما بلغ من القوة والعظمة والطفان فلا يمكن أن يجعل لنفسه فيها الخلود ، ولا أن يجتنب في الآخرة النار التي هي مصير المنضب الآثم .. وأن الامام عليا بلغ مبلغا عظيما من التقى والعلم بأحوال الدنيا ومصيرها ويظهر ذلك واضحا في مدى بلاغته وحسن كلامه وترابط أفكاره وتأثره بالنبي — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه .

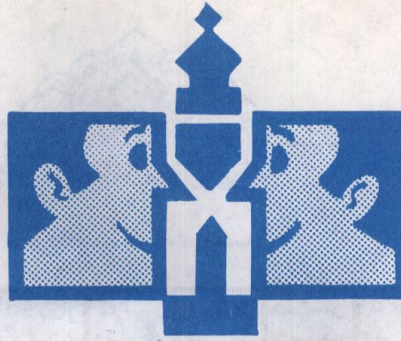
حقا يا عزيزي .. الدنيا دار بلاء ورياء ، وهم وغم وشقاق ونفاق ، يفرح الانسان بها اذا أقبلت عليه ، ويسبها ويلعنها اذا أعرضت عنه وأعطته ظهرا فالحاقل من عمل لما بعد الموت وفكر بعين العقل في هذا المصير الزائل ، والامام على — رضى الله عنه — كما نعلم جميعا امام البلاغة وأستاذ البيان وقمة العلم والتقى .. والرسول — صلى الله عليه وسلم — يقول عنه : « **انا مدينة العلم وعلى بابها » وهذه شهادة عظيمة من رسول العالمين وخاتم الأنبياء والمرسلين .**

الأستاذ فؤاد فتحي محمد عبد الرحيم —
مدرس بمدرسة التحرير — سنجرج المنوفية .

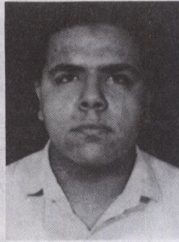
المرأة في ظل الاسلام :

تحت هذا العنوان جاعنا ما يلي :
لقد كانت المرأة الجاهلية مسلوقة الحقوق

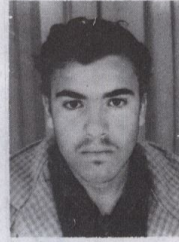
التعارف



بريد



الاسم : حسام عبد القادر محمد قطب
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : مراسلة الشباب المسلم والقراءة
العنوان : ١٠ ش مصطفى منير ادهم
الزهاء مصر القديمة



الاسم : شتيوى بلقاسم
السن : ٣٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة بالعربية-الفرنسية
الانجليزية - الاطلاع - جيع الطوايع والصور
العنوان : شارع الصالح بشار منزل
رقم و بريد ليشانه 7360 ولاية
بسكرة - الجمهورية الجزائرية



الاسم : ربيع معزوز عطية
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب دبلوم تجارى
الهواية : القراءة - المراسلة - الرياضة
العنوان : محافظة كفر الشيخ - قرية
الحمراوى



الاسم : عبد الحميد زيدان محمد
عوضين
السن : ٢٠ سنة
المهنة : طالب
الهواية : الاطلاع الدينى والعلمى -
المراسلة
العنوان : حلوة الكبرى - بلقاس -
دقهلية



الاسم : عبد الحكيم حسين
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة القرآن - الكتب
الدينية
العنوان : ج.م.ع محافظة الغربية
الحلة الكبرى - محلة زياد



الاسم : نبيل محمد الكلاوى
السن : ٢٨ سنة
المهنة : موظف - جامعة الأزهر
الهواية : الاطلاع الدينى - المراسلة
العنوان : ج.م.ع ٩ ش باب الوداع
درب النخلة - الخليفة



الاسم : على بكر
السن : ٢٧ سنة
المهنة : موظف - جامعة الأزهر
الهواية : قراءة الصحف والمجلات
العالية - المراسلة
العنوان : ١٨ ش أبو بكر الصديق
مدينة النور شبرا مصر



الاسم : محمد عزت على الشميرنى
السن : ١٨ سنة
المهنة : طالب
الهواية : قراءة الكتب الدينية -
حفظ القرآن الكريم
العنوان : ١٨ ش عبد القادر الراعى
منية السراج - شبرا ج.م.ع

موافيت الصلاة

الأيام	صفر ١٤٠٩	سبتمبر ١٩٨٨	فجر هـ ت	شروق هـ ت	ظهر هـ ت	عصر هـ ت	مغرب هـ ت	عشاء هـ ت
الاثنين	١	١٢	٥ ١٠	٦ ٣٨	١٢ ٥١	٤ ٢٢	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الثلاثاء	٢	١٣	١١	٣٨	٥١	٢٢	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الأربعاء	٣	١٤	١٢	٣٩	٥١	٢٢	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الخميس	٤	١٥	١٣	٣٩	٥٠	٢١	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الجمعة	٥	١٦	١٣	٤٠	٥٠	٢١	٧ ٤٩	٨ ٢٩
السبت	٦	١٧	١٤	٤١	٥٠	٢١	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الأحد	٧	١٨	١٤	٤١	٤٩	٢١	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الاثنين	٨	١٩	١٥	٤٢	٤٩	٢١	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الثلاثاء	٩	٢٠	١٥	٤٢	٤٨	٢٠	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الأربعاء	١٠	٢١	١٦	٤٣	٤٨	٢٠	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الخميس	١١	٢٢	١٧	٤٣	٤٨	٢٠	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الجمعة	١٢	٢٣	١٧	٤٤	٤٧	١٩	٧ ٤٩	٨ ٢٩
السبت	١٣	٢٤	١٨	٤٤	٤٧	١٩	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الأحد	١٤	٢٥	١٨	٤٥	٤٦	١٩	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الاثنين	١٥	٢٦	١٩	٤٥	٤٦	١٩	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الثلاثاء	١٦	٢٧	٢٠	٤٦	٤٦	١٩	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الأربعاء	١٧	٢٨	٢٠	٤٦	٤٥	١٨	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الخميس	١٨	٢٩	٢١	٤٧	٤٥	١٨	٧ ٤٩	٨ ٢٩
الجمعة	١٩	٣٠	٢١	٤٧	٤٥	١٨	٧ ٤٩	٨ ٢٩
السبت	٢٠	أول أكتوبر	٢٢	٤٨	٤٤	١١	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الأحد	٢١	٢	٢٣	٤٩	٤٤	١١	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الاثنين	٢٢	٣	٢٣	٤٩	٤٣	١٠	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الثلاثاء	٢٣	٤	٢٤	٥٠	٤٣	١٠	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الأربعاء	٢٤	٥	٢٤	٥١	٤٣	١٠	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الخميس	٢٥	٦	٢٥	٥١	٤٣	١٠	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الجمعة	٢٦	٧	٢٦	٥٢	٤٢	٩	٣ ٤٠	٧ ٥٩
السبت	٢٧	٨	٢٦	٥٣	٤٢	٩	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الأحد	٢٨	٩	٢٧	٥٣	٤٢	٩	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الاثنين	٢٩	١٠	٢٧	٥٤	٤٢	٩	٣ ٤٠	٧ ٥٩
الثلاثاء	٣٠	١١	٢٨	٥٥	٤١	٨	٣ ٤٠	٧ ٥٩

- ١ التحرير
- ٢ بقلم رئيس التحرير
- ٧ مع القرآن الكريم
- ٨ تفسير سورة الأنعام
- ٨ لفة القرآن والسنة بين تخطيط الأعداء
- ١٢٠ الدكتور أحمد عمر هاشم
- ١٥ الدكتور محمد إبراهيم الجيوشي
- ١٧ الحياة في ظلال التشريع الإسلامي
- ١٨ من سنن الهدى الإلهي في الإنسان
- ٢٤ شهر صفر وعاء لأعاجيد خالدة
- ٢٨ التاريخ الإسلامي من السنة النبوية
- ٣٣ موافقات الصحابة للوحي ودلائلها على النبوة
- ٣٧ التصوف والفلسفة الإسلامية
- ٣٨ تساؤلات حول التصوف
- ٤٣ حضارة الإسلام
- ٤٤ نهر من الجنة
- ٥٠ المسلمون أمة واحدة
- ٥٣ الدعوة والشباب
- ٥٤ يارب رجاء وأمل
- ٥٨ يا شباب الإسلام تعلوا من طهر
- ٥٨ مخلوقات الله
- ٦١ مفهوم العمل في الإسلام
- ٧٠ الدعوة إلى الله بين المنهج والغاية
- ٧٤ مكانة الإعلام في الإسلام
- ٧٨ أهم معارك الدفاع عن الإسلام في القرن الماضي
- ٨٦ مختارات من الصحف والمجلات
- ٨٩ كتاب الشهر
- ٩٠ أبو الأعلى المودودي والصحوة الإسلامية
- ٩٧ أخبار ولقاءات
- ١١٣ قطوف
- ١١٥ الشعر الإسلامي
- ١١٦ حصن الكتاب والسنة
- ١١٧ الخنافس
- ١١٨ شمسي الوجود
- ١١٩ شخصيات إسلامية
- ١٢٠ العلامة محمد اقبال .. حياته وآثاره
- ١٢٥ الأسرة المسلمة
- ١٢٦ تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه
- ١٣٥ أنت تسأل والمفتي يجيب
- ١٣٩ مع القراء
- ١٤٣ بريد التعارف
- ١٤٤ مواقيت الصلاة



يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يزداد المكتبة الإسلامية والقائمين
في جميع أنحاء العالم الإسلامي
بالمطبوعات التي صدرت حديثاً

● المنتخب في تفسير القرآن الكريم

طباعة أوفست ٢ لون تجليد فاخر بصمة ذهب

● الأحاديث القدسية

جزءان في مجلد واحد

● مساجد مصر وأولياؤها الصالحون

من الجزء الأول الى الجزء الخامس

● الفتاوى الإسلامية

من المجلد الأول الى المجلد الثالث عشر

مراكز البيع

القاهرة : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من ميدان التحرير
الأسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢
شارع سعد زغلول